تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين

تصنيف

علاء الدين علي بن ابراهيم ابن العطار

(المتوفى ٧٢٤هـ)

ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

دار الصميعي

بسم الله الرحمن الرحيم

تحفة الطالبين

في

ترجمة الإمام محيي الدين

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ

دار الصميعي للنشر والتوزيع
هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ - ص.ب ٤٩٦٧ الرياض ١١٤١٢

المقدمة

وتشتمل على الموضوعات التالية :

ـ مَن أفرد ترجمة الإمام النوويِّ بكتاب مستقلٍّ .

ـ تعريف بكتاب «تحفة الطالبين» .

- توثيق نسبته لمصنفه وأهميته .

- تاريخ تصنيفه .

- النسخة المعتمدة في التحقيق .

- صور عن النسخة المعتمدة في التحقيق .

- عملي في التحقيق .

ـ ترجمة ابن العطار .

- مصادر ترجمته .

- ترجمته .

من أفرد ترجمة الإمام النووي بكتاب مستقل

إنَّ الحمدَ لله؛ نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرور أَنفسِنا ومن سيِّئات أَعمالِنا، من يهده الله؛ فلا مُضِلَّ له، ومن يضلِلْ؛ فلا هاديَ له. أما بعد:

فقد اعتنى العلماء والباحثون قديماً وحديثاً بترجمة الإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي ـ رحمه الله تعالى ـ، وأفرده بالترجمة غير واحد، في كتبٍ لطيفةٍ مستقلَّة؛ منهم:

ـ تلميذه الشيخ الإمام العالم الزاهد علاء الدين علي بن إبراهيم بن داود بن العطار الشافعي، في كتابنا هٰذا، وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ الكلامُ عليه.

ـ الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر ابن عثمان بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)[1] في كتاب «المنهل العذب

---

(١) وقد عدَّه الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي من تلاميذ الإمام النووي، فنقل في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٢٦) عن السخاوي قوله: =

الـرويّ في ترجمـة الإمـام النـووي»، طُبع في القاهرة عن جمعية النشر والتأليف الأزهرية، بعناية الشيخ محمود ربيع، سنة (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م).

ـ الشيخ العلامة جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، في كتاب: «المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي»، طبع في بيروت عن دار ابن حزم، تحقيق: أحمد شفيق دمج، سنة (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م).

ـ محمد بن الحسن اللخمي (ت ٧٣٨ هـ) في أربع ورقات؛ كما قال السخاوي[1].

ـ العـلامـة الـرباني كمال الدين إمام الكاملية وشيخها، في جزء سمَّاه: «بغية الراوي في ترجمة الإمام النواوي».

ـ العلامة أبو الفضل النويري خطيب مكة، في جزء سماه: «تحفة الطالب والمنتهي في ترجمة الإمام النووي».

قال السخاوي:

= «وكانت مدة صحبتي له مقتصراً عليه دون غيره من أول سنة . . .».

ونقـل السخـاوي هٰذه العبـارة على لسـان ابن العـطار، فوَهم الشيخ أن القـائـل السخاوي، ولذا عدَّه من تلاميذه! وأنى له ذٰلك وولادته سنة (٨٣١ هـ)، ووفاة النووي سنة (٦٧٦ هـ)؟!

(١) في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٥٦)، ونقل كثيراً منها في كتابه المرقوم، انظر مثلاً: (ص ٥٦، ٧٤ ـ ٧٥).

«وأفـردهـا ـ أي: ترجمـة الإمـام النووي ـ أيضاً من مدَّة: العلامة الربَّاني كمال الدين إمام الكاملية وشيخها في جزء سمَّاه: «بغية الراوي في ترجمة النواوي» ـ رحمه الله ـ، وقرأها ـ على ما بلغني ـ العلامة أبو الفضل النويري ـ خطيب مكة شرفها الله ـ.

وقـد أخذها بعض الجماعة، فقال: إنه رتبها، وزاد عليها؛ لكونه استحسن جمعها، وما رضي وضعها، وسمَّاها «تحفة الطالب والمنتهي في ترجمة الإمام النووي»، ومن نفس التسمية يعلم المقصود.

ولو فرض ـ على سبيل التنزُّل ـ أن صاحب «التحفة» لم تكثر أوهامه، وكان ما زعمه ـ والعياذ بالله ـ صحيحاً؛ ما كان يجمل به هٰذا القول، بل اللائق الأدب مع أهل العلم والولايات، وإنزالهم منازلهم في البدايات والنهايات، ومن لم يجعل الله له نوراً؛ فما له من نور، وكأني به ـ ألهمنا الله رشدنا ـ قد أخذ ما وقع لي من الزَّوائد الفرائد، التي لا أعلم مَن سبقني إليها؛ مِن غير عزو، غافلاً عن قول القائل[1]:

«شُكر العلم عزوُه لقائله»[1].

---

(١) قائلها أبو عبيد القاسم بن سلاَّم.

ذكر ذٰلك أبو عبدالله محمد ابن القاضي عياض بسنده في كتابه في «التعريف بوالده القاضي عياض» (ص ٨٢)؛ من طريق عبدالغني بن سعيد الأزدي به.

وقال الحافظ عبدالغني عقبها:

«علَّقتُ هٰذه الحكاية مستفيداً لها ومستحسناً، وجعلتُها حيث أراها في كل وقت؛ لأقتَدي بأبي عُبيد وأتأدَّبُ بآدابه».

ولا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

ـ الشيخ شمس الدين محمد ابن الفخر عبد الرحمٰن بن يوسف البعلي ؛ كما قال السخاوي[2].

ـ أحمد بن محمد السُّحَيْمي المصري الشافعي (ت ١١٧٨ هـ).

قال الأستاذ خير الدين الزِّركْلي في «الأعلام» (٨ / ١٤٩) :

«وأفردت ترجمته في رسائل ؛ إحداها : للسُّحَيْمي».

ـ الشيخ عبد الغني الدَّقْر (معاصر)، في كتاب بعنوان : «الإمام النووي : شيخ الإسلام والمسلمين، وعمدة الفقهاء والمحدِّثين»، طبع في سوريا عن دار القلم، ضمن سلسلة : «أعلام المسلمين» (رقم ١٠)، آخر طبعاته سنة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

ـ الشيخ علي الطنطاوي (معاصر)، في كتاب بعنوان : «الإمام النووي»، طبع في سورية، عن دار الفكر، ضمن سلسلة «أعلام التاريخ» (رقم ٤)، أول طبعة له سنة (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م).

ـ الدكتور الشيخ محمود رجا مصطفى حمدان (معاصر)، في

---

(١) «ترجمة الإمام النووي» (ص ٥٧).

(٢) قال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٥٧) :
«ومِمَّن علمته الآن ترجم الشيخ سوى من تقدم : وذكره».
ثم ذكر من ترجمه ضمن كتاب من غير إفراد، ثم قال (ص ٦٣) :
«واستيفاء الكلام في هٰذا المعنى يعسر».

أطروحته للدكتوراه؛ بعنوان: «الإمام النووي وأثره في الفقه الإسلامي»، مقدمة لقسم الدراسات الإسلامية بجامعة البنجاب، بإشراف الدكتور خالد علوي، سنة (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)، مضروبة على آلة كاتبة.

ـ الشيخ شحادة حميدي العَمْري، في أطروحته للماجستير، بعنوان: «الإمام النووي وجهوده في التفسير»، مقدمة لقسم أصول الدين في كلية الشريعة، في الجامعة الأردنية، بإشراف الدكتور فضل حسن عبَّاس، سنة (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، مضروبة على آلة كاتبة.



تعريف بكتاب «تحفة الطالبين»

توثيق نسبته لمصنِّفه وأهميته :

نسبة كتاب «تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي محيي الدين» صحيحة لمصنِّفه ابن العطار، إذ ما من أحد ترجم للإمام النووي ؛ إلا ونقل منه ، واعتمد عليه .

فنقـل منـه ـ وأكثـر ـ الذهبيُّ في ترجمة الإمام النووي في كتابيه : «تـذكـرة الحفـاظ» ، و«تاريخ الإسلام» ، وكذٰلك السخاويُّ في «المنهل العـذب الـروي» ، والسيوطيُّ في «المنهاج السوي» ، إذ لا تمر فقرة من فقرات هٰذه الكتب؛ إلا وفيها : «قال ابن العطار» .

إلا أن الذهبي نقل نصوصاً صدَّرها بقوله : «قال ابن العطار» ، ولم نجدها في الكتاب الذي بين أيدينا!

وتنبَّه لهٰذا الأمر ـ قديماً ـ السخاويُّ ؛ إذ قال :

«قلتُ : وقـد أفرد ترجمته بالتَّصْنيف خادمُه العلاَّمة علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود الدِّمشقي ، عُرف بـ (ابن العطار) ، الذي

كان لشدَّة ملازمته له، وتحقُّقه به؛ يقال له: (مختصر النووي)، استوفيتُ مقاصده هنا، **وهو عمدتي، بل عمدة كلّ من أتى بعده**.

ووقع في كلام الذهبي في «سير النبلاء»[1] أنه في ست كراريس[2]، والمتداول بالأيدي في كراس وشيء، فيُحتمل أن يكون كتب فيه جميع المراثي، ثم حذفها منه بعضُ النساخ، ووجدتُ في نسخةٍ وقفتُ عليها ما يُسْتَأنَسُ به لذلك.

وظاهر صنيع الذهبي في «تاريخه» مشعرٌ بكون التي وقف عليها فيها لم يستوفِ المراثي فيها.

وقد وقفتُ على نسخة بجميع المراثي[3] بخطِّ تلميذه، شيخ شيوخنا، المسنِد، شهاب الدين أحمد ابن البدر حسن؛ لأبيه، وهو أبو عبدالله محمد ابن الواعظ أبي عبدالله محمد بن زكريا بن يحيى بن مسعود ابن غنيمة السويداوي، عُرف هو وأبوه بـ: (القدسي)، كتبها بالخانقاه السميساطية بدمشق، وهي بسماعه على مؤلِّفها، بقراءة المحدِّث ناصر الدين أبي عبدالله محمد بن طغر بك بن الصيرفي؛ سوى ورقتين، فبقراءة

---

(١) هٰذا يؤكد أن القسم المطبوع من «سير أعلام النبلاء» ناقص من آخره، إذ لا وجود للنووي وطبقته فيه، وقد صرَّح السخاوي أكثر من مرة بالنقل من «السير» في ترجمة الإمام النووي.

(٢) وقال في «تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٧٢):
«وقد جمع ابن العطار سيرة النووي في ست كراريس».

(٣) وكذا نسختنا هٰذه، وهي بخط أخيه؛ كما سيأتي.

السـويداوي، وذلك في ثلاثة مجالس، آخرها يوم الأربعاء، سادس عشر ربيع الآخر، سنة أربع وعشرين وسبع مئة، بمنزل المؤلف، بدار الحديث النورية بدمشق، وصحح بخطه.

وكتب السويداوي أن المصنف ابتدأ في تصنيفها في منتصف شعبان سنة ثمان وسبع مئة، ودعا له بقوله:

«عافاه الله، وأحسن عقباه».

وسبب ذٰلـك أنه كان أصيب بالفالج من قبيل سنين، ويحتمل أن يكون تصنيفاً آخر، وهو بعيد، لكن يستأنس له بما وجدته في كلام الذهبي مدرجاً في كلام ابن العطار؛ مما لم أقف عليه في النسختين»[1]. انتهى.

قلت: ولا يبعد أنَّ نقل الذهبي عن ابن العطار مما شافهه به، وهٰذا يؤكد مقولة السخاوي السابقة: «ويحتمل أن يكون تصنيفاً آخر، وهو بعيد»! ويستأنس لهٰذا بما قاله ابن العطار في كتابنا هٰذا (ص ٩٩):

«ورأيت منه أموراً تحتمل مجلَّدات».

وما قاله ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» (٦ / ٦٤):

«وله معه حكايات، واطلع على أحواله».

---

(١) «ترجمة الإمام النووي» (ص ٥٥)، ولم ينقل السخاوي شيئاً في كتابه عن ابن العطار، إلا وله ذكرٌ في نسختنا، إلا ما صرح به أنه غير موجود في نسخته أيضاً، وهٰذا يؤكد أن زيادات الذهبي مما شافهه به ابن العطار، والله أعلم.

وانظر: «الإعلان بالتوبيخ» (ص ٣٨١).

وقد رأى الكتاني كتاب ابن العطار، وصرح أنه في مجلد، فقال في «فهرس الفهارس» (٢ / ٨٢٩) في ترجمة ابن العطار:

«صاحب الشيخ محيي الدين النووي، وجامع ترجمته في مجلد، وقفت عليه بدمشق، وعليه خطه».

وذكر هٰذا الكتاب ونسبَهُ للمصنِّف جماعة؛ منهم: حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١ / ٣٦٨)، وإسماعيل باشا البغدادي في «هدية العارفين» (١ / ٧١٧)، وعمر رضا كحالة في «معجم المؤلفين» (٧ / ٥)، وصلاح الدين المنجد في «معجم المؤرخين الدمشقيين» (ص ١٢٨)، وقال:

«في كراس على قول السخاوي، وستة كراريس على قول الذهبي».

وغيرهم كثير.

تاريخ تصنيف الكتاب:

قال السخاوي ـ فيما سبق ـ نقلاً عن ناسخ الأصل الذي كان بين يديه من ترجمة ابن العطار:

«وكتب السويداوي أن المصنِّف ابتدأ في تصنيفها منتصف شعبان سنة ثمان وسبع مئة».

وذكر حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١ / ٣٦٨) أن الشيخ ابن العطار ألَّفها سنة سبعين وسبع مئة!!

وهٰذا خطأ، إذ وفاة ابن العطار ـ كما سيأتي ـ كانت سنة (٧٢٤ هـ)،

فكيف يتصور صحة مقولته؟!

ومما يؤكِّد ما قاله السخاوي عدَّة أمور:

أولاً: جاء على طرة النسخة الخطيَّة التي اعتمدناها في التحقيق ما يلي:

«ابتدىء في تبييضها منتصف شعبان سنة ثمان وسبع مئة».

ثانياً: صرَّح المصنِّف في كتابه أن ابن صَصْرى التَّغلبي ـ ممن رثى الإمام النووي ـ حضر مجلسه في سنة اثنتين وسبع مئة[1].

وذكر الحسين بن صدقة ـ ممن رثى الإمام النووي أيضاً ـ وقال:

«عفا الله عنه»[2].

وتدل هٰذه العبارة أن ابن صدقة كان ميتاً حينذاك، وإذا علمنا أن وفاته كانت بعد (٧٠٥ هـ) ـ كما قال ابن حجر في «الدرر الكامنة» (٢ / ٥٧) ـ فلا أقل من أنه صنَّفه بعد هٰذه السنة بسنة واحدة.

النسخة المعتمدة في التحقيق:

اعتمـدتُ في تحقيق هٰذا الكتاب على نسخة خطية نفيسة، بخط العالم الفقيه الشيخ جمال الدين داود بن إبراهيم بن داود، أبي سليمان، الدمشقي، الشافعي، أخو المصنِّف، إذ جاء في آخرها ما نصه:

---

(١) انظر (ص ١٣٠)، وهٰذا يدل على أنَّه ألَّفه بعد هٰذا التاريخ.

(٢) انظر (ص ١٦٨).

«ووقع الفراغ من هٰذه الترجمة يوم الخميس، سابع ربيع الآخر، سنة أربع وأربعين وسبع مئة، على يد الفقير إلى الله تعالى: داود بن إبراهيم بن داود بن العطار، عفا الله عنه، وعن والديه، وعن جميع المسلمين».

قال الذهبي في ترجمة الناسخ:

«سمع الكثير، ونسخ كتباً كباراً، وله أثْباتٌ وأُصولٌ، ولِيَ مشيخة القَلِيجيَّة بعد أخيه، حدثنا عن ابن أبي الخَيْر وغيره، وله أجزاء عالية، وفيه تعبُّدٌ وخيرٌ، ولد سنة خمس وستين وست مئة [**٦٦٥ هـ - ١٢٩٧م**]، وهو أحدُ إخْوتي من الرَّضاعة»[١].

وتوفي ليلة الخميس ثالث جمادى الآخرة من سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة[٢].

وعارضها الناسخ على نسخة المصنِّف، فجاء في هامش اللوحة الأخيرة من المخطوط ما نصُّه:

«بلغ معارضة بأصل مؤلِّفه بخطه ـ رحمه الله ـ، كتبه إبراهيم بن داود».

وخطها واضح ومقروء؛ إلا أن الرطوبة أصابت قسماً يسيراً جداً منها، فلم تؤثر إلا على الكلمة الأخيرة من السطر الأول من اللوحات الأخيرة التي

(١) «المعجم المختص بالمحدِّثين» (ترجمة رقم ١١٠).

(٢) انظر ترجمته في «المعجم الكبير» (رقم ٢٥٢)، و«ذيل العبر» (٤ / ١٥٨ - ١٥٩)، و«الدرر الكامنة» (٢ / ١٨٥)، و«الوفيات» (٢ / ١٤٣ - ١٤٤)، و«الدارس» (١ / ٤٥٧)، و«شذرات الذهب» (٦ / ١٧٢).

على اليمين، وعلى الكلمـة الأولى من السطر الأول ـ والثاني في بعض الأحايين ـ من أغلب اللوحات الأخيرة التي على الشمال.

والمخـطوط يقـع في (٤٦) لوحـة، في كل لوحـة صفحتان، عدا الغلاف، وورقة بعده؛ فيها كثير من التملكات، وثَبَتٌ في أسماء من قرأه، وتكررت فيه هٰذه العبارة:

«طالع هٰذه الترجمة الميمونة متبركاً بمآثر المترجَم العبدُ الفقير إلى الله تعالى . . .».

وعلى الغلاف ما صورته:

«تحفة الطالبين في ترجمة شيخنا الإمام النووي محيي الدين، قدس الله روحه، ونوَّر ضريحه.

تصنيف: الشيخ الإمام العالـم العامل الزاهد علاء الدين علي بن إبراهيم بن داود بن العطار الشافعي ـ عفا الله عنهم ـ».

وعليها تملكات كثيرة؛ من بينها:

«الحمد لله، مِن نعم الله على عبده: محمد بن أحمد بن عبدالهادي»[1].

---

(١) وقد رأيتُ الكتاب مطبوعاً عن نسخة خطية أخرى محفوظة بمكتبة محمدي بولاية مدارس بالهند، بتحقيق فؤاد عبد المنعم، عن مؤسسة شباب الجامعة بمصر. وفيها نقص، ووقع كثير من التصحيف والأخطاء فيها. فاقتضى التنبيه والتنويه.



تحفة الطالبين في ترجمة شيخنا الإمام النووي

محيي الدين قدس الله روحه ونور ضريحه

تأليف الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد علاء الدين علي بن إبراهيم بن داود

ابن العطار الشافعي عفا الله عنهم

صورة عن غلاف المخطوط

صورة عن اللوحة الأولى من المخطوط

صورة عن اللوحة الأخيرة من المخطوط

عملي في التحقيق :

يتلخص عملي في هٰذا الكتاب بما يلي :

أوّلاً : قمتُ بنسخ المخطوط، وضبطتُ نصه، ومن ثم قابلتُه بالأصل مرة أخرى؛ خشية السقط والتحريف أثناء النسخ .

ثانياً: ذكرتُ في الهامش مَن نقل عبارة المصنِّف، ووجدتُ ـ كما أشرتُ سابقاً ـ أن السخاوي والسيوطي قد نقلا وأكثرا جداً عن المصنِّف، فكأن كتابيهما نسخ أُخرى ـ غير النسخة المعتمدة في التحقيق ـ لولا الأخطاء، والتصحيفات، والنقص في بعض العبارات منهما .

ثالثاً: ذكرتُ في الهامش الزيادات الواقعة في نسخة الذهبي ـ على حدِّ تعبير السخاوي ـ .

رابعاً: عرَّفت ببعض الغريب الواقع في الكتاب .

خامساً: أشرتُ إلى مصادر ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب، وآثرتُ ذكر المصادر دون الترجمة ـ إلا للنزر اليسير منهم ـ خوف الإطالة .

سادساً: عرفت بالأماكن التي وردت في النص .

سابعاً: اعتنيتُ بالكتب التي ذكرها المصنِّف للنووي، فبيَّنتُ المطبوع من المخطوط، وبيَّنتُ الكتاب الذي طُبع أكثر من مرة، ومكان طبعه، واسم محقِّقه ـ إن وجد ـ، ومن ثَمَّ ذكرتُ ثبتاً في الكتب التي لم يذكرها ابن العطار، وبيَّنتُ ـ كذٰلك ـ مطبوعها من مخطوطها، وأماكن وجود مخطوطاتها، والكتب التي نُسبت للإمام النووي خطأ، وأسهبتُ في

هٰذا[1]؛ لأن كتابنا هٰذا أهم مرجع للمحققين والدارسين لحياة الإمام النووي وتصانيفه، فأكون بهٰذا العمل قد وفَّرتُ عليهم وقتاً طويلاً، وجهداً عظيماً، ولا أخفي على القارىء أن هٰذا العَمل من أهم بواعثي على تحقيق هٰذا الكتاب.

ثامناً: عزوتُ الآياتِ القرآنية إلى أماكنها، فذكرتُ السورة ورقم الآية، وخرجتُ الأحاديث النبوية؛ ذاكراً درجتها من الصحة والحسن والضَّعف.

تاسعاً: ألحقتُ بكتابنا هٰذا تتمة فيها: تحذير الإمام النووي من البدع[2].

عاشراً: وأخيراً. . . ذيَّلتُ الكتاب بمجموعة فهارس، تسهِّل على القارىء الوقوف على مبتغاه منه.

وأخيراً. . . الله تعالى أسأل، وبأسمائه وصفاته أتوسل، أن يكتب لي أجرين في كل ما علَّقتُ عليه، وأن يرزقني فهماً في كتابه، ثم في سنَّة نبيِّه ﷺ، وقولاً وعملاً يؤدِّي به عنَّا حقَّه، ويوجب لنا نافلة مزيدِه، إنه سميعٌ مجيب.



(1) وأرجو أن أكون قد استوعبت، أو قاربت.

(2) نقلتُها من دراسة الدكتور محمود رجا بعنوان: «الإمام النووي وأثره في الفقه الإسلامي»، وزدتُ عليها كثيراً.

ترجمة الإمام ابن العطار

مصادر ترجمته:

ـ «تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٥٠٤ ـ ١٥٠٥) للذهبي.

ـ «المعجم الكبير» (ترجمة رقم ٥٠٦) للذهبي.

ـ «المعجم المختصّ بالمحدثين» (ترجمة رقم ١٩١) للذهبي.

ـ «العبر في خبر مَن غبر» (٤ / ٧١) للذهبي.

ـ «المعين في طبقات المحدثين» (ص ٢٣٥) (رقم ٢٤٠١) للذهبي.

ـ «مرآة الجنان» (٤ / ٢٧٢) لليافعي.

ـ «الدليل الشافي» (١ / ٤٤٥) لابن تغري بردي.

ـ «طبقات الشافعية» (٢ / ٣٥٥ ـ ٣٥٦) لابن قاضي شهبة.

ـ «طبقات الشافعية» (ص ٢٢٨) لابن هداية الله.

ـ «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» (٣ / ٥ ـ ٧) لابن حجر

العسقلاني.

- «البداية والنهاية» (١٤ / ١١٧) لابن كثير.

- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٦ / ٦٣ - ٦٤) لابن العماد الحنبلي.

- «الدارس في تاريخ المدارس» (١ / ٢٤ و٥٠ و٦٥ و٦٨-٧٠ و٧٩ و٩٨ و١١١ و١١٢ و١٩٠ و٢٦٨ و٣٢٤ و٤٣٣-٤٣٥ و٤٣٩ و٥٢٥ و٢ / ٧٢) للنُّعيمي.

- «فهرس الفهارس والأثبات» (٢ / ٨٢٩) لعبد الحي الكتاني.

- «برنامج الرعيني» (١٢٢ و٢٤١ و٢٦٠).

- «برنامج الوادي آشي» (٨٦ - ٨٨، ٢٢١ و٢٣١ و٢٤٨ و٢٧٢ و٢٨٨ و٢٩٠).

- «كشف الظنون» (٣٦٨ و١١٧٠ و١٢٣٠) لحاجي خليفة.

- «هدية العارفين» (١ / ٧١٧) للبغدادي.

- «إيضاح المكنون» (٢ / ١٥٧) للبغدادي.

- «الأعلام» (٤ / ٢٥١) للزركلي.

- «معجم المؤلفين» (٧ / ٥) لعمر رضا كحالة.

- «معجم المؤرخين الدمشقيين» (ص ١٢٨) لصلاح الدين المنجِّد.

ترجمته :

ـ اسمه ونسبه ولقبه وولادته :

هو الإمام الفقيه المفتي الزاهد المحدِّث بقيَّة السلف **علاء الدين علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان أبو الحسن ابن العطار** الشافعي .

ولـد يوم عيد الفـطر، سنـة أربـع وخمسين وست مئة **[٦٥٤ هـ - ١٢٥٦م]**، كان أبوه عطاراً، وجدُّه طبيباً .

اشتغل على الشيخ محيي الدين النووي ، ولازمه حتى كان يقال له : «مختصر النووي» ، وقد يختصر، فيقال : «المختصر» .

ـ شيوخه :

سمـع على أحمـد بن عبـدالـدائم ، وإسمـاعيل بن أبي اليُسْـر، وعبدالوهاب بن الناصح ، والكمال بن عبد ، وابن أبي الخير، وجمال الدين ابن مالك ، وابن النشبي ، والكمال ابن فارس ، وأخذ العربية عن ابن مالك ، وغيره .

وسمع بالحرمين ، ونابلس ، والقاهرة ؛ من عدَّة أشياخ يزيدون على المئتين ، وخرَّج له أخوه لأمه من الرَّضاعة الشيخ شمس الدين الذهبي معجماً .

قال الذهبي :

«خـرَّجـتُ له مُعجمـاً في مجلَّد ، . . . انتفعتُ به ، وأحسنَ إليَّ

باستجازتِه لِي كبار المشيخة».

ـ علاقته مع الإمام النووي:

كان الشيخ علاء الدين ابن العطار شديد المَحبَّة لشيخه النووي، وكـانت بينهما مودَّة أكيدة، واجتماع دائم، ومذاكرات، ودراسات، وكان الإمام النووي يحبُّه ويسرّ برؤيته.

قال ابن العطار:

«. . . فبلغني مرضه، فذهبتُ إلى دمشق لعيادته، ففرح ـ رحمه الله ـ بذلك»[1].

وكانت لابن العطار منزلة خاصة عند شيخه الإمام أبي زكريا، وكانت للإمام النووي عناية خاصة بتلميذه ابن العطار أيضاً.

قال ابن العطار:

«كان رحمه الله ـ أي: الإمام النووي ـ رفيقاً بي، شفيقاً عليَّ، لا يمكِّن أحداً من خدمته غيري على جَهدٍ مني في طلب ذلك منه، مع مراقبته لي ـ رضي الله عنه ـ في حركاتي وسكناتي، ولطفه بي في جميع ذلك، وتواضعه معي في جميع الحالات، وتأديبه لي في كلِّ شيء حتى الخطرات، وأعجز عن حصر ذلك»[2].

وكان الإمام النووي يثق بمقدرة تلميذه، ويعتقد فيه الصلاح

---

(1) انظر (ص ٩٩).

(2) انظر (ص ٥٤).

والتقوى، فها هو يقول عنه:

«... وقد أخبرني مَن أثق بخبره وصلاحه وكراماته وفلاحه...»[1].

أما عن ثقته بمقدرة تلميذه العلميَّة؛ فالدليل عليها ما قال التلميذ عن نفسه:

«... وأذِنَ لي - رضي الله عنه - في إصلاح ما يقع لي في تصانيفه، فأصلحْتُ بحضرته أشياء، فكتبه بخطِّه، وأقرَّني عليه[2]، ودفع إليَّ ورقةً بعدَّةِ الكتب التي كان يكتب منها ويصنِّف بخطه، وقال لي: إذا انتقلتُ إلى الله تعالى؛ فأتمم «شرح المهذب» من هٰذه الكتب، فلم يقَدَّر ذٰلك لي»[3].

ومن شدَّة إعجاب ابن العطار بشيخه الإمام النووي - ويحق له ذٰلك - فقد انقطع فترة تزيد عن ست سنوات إلى التلمذة عليه، والأخذ منه، فها هو يقول:

«وكانت مدَّة صحبتي له؛ مقتصراً عليه دون غيره، من أوَّل سنة سبعين وست مئة وقبلها بيسير إلى حين وفاته»[4].

---

(١) انظر (ص ٢٠٩).

(٢) ذكر ابن هداية الله في «طبقات الشافعية» (ص ٢٢٨) أن ابن العطار كان يأخذ على شيخه في الدرس، فقيل له في ذٰلك، فقال:

«لا يسقط الثمرة من الشجرة إلا بهزِّ الأفنان، أو التقطُّف بالبنان».

(٣) انظر (ص ٥٤).

(٤) انظر (ص ٥٥).

وحفظ ابن العطار كتاب «التنبيه» بين يدي شيخه النووي.

ـ طلبه للعلم ومرضه وتدريسه:

نسخ الشيخ علاء الدين الأجزاء، وكتب الطباق، وغلب عليه الفقه.

قال الذهبي:

«سمع وكتب الكثير، وحدَّث، ودرَّس، وأفتى، ووَلِيَ مشيخة النُّورية، والغوصيّة، والقليجية[1]، وغير ذٰلك».

أصيب بفالج سنة (٧٠١ هـ)، وكان يُحْمَل في مِحَفَّة، ويُطاف به، وكتب بشماله مدَّة.

وباشر الشيخ علاء الدين مشيخة المدرسة النورية من سنة أربع وتسعين إلى سنة وفاته مدة ثلاثين سنة.

ـ مدحه وثناء العلماء عليه:

مدحه كل مَن ترجم له، فقال عنه تلميذه الذهبي:

«كان صاحب معرفة حسنة، وأجزاء، وأصول».

وقال أيضاً:

«له فضائل، وتألُّه ـ أي: عبادة ـ، وأتباع».

---

(١) في المطبوع: «... والعلمية والقبجيّة» وهو خطأ، والتصويب من مصادر الترجمة.

وقال النُّعيمي:

«وكان فيه زهد، ويفيد، ويأمر بالمعروف على عادة [شيخه] في أخلاقه، وله أتباع ومحبُّون».

وقال ابن هداية الله:

«كان ديناً ورعاً».

وقال ابن العماد الحنبلي:

«وعدَّه في الحفَّاظ العلاَّمة ابن ناصر الدِّين، وأثنى عليه».

ـ مصنَّفاته:

قال ابن كثير:

«له مصنَّفات، وفوائد، ومجاميعُ، وتخاريجُ».

قلت: من مصنفاته:

«شرح العمدة»؛ أخذ شرح ابن دقيق العيد، وزاد عليه من «شرح صحيح مسلم» للنووي، مع فوائد أخر حسنة؛ سمَّاه: «إحكام شرح عمدة الأحكام».

مصنَّف في «فضل الجهاد».

وآخر في «حكم البلوى وابتلاء العباد».

وآخر في «حكم الأخبار والاحتكار عند غلاء الأسعار».

و «تحفة الطالبين»، وقد مضى الكلام عليه.

ورتَّب فتاوى الإمام النووي؛ كما سيأتي (ص **٧٩**).

ـ وفاته:

مات ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الاثنين، مستهل ذي الحجة، سنة أربع وعشرين وسبع مئة [٧٢٤هـ ـ ١٣٢٤م]، وعلى هٰذا جمهور مترجميه، وقد شذَّ ابن هداية الله، فقال:

«مات سنة إحدى وتسعين وست مئة! وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة»!

ولم يتابعه أحد على هٰذا.

وقال الذهبي:

«مات عن سبعين سنة».

وهٰذا هو الصحيح؛ لأنه ولد ـ كما قدمنا ـ سنة أربع وخمسين وست مئة، ودفن بقاسيون في دمشق، رحمه الله تعالى، وأجزل مثوبته.



تحفة الطالبين

في ترجمة الإمام النووي محيي الدين

تحفة الطالبين

في ترجمة الإمام النووي محيي الدين

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه الطاهرين.

أشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فلما كان لشيخي وقدوتي إلى الله تعالى؛ الإمام الرباني أبي زكريا يحيى بن شرف الحزامي النواوي - تغمده الله برحمته، وأسكنه جنات النعيم، وجمع بيني وبينه في دار كرامته إنه جواد كريم - عليَّ من الحقوق المتكاثرة، ما لا أطيق إحصاءها؛ بعثني ذٰلك على أن أجمع كتاباً في بعض مناقبه، ومآثره، وكيفية اشتغاله، وما كان عليه من الصبر على خشونة العيش، وضيق الحال، مع القدرة على التنعُّم والسعة في جميع الأحوال، على عادة أئمة الحديث في ذٰلك؛ ليكون سبباً للترحُّم عليه، والدعاء له، وفَّقنا الله لما وفقه، ورزقنا ما رزقه.

فقد رُوِّينا بالإسناد إلى سفيان بن عيينة أنه قال:

«عند ذكر الصالحين تتنزّل الرحمة».

ورُوِّينا بإسنادنا إلى محمد بن يونس أنه قال:

«ما رأيتُ للقلب أنفعَ من ذكر الصالحين».

وعلى الله الكريم أتوكل، وإليه أبتهل، أن ييسر ذٰلك على أكمل الوجوه وأتمِّها؛ إنه على كل شيء قدير، وهو حسبي ونعم الوكيل / ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم. /١/



فصل

في نسبه ونسبته

هو أبـو زكريا[1] يحيى بن الشيخ الزاهد الورع وليّ الله أبي يحيى شرف بن مِرَا[2] بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام[3] ـ بالحاء

---

(١) هٰذه كنية له، ولا (زكريا) له؛ لأنه لم يتزوَّج.

ويلقبـه جمهـور متـرجميه (محيي الدين)، وكان الشيخ الإمام يكره هٰذا اللقب؛ تواضعاً لله تعالى، وخوفاً من الدُّخول في قوله تعالى:

﴿فلا تُزكُّوا أنفُسَكُم﴾ [النجم: ٣٢].

أو أن الدِّين حيٌّ، ثابتٌ، دائمٌ، غير محتاج إلى مَن يحييه، حتى يكون حجةً قائمةً على مَن أهمله أو نبذه.

بل صحَّ عنه أنه قال:

«لا أجعل في حِلٍّ مَن لقَّبَني (مُحيي الدين)».

انـظر: «المنهـل العـذب الـروي في ترجمة الإمام النووي» (ص ٤)، و«الإمام النووي» للدَّقر (ص ١٩)، و«الإمام النووي وجهوده في التفسير» (ص ٢٤).

(٢) ضبـطه الـزَّبيدي في «تـاج العـروس» (١٠ / ٣٧٩) بكسـر الميم والقصر، والجمهور على ضمِّ الميم وكسر الراء المشدَّدة (مُرِّي)؛ قال السيوطي في «المنهاج السَّوي في ترجمة الإمام النووي» (لوحة ١ / أ):

«بضمِّ الميم، وكسر الراء؛ كما رأيتُه مضبوطاً بخطِّه». انتهى.

(٣) في «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٥ / ١٦٥):

«ابن حزام بن محمد بن جمعة»!

وسـاق نسب النـووي كما عند المصنف جلُّ مَن ترجم له، ومنهم من أنقص منه (جمعة)، ومنهم من حذف غيرها.

المهملة والزاي[1] ـ الحزامي النوويُّ، ذو التصانيف المفيدة، **والمؤلَّفات** الحميدة، أوحد دهرِهِ، وفريدُ عصرِهِ، الصوَّام، القوَّام، الزَّاهد **في الدنيا**، الرَّاغب في الآخرة، صاحب الأخلاق الرضيَّة، والمحاسن السنيَّة، **العالم** الرَّبَّاني المتَّفق **على علمه وإمامته وجلالته وزهده وورعه وعبادته وصيانته في** أقـوالـه وأفعـاله وحالاته، له الكرامات **الطافحة، والمكرمات الواضحة**، والمؤثـرُ بنفسـه ومـاله للمسلمين، والقائم **بحقوقهم وحقوق ولاة أمورهم** بالنُّصح والدُّعاء في **العالمين**[2]، وكان كثيرَ التِّلاوةِ والذكرِ لله تعالى، حشَرَنا الله في زمرته، وجمع بيننا وبينه في دار كرامته، مع من اصطفاه من خليقته أهل الصَّفاء والوفاء والود، العاملين بكتابِ الله تعالى، وسنَّة محمد ﷺ وشريعته.

وأما نسبته:

/٢/ (الحِـزَامي)؛ فهي بالحاء والزَّاي إلى جدِّه المذكور حزام / ، وذكر

---

(١) وكذا قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٤)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٣)، وذكر السيوطي في «المنهاج السوي» (لوحة ١ / أ):

«حِزام: بِكسر الحاء المهملة، وبالزَّاي المعجمة».

ووقعت في مطبـوع «عيون التـواريخ» (٢١ / ١٦٠) بالـراء المهملة، وهو خطأ، مخالف لما عليه جمهور مترجميه.

(٢) نقـل كلام المصنِّف ـ وعـزاه له ـ من قولـه: «وأوحـد دهره. . .» إلى: «في العالمين»: السيوطي في «المنهاج السوي» (لوحة ٣ / ب)، وتصحَّفت في مطبوعه (ص ٣٠) «إمامته» إلى «أمانته»، وسقطت منه ومن مخطوطه: «. . . الطافحة، والمكرمات. . .»!

لي الشيخ ـ قدس الله روحه ـ أن بعض أجداده كان يزعم أنها نسبة إلى حزام أبي حكيم الصحابي ـ رضي الله عنه ـ؛ قال:

«وهو غلط»[1].

وحـزام جده؛ نزل في الجولان بقرية (نوى)[2] على عادة العرب، فأقام بها، ورزقه الله ذرية، إلى أن صار منهم خلق كثير.

و(النـووي) نسبـة إلى (نوى) المذكورة، وهي بحذف الألف بين الـواوين على الأصـل، ويجوز كتبها بالألف على العادة[3]، وهي قاعدة

---

(١) نقله عن المصنِّف: السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٣)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (لوحة ٣٨ / ب).

(٢) ضبطها ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٥ / ٣٠٦): (نَوَا)؛ بالألف الممدودة، وضبطها الأكثرون بالمقصورة؛ كما عند المصنف، وهي بلدة عامرة في هٰذا الزمان، وهي تتبع للجمهورية العربية السورية، وعلى مقربة من مدينة درعا جهة الشمال، وجنوب دمشق على الجانب اليمين بطريق درعا.

(٣) قال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٣) بعد أن نقله عن المصنف:

«وبإثباتها ـ أي: الألف ـ وحذفها، قرأته بخط الشيخ ـ لكن قال الشهاب بن الهائم: إنـه بإثباتها، خلاف القياس. قال: وأما الألف التي هي بدل من لام الكلمة؛ فلا يجوز حذفها، بل يجب قَلْبُها في النسبة واواً؛ كما في النسبة إلى فتى ونحوه، فيقال: نووي؛ كما يقال: فتويّ». انتهى.

قلتُ: وترى في «الأعلام» (٨ / ١٥٠) للزِّرِكْلي صورة عن خط الشيخ النووي هٰكذا ـ دون ألف ـ.

وقال صاحب «الأعلام»:

«والنووي ـ نسبة لـ (نوا) ـ يجوز كتبها بالألف: (نواوي)». =

الجولان الآن من أرض حوران[1] من أعمال دمشق، فهو دمشقي[2]؛ لأنه أقام بها نحواً من ثمانية وعشرين عاماً. وقد قال عبدالله بن المبارك:

«مَن أقام في بلدة أربع سنين؛ نُسِبَ إليها»[3].

= وتعقَّب ذلك بقوله:

«قلت: كان يكتبها هو بغير الألف، انظر نموذج خطه»!

وفاته نقل السخاوي المتقدم عندما صرَّح أنه قرأ بخط الشيخ بإثبات الألف فيها، وحذفها منها! وكذا صرَّح السيوطي في «المنهاج السوي» (لوحة ٣٨ / ب)، فقال:

«(نَـوى)... والنسبة إليها نُوَيّ ـ بحذف الألف بين الواوين على الأصل، وقلب الألف الأصلية واواً ـ، ويقال: نواوي؛ بتخفيف الياء والألف بدلاً عن إحدى يائي النسب؛ كما يقال: يمني ويماني؛ بتخفيف الياء في الثانية، ورأيت كلا الأمرين بخطه رحمه الله تعالى» انتهى.

وقال النعيمي في «الدارس» (١ / ٢٤):

«... النواوي بالألف؛ كما رأيته وقرأته بخطه؛ قال الذهبي: بحذفها، ويجوز إثباتها».

قلت: مقولة الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٤).

(١) منطقة معروفة تقع جنوب أرض سورية.

(٢) راجـع «البـداية والنهاية» (١٣ / ٢٧٨)، و«تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٧٠)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣٥٤).

(٣) رواه عن عبـد الله بن المبـارك الحاكمُ في «تاريخ نيسابور»؛ كما قال الإمام النووي في «الإرشاد» (٢ / ٨٠٦)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١ / ١٤)، و«التقريب» (٢ / ٣٨٥)، ورد عليه البلقيني في «محاسن الاصطلاح» (ص ٦٠٧)؛ قائلاً:

«وهٰذا قول ساقط، لا يقوم عليه دليل».

وذكر السخاوي مقولة ابن المبارك في نسبة النووي إلى دمشق؛ كما عند ابن العطار في «الاهتمام»: (لوحة: ٢ / ب).

فصل

في مولده ووفاته

أما مولده؛ فهو في العشر الأوسط[1] من المحرَّم سنة إحدى وثلاثين وست مئة[2].

وذكر لي بعض الصالحين الكبار أنه ولد وكُتِبَ من الصادقين.

وذكر لي والدهُ أن الشيخ كان نائماً إلى جنبه، وقد بلغ من العمر سبع سِنين ليلة السابع والعشرين من رمضان؛ قال:

«فانتبه نحو نصف الليل، وأيقظني، وقال:

«يا أبة! ما هٰذا الضوءُ الذي قد ملأ الدار؟!».

واستيقظ أهلهُ جميعاً، فلم نر كلُّنا شيئاً».

قال والده:

«فعرفتُ / أنها ليلة القدر»[3]. /٣/

---

(١) قال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٤):
«وهٰذا هو المعتمد، لكن قال الجمال الإسنوي: إنه في العشر الأول»!!
قلتُ: وكلام الإسنوي في كتابه «طبقات الشافعية» (٢ / ٤٧٧).

(٢) انظر: «النجوم الزاهرة» (٧ / ٢٧٨)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٥ / ١٦٦)، و«تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٧٠)، و«طبقات الحفاظ» (٥١٠)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣٥٤)، و«فوات الوفيات» (٤ / ٢٦٤).

(٣) نقله السخاوي في «ترجمة النووي» (ص ٤)، والسيوطي في «المنهاج السوي» =

وأما وفاته؛ فهي ليلة الأربعاء، الثلث الأخير من الليل، رابع وعشرين رجب، سنة ست وسبعين وست مئة [بنوى][1]، ودُفِن بها صبيحة الليلة المذكورة[2]، وكانت وفاته عقب واقعة جرت لبعض الصالحين بأمره لزيارة القدس الشريف، والخليل ـ عليه أفضل الصلاة والسلام[3] ـ، فامتثل الأمر، وتوفي عقبها.



= (لوحة ٣ / ب و٤ / أ)، والسبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٥ / ١٦٦) عن المصنف.

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، واستدركتُه من مصادر ترجمته، والسياق يقتضيه، فضلاً عن نقل السخاوي له عن المصنف في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٥).

وقد شذَّ النُّعَيْمي في كتابه «الدارس في تاريخ المدارس» (١ / ٢٥) وعمر كحَّالة في «معجم المؤلِّفين»(١٣/ ٢٠٢) بذكر أن الشيخ النووي توفي سنة (٦٧٧ هـ)! وضبطه النعيمي بقوله:

«سنة سبع وسبعين وست مئة؛ بتقديم السين فيهما».

(٢) انظر: «ترجمة الإمام النووي» للسخاوي (ص ٧٤)، و«المنهاج السوي» (لوحة ٣٠ / أ).

(٣) انظر تفصيل ذلك في (ص ٩٨ ـ ٩٩).

فصل

في مبدإ أمره واشتغاله

ذكر لي الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي[1] ولي الله ـ رحمه الله ـ قال:

«رأيت الشيخ محيي الدين ـ وهو ابن عشر سنين ـ بنوى، والصبيان يُكْرِهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي محبته.

---

(١) هو ياسين بن عبدالله، المقرىء، الحجام، الأسود، الصالح، كان له دكان بظاهر باب الجابية، وكان صاحب كرامات، وقد حجَّ أكثر من عشرين مرَّة، وبلغ الثمانين، اتَّفق أنه سنة نيف وأربعين مرَّ بقرية (نوى)، فرأى الشيخ محيي الدين النووي وهو صبيٌّ، فتفرَّس فيه النَّجابة، واجتمع بأبيه الحاج شرف، ووصَّاه به، وحرَّضه على حفظ القرآن والعلم، فكان الشيخ فيما بعدُ يخرج إليه، ويتأدَّب معه، ويزوره، ويستشيره في أموره. توفي في ثالث ربيع الأول سنة سبع وثمانين وست مئة، ودفن بمقبرة باب شرقي، رحمه الله.

انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (١٣ / ٣١٢)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٤٠٣).

وعقَّب السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٤ ـ ٥) على ما ورد في ترجمة الشيخ ياسين: «واجتمع بأبيه الحاج شرف»؛ بقوله:

«فيه مخالفة لكلام ابن العطار، وإن كان يمكن الجمع بينهما بأنَّ الشيخ ياسين بعد أن أخبر المعلِّم؛ شافهَ بذٰلك والدَه أيضاً».

قلتُ: وعبارة ابن العطار محتملة لما ذكره الذهبي، إذ فيها: «فذكر ذٰلك لوالده»! إلا أن السخاوي ينقلها عنه هٰكذا: «فذكر المعلِّم ذٰلك لوالده»! وأسقط السيوطي في «المنهاج السوي» كلمة: «المعلم».

وجعله أبوه في دُكَّان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشِّراء عن القرآن».

قال:

«فأتيتُ الذي يُقْرِئُه القرآن، فوصيتُه به، وقلتُ له: هٰذا الصبيُّ يُرْجى أن يكون أعلم أهل زمانه، وأزهدهم، وينتفع الناس به.

فقال لي: أمنجمٌ أنت؟

فقلتُ: لا، وإنما أنطقني الله بذٰلك.

فذكر ذٰلك لوالده، فحرص عليه، إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام»[1].

قال لي الشيخ:

«فلما كان عمري تسع عشرة سنة؛ قدم بي والدي إلى دمشق[2] في

---

(١) نقل هٰذه الفقرة عن المصنِّف: الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٤)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٤)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (لوحة ٤ / أ)، والسبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٥ / ١٦٦)، واليونيني في «ذيل مرآة الزمان» (٣ / ٢٨٤)، وعقب الشيخ عبدالغني الدَّقر في كتابه «الإمام النووي» (ص ٢٢) على هٰذه الحادثة بقوله:

«وهٰكذا كانت فراسةُ هٰذا الشيخ المراكشي أنفع للمسلمين قاطبة من كلِّ عمل صالح له، إذ كان بسببه وسعيه ظهور عالم زاهد تقي قلَّ أن يسمح!! الزمان بمثله؛ إلا في قرون متطاولة، وما نظنُّ أنه جاء مِن بعدِه مثلُه، بارك الله له في عمره القصير، وصنع منه في عصره وما بعده أعلمَ الناس، وأزهدَهم، وآمَرَهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر».

(٢) ولم تسعفنا كتب التراجم عن رسم صورة تفصيلية عن حياته قبل بلوغ هٰذا السن؛ إلا شذرات تدلُّ على أنه كان منصرفاً إلى إعانة أبيه في دكانه، والذي يبدو أن الشيخ =

/ سنة تسع وأربعين، فسكنتُ المدرسة الرّواحية[1]، وبقيتُ نحو سنتين /٤/ لم أضع جنبي إلى الأرض، وكان قوتي فيها جراية المدرسة لا غير».

قال:

«وحفظتُ كتاب «التنبيه»[2] في نحو أربعة أشهر ونصف، وحفظتُ

= النووي بالإضافة إلى هٰذا فإنَّه كان يتلقّى قليلاً من العلم على شيوخ نوى.

انظر: «الإمام النووي وأثره في الفقه الإسلامي» (ص ٣٩) للدكتور محمود رجا، و«الإمام النووي وجهوده في التفسير» (ص ٢٩) لشحادة العَمْري، و«الإمام النووي» (ص ٨) للطنطاوي، و«الإمام النووي» (٢٢) لعبدالغني الدقر.

(١) المدرسة الرواحية: شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الأموي ولصيقه، وشمال حيرون، وغربي الدولعية، وقبلي الشريفية الحنبلية، بانيها زكي الدين ابن رواحة، الحموي، التاجر، الغني، المعدّل، المتوفى سنة (٦٢٢ هـ)، دَرَّسَ بها ابن الصلاح، وابن البازري، وابن الزَّمَلْكاني، وأبناء السبكي، وغيرهم، وقد أُنْشِئَت هٰذه المدرسة نحو سنة (٦٠٠ هـ)، وأصبحت المدرسة الرواحية الآن دار سكن.

انظر: «خطط الشام» (٦ / ٨١) لمحمد كرد علي، و«الدَّارِس في تاريخ المدارس» (١/٢٦٥)، و«منادمة الأطلال» (ص ١٠٠).

وكان للإمام النووي بها بيت، ويترفق بمعلومها، ودخلها بمساعدة مفتي الشام حينذاك، وهو تاج الدين الفزاري؛ كما صرح به النعيمي، واستمر بها حتى مات، لم ينتقل منها حتى بعد ولايته الأشرفية، وبيته فيها بيت لطيف عجيب الحال؛ قال اليافعي:

«وسمعتُ أنه اختار الإقامة بها على غيرها لحلّها».

قاله السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٥).

(٢) هو أحد الكتب الخمسة المشهورة بين الشافعية وأكثرها تداولاً، ومؤلفه: أبو إسحاق الشيرازي، شرع في تأليفه في أوائل شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة، وفرغ منه في شعبان من السنة التي بعدها. انظر تعريفاً جامعاً له وشروحه ومختصراته =

رُبعَ العبادات من «المهذب»[1] في باقي السنة»[2].

قال:

«وجعلتُ أشرح وأصحح على شيخنا الإمام العالم الزاهد الورع ذي الفضائل والمعارف أبي إبراهيم إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي

= ومنظوماته في كتاب أستاذنا الدكتور محمد عقلة الإبراهيم «الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وأثره في الفقه» (١ / ١٣٢ ـ ١٤٧) مضروب على آلة كاتبة.

(١) أشهر كتب الشافعية في فروع المذهب وتفصيلاته، يمتاز بالتبويب المتقن، بدأ به مصنِّفُهُ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي سنة خمس وخمسين وأربع مئة، وفرغ منه يوم الأحد سنة تسع وستين وأربع مئة، فيكون تصنيفه قد استغرق من عمر الشيخ المكرس للعلم أربعة عشر عاماً، انظر في مدحه وشروحه كتاب أستاذنا الدكتور محمد عقلة: «أبو إسحاق الشيرازي وأثره في الفقه» (١ / ١٢٤ ـ ١٣٢).

(٢) جاء بعد هٰذه العبارة في «الدارس في تاريخ المدارس» (١ / ٢٥) نقلاً عن ابن العطار:

«قال: وبقيتُ أكثر من شهرين أو أقل لما قرأت في «التنبيه» يجب الغسل من إيلاج الحشفة في الفرج، أعتقد أن ذٰلك قرقرة البطن، فكنتُ أستحمُّ بالماء البارد كلما قرقر بطني».

ونقل هٰذه العبارة: السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٥، ٦)، وقال قبلها:

«وأدرج الذهبي في «تاريخ الإسلام» [ورقة ٥٧٤] في كلام لابن العطار هنا مما لم أره في النسخة التي وقفتُ عليها أنه قال: وذكرها».

وعقب عليها بقوله:

«والظاهر أن الحياء كان يمنعه السؤال عن ذٰلك».

وذكر نحوها السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٣٢) بعد تمام هٰذه الفقرة، فقال:

«. . . وقعدتُ مدَّة أغتسل منها بالماء البارد، حتى تشقق ظهري».

الشافعي[1] ـ رحمه الله ـ ولازمته».

قال:

«فأُعْجِبَ بي لما رأى من اشتغالي وملازمتي وعدم اختلاطي بالناس[2]، وأحبَّني محبَّة شديدةً، وجعلني أعيد الدروس في حلقته لأكثر الجماعة».

قال:

«فلما كانت سنة إحدى وخمسين؛ حجَجْتُ مع والدي[3]، وكانت

---

(١) هو أول شيوخه؛ كما صرح بذلك في (ص ٥٥)، وستأتي ترجمته هنالك.

(٢) قال الذهبي ـ فيما نقله النعيمي في «الدارس» (١ / ٧٨) عنه ـ عن الإمام النووي:

«وضُرِبَ به المثَلُ في إكبابه على طلب العلم ليلاً ونهاراً، وهجرة النَّوم إلا عن غلبة، وضبط أوقاته بلزم الدَّرس، أو الكتابة، أو المطالعة، أو التردُّد على الشيوخ».

وحكى البدرُ ابن جماعة أنه سأله عن نومه، فقال:

«إذا غلبني النومُ؛ استندتُ إلى الكتب لحظةً ثم أنتبه».

ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (٣٦)، وفيه عن البدر أيضاً قال:

«كنتُ إذا أتيتُه أزوره؛ يضع بعض الكتب على بعض ليوسع لي مكاناً أجلس فيه».

(٣) وكانت هذه حجَّة الإسلام، وحج مرة أخرى؛ كما صرح به السيوطي في «المنهاج السوي» (لوحة ٥/ب)، ويستأنس له بقول ابن كثير في «تاريخه» (١٣/ ٢٧٩) أنه حجَّ في مدَّة إقامته بدمشق، ولما رجع من حجَّة الإسلام؛ لاحت عليه ـ كما قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ـ أمارات النجابة والفهم، قاله السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٦). =

وقفةُ جمعةٍ، وكان رحلينا من أول رجب».

قال:

«فأقمتُ بمدينةِ رسول الله ﷺ نحواً من شهر ونصف».

قال لي والده ـ رحمه الله ـ:

«لما توجَّهْنا من (نوى) للرحيل؛ أخذتْهُ الحُمَّى، فلم تفارقه إلى يوم عرفة».

قال:

«ولم يتأوَّه قط. فلما قضينا المناسك، ووصلنا إلى (نوى)، ونزلنا إلى دمشق؛ صبَّ الله عليه العلم صبّاً، ولم يزل يشتغل بالعلم، ويقتفي آثار شيخه المذكور في العبادة؛ من الصلاة، وصيام الدهر[1]، والزهد،

= وقال الأستاذ شحادة العَمْري في أُطروحة للماجستير «الإمام النووي وجهوده في التفسير» (ص ٣٣):

«وقيل: إنه حج مرتين، والصحيح أنها مرة واحدة»!

وأحال على «ترجمة النووي» للسخاوي (ص ٦).

قلتُ: وفيها خلاف ما صححه، بل صرَّح السخاوي (ص ٨١) أن الشيخ النووي حج مرتين، وذكر في (ص ٦) مؤيِّدات لذلك، فلا أدري ما الذي جعله يصحح أنه حج مرة واحدة؟!

(١) نهى عليه الصلاة والسلام عن صيام الدَّهر؛ كما هو ثابت في «صحيح البخاري» (٤ / ١٩٥)، و«صحيح مسلم» (رقم ١١٥٩)، وغيرهما.

ورحم الله الإمامَ الذهبيَّ وجزاه خيراً عندما قال في «السير» (٣/٨٥ و٨٦): =

والورع، وعدم إضاعة شيء من أوقاته / إلى أن توفي - رحمه الله[1] -». /٥/

فلما توفي شيخُه المذكور؛ ازداد اشتغاله بالعلم والعمل.

قال لي شيخُنا القاضي أبو المفاخر محمد بن عبدالقادر الأنصاري[2] - رحمه الله تعالى -:

= «كلُّ مَن لم يَزُمَّ نفسَهُ في تعبُّدِه بالسنة النبويَّة؛ يَنْدَمُ ويترهَّبُ، ويسوءُ مزاجُه، ويفوتُه خيرٌ كثيرٌ مِن متابعة سنَّة نبيِّه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، الحريص على نفعهم، وما زال ﷺ معلِّماً للأمة أفضل الأعمال، وآمراً بهجر التَّبَتُّل والرَّهبانية التي لم يُبْعَثْ بها، فنهى عن سرد الصَّوم، ونهى عن الوصال، وعن قيام أكثر الليل، إلا في العشر الأخير، ونهى عن العُزبة للمستطيع، ونهى عن ترك اللحم إلى غير ذٰلك من الأوامر والنَّواهي، فالعابدُ بلا معرفة لكثير من ذٰلك معذورٌ مأجورٌ، والعابدُ العالم بالآثار المحمَّدية، المتجاوز لها مفضولٌ مغرورٌ، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى، أدوَمُها وإن قلَّ، ألهمنا الله وإياكم حُسْنَ المتابعة، وجَنَّبَنا الهوى والمخالفة».

(١) ما تقدَّم موجود في «ترجمة الإمام النووي» (٥ و٦) للسخاوي، و«المنهاج السوي» (لوحة ٤ / أ - ٥ / أ)، و«تاريخ ابن الفرات» (٧)، و«ذيل مرآة الزمان» (٣ / ٢٨٤)، و«تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٧٠)، و«تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٤ - ٥٧٥)، و«فوات الوفيات» (٤ / ٢٦٥)، و«الدارس في تاريخ المدارس» (١ / ٢٤ - ٢٥)، و«عيون التواريخ» (٢١ / ١٦٢)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣٥٤)، وغيرها.

(٢) هو القاضي الإمام أبو المفاخر محمد بن عبدالقادر بن عبدالخالق الأنصاري الدِّمشقي الشافعيّ المعروف بابن الصَّائغ، كان عارفاً بالمذهب الشافعيّ، بارعاً في الأصول والمناظرة، وكانَ مشكورَ السيرة، ولي القضاء، ثم امتحن، فعزل، وسجن، ثم خُلِّصَ، وانقطع بمنزله في بستانه إلى أن توفي في ربيع الآخر سنة (٦٨٣ هـ).

انظر ترجمته في: «البداية والنهاية» (١٣ / ٣٠٤)، و«مرآة الجنان» (٤ / ١٩٩)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣٨٣).

«لو أدرك القشيريُّ صاحب «الرسالة» شيخَكُم وشيخَهُ[1]؛ لما قدَّمَ عليهما في ذكره لمشايخها[2] أحداً؛ لما جُمِع فيهما من العلم، والعمل، والزهد، والورع، والنُّطق بالحكم، وغير ذٰلك».

وذكر لي الشيخ ـ قدَّس الله روحه ـ قال:

«كنتُ أقرأ كلَّ يومٍ اثنتي عشر درساً على المشايخِ؛ شرحاً وتصحيحاً: درسين في «الوسيط»، ودرساً في «المهذَّب»، ودرساً في «الجمع بين الصحيحين»، ودرساً في «صحيح مسلم»، ودرساً في «اللمع» لابن جُنِّي في النحو، ودرساً في «إصلاح المنطق» لابن السِّكِّيت في اللغة، ودرساً في التصريف، ودرساً في أصول الفقه؛ تارة في «اللمع» لأبي إسحاق، وتارة في «المنتخب» لفخر الدين الرازي، ودرساً في أسماء الرجال، ودرساً في أصول الدين[3]».

---

(١) مراده: الإمام النووي، وشيخه المراكشي.

(٢) يعني «الرسالة القشيرية». وفيها من الكلام الجيد الكثير، وفيها من كلام العقائد الفاسدة الكثير أيضاً، وكان أحد علمائنا الأفاضل يقول: هي آخر الخير وأول الشر. ولكن بعد تتبع أثرها السيىء في الأمة، يحسن النصح بالابتعاد عنها، أو أن تهذّب من عالم صحيح العقيدة سليم العقل. قاله الأستاذ زهير الشاويش في تعليقه على «النخبة البهية» (ص ٥٤).

(٣) المذكور أحد عشر درساً فقط! وكذا نقله عنه: الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٥)، و«تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٧٠)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٦)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (لوحة ٥ / أ ـ ب)، وابن العماد في «شذرات الذهب» (٥ / ٣٥٥)، وجميع المعاصرين الذين ترجموا له!

قال:

«وكنتُ أعلِّق جميع ما يتعلق بها؛ من شرح مُشْكِل، ووضوح عبارة، وضبط لغة».

قال ـ رحمه الله ـ:

«وبارك الله لي في وقتي، واشتغالي، وأعانني عليه»[1].

قال:

«وخطر لي الاشتغال بعلم الطب، فاشتريتُ كتاب «القانون»[2] فيه،

---

(١) عقَّبَ الشيخ عبدالغني الدَّقْر في كتابه «الإمام النووي» (ص ٣٤) على ما ذكره المصنِّف بقوله:

«اثنا عشر درساً يقرؤها على المشايخ كل يوم شرحاً وتصحيحاً، ويعلق ما يتعلق بها من شرح مشكل، وإيضاح عبارة، وضبط لغة، تحتاج كل يوم إلى اثنتي عشرة ساعة على أقل تقدير، وتحتاج إلى مراجعة ما يجب أن يراجع، وحفظ ما يجب أن يُحفظ ـ بأدنى التقدير ـ إلى اثنتي عشرة ساعة، فهٰذه أربع وعشرون ساعة، فمتى ينام؟! ومتى يأكل؟! ومتى يقوم بعبادته؟! ومتى يتهجد في ليلة؟! ومعروف أنه سباق إلى الطاعات والعبادات... متى يكون هٰذا كله وهو محتاج إلى دراسته ومراجعته إلى أربع وعشرين ساعة في اليوم والليلة؟!

هنا يبدو إكرام الله إياه، وتفضله عليه، وذٰلك بأن بارك الله له في وقته، فمنحه القدرة على أن ينتج في يوم ما ينتج غيره في يومين، وفي سنة ما ينتج غيره في سنتين، وبهٰذا نفسِّر هٰذه الوثبة الهائلة التي جعلت منه في نحو عشر سنوات عالماً في درجة كبار علماء عصره، ثم جعلت منه إمام عصره، كما نفسر هٰذه الكثرة الهائلة من مؤلَّفاته المتقنة الرائعة في فترة لا تتجاوز خمساً وعشرين سنة، هي كل عمره في العلم تعلُّماً وتعليماً وتأليفاً». انتهى.

(٢) «القانون (في الطب)» كتاب لأبي علي حسين بن عبدالله المعروف بـ (ابن سينا)، المتوفى سنة (٤٢٨ هـ).

/٦ وعـزمتُ على الاشتغـال فيه، فأظلم عليَّ قلبي، وبقيتُ أياماً / لا أقدر على الاشتغال بشيءٍ، ففكرتُ في أمري، ومن أين دخلَ عليَّ الداخل؟ فألهمني الله تعـالى أن سببـه اشتغالي بالطبِّ، فبِعْتُ في الحال الكتاب المـذكور، وأخرجتُ من بيتي كلَّ ما يتعلق بعلم الطب، فاستنار قلبي، ورجع إليَّ حالي، وعدتُ إلى ما كنتُ عليه أولاً»[1].



(١) انظر تعليق السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧) على هٰذه الحادثة، والجواب على: كيف يقول الإمام النووي هٰذا؟ وقد قال حرملة بن يحيى:

«إن الشـافعي يتلهَّف على ما ضيَّع المسلمـون من الـطب، ويقول: ضيَّعوا ثلث العلم، ووكلوه إلى اليهود والنَّصارى»!!

فصل

ذكر لي - رحمه الله تعالى - قال:

«كنت مريضاً بالمدرسة الرّواحيَّة، فبينا أنا في بعض الليالي في الصُّفَّة الشرقية منها، ووالدي وإخوتي وجماعة من أقاربي نائمون إلى جانبي؛ إذ نشَّطني الله، وعافاني من ألمي، فاشتاقت نفسي إلى الذِّكر، فجعلتُ أسبِّح، فبينا أنا كذلك بين الجهر والإسرار؛ إذا شيخٌ حسنُ الصورةِ، جميلُ المنظرِ، يتوضَّأُ على حافَّةِ البِرْكَة وقتَ نصفِ الليلِ، أو قريب منه، فلما فرغ مِن وضوئه؛ أتاني، وقال لي: يا ولدي! لا تذكر الله تعالى وتهوِّش على والدك وإخوتك وأهلك ومَن في هٰذه المدرسة. فقلتُ: يا شيخ! مَن أنت؟ قال: أنا ناصحٌ لك، ودَعْني أكونُ مَن كنتُ. فوقع في نفسي أنَّه إبليس، فقلتُ: أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم، ورفعتُ صَوْتي بالتسبيحِ، فأعْرَضَ، ومشى إلى ناحيةِ باب المدرسة، فانتبه والدي والجماعة على صوتي، فقمتُ إلى باب المدرسة، فوجدتُه مقفلاً، وفتشتُها، فلم أجد فيها أحداً غير مَن كان فيها / فقال لي والدي: يا يحيى! /٧/ ما خبرك؟ فأخبرتُه الخبر، فجعلوا يتعجَّبون، وقعَدْنا كُلُّنا نسبِّحُ ونذكُر»[1].



(١) راجع: «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٥)، و«المنهاج السوي» (لوحة ٥ / ب - ٦ / أ)، و«الإمام النووي وأثره في الفقه الإسلامي» (ص ٥٢ - ٥٣)، و«الإمام النووي وجهوده في التفسير» (ص ٣٨)، و«الإمام النووي» (١٣٥ - ١٣٦) للدَّقر.

فصل

في ذكر شيوخه في الفقه

وأذكرهم مسلسلاً مني إلى رسول الله ﷺ :

أما أنا؛ فقرأتُ عليه الفقهَ؛ تصحيحاً وعرضاً وشرحاً وضبطاً خاصاً وعـاماً، وعلومَ الحديث؛ مختصَرَه وغيرَه؛ تصحيحاً وحفظاً وشرحاً وبحثاً وتعليقاً خاصاً وعاماً.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ رفيقاً بي، شفيقاً عليّ، لا يمكِّن أحداً من خدمته غيري؛ على جَهدٍ مني في طلب ذٰلك منه، مع مراقبته لي ـ رضي الله عنه[1] ـ في حركاتي وسكناتي، ولطفه بي في جميع ذٰلك، وتواضعه معي في جميع الحالات، وتأديبه لي في كل شيء حتى الخطرات، وأعجز عن حصر ذٰلك.

وقرأتُ عليه كثيراً من تصانيفه ضبطاً وإتقاناً.

وأذِنَ لي ـ رضي الله عنـه ـ في إصـلاح ما يقـع لي في تصانيفهِ، فأصلحْتُ بحضرتِه أشياء، فكتَبَهُ بخطِّهِ، وأقرَّني عليه، ودفَعَ إليَّ ورقةً بعدَّة الكتب التي كان يكتب منها، ويصنِّف بخطه، وقال لي:

«إذا انتقلتُ إلى الله تعالى؛ فأتْمِمْ «شرح المهذَّب» من هٰذه الكتب».

فلم يقدَّر ذٰلك لي.

---

(١) إن الترضي يختص بالصحابة بـالتبعية، وأمـا غيرهم فيقـال في حقهم: «رحمهم الله تعالى»، ونحوه.

وكانت مدة صحبتي له؛ مقتصراً عليه دون غيره، من أول سنة سبعين وست مئة وقبلها / بيسير إلى حين وفاته. /٨/

قال ـ رحمه الله[1] ـ:

«أخذتُ الفقه؛ قراءةً وتصحيحاً وسماعاً وشرحاً وتعليقاً عن جماعاتٍ:

أوَّلهم: شيخي: الإمام، المتفق على علمه، وزهده، وورعه، وكثرة عباداته، وعظم فضله، وتميُّزه في ذلك على أشكالِه: أبو إبراهيم إسحاق ابن أحمد بن عثمان المغربي ثم المقدسي[2] ـ رضي الله عنه ـ [وأرضاه، وجمع بيني وبينه وبين سائر أحبابنا في دار كرامته مع من اصطفاه].

(١) في «تهذيب الأسماء واللغات» (١ / ١٨ ـ ١٩)، و«المجموع» (٢ / ٣٧٩ ـ مختصراً)، وما بين المعقوفتين سقط من الأصل، واستدركتُه من «التهذيب»، ونقله عن المصنِّف: السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (٦٤ ـ ٦٥)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٩٩ ـ ١٠٠).

(٢) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية الكبرى» (٥ / ٥٠)، و«البداية والنهاية» (١٣ / ٢١٣)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٢٤٩)، وقال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧):

«وكان معظم انتفاعه عليه».

وقال السيوطي في «المنهاج السوي» (لوحة ٦ / ب):

«وأخذ الفقه عن شيخه إسحاق المغربي، وكان يتأدَّب معه كثيراً، ويملأ له الإبريق، ويحمله معه إلى الطهارة»!

قلت: وهٰذه عبارة ابن العطار ـ وستأتي قريباً ـ في شيخه الرَّبَعي!

ثم شيخنا: الإمام، العارف، الزاهد، العابد، الورع، المتقِنُ، مفتي دمشق في وقته: أبو محمد عبدالرحمٰن بن نوح بن محمد بن إبراهيم ابن موسى المقدسي ثم الدمشقي ـ رحمه الله تعالى[1] ـ.

ثم شيخنا: أبو حفص عمر بن أسعد بن أبي غالب الرَّبَعي[2] ـ بفتح الراء والباء ـ الأربلي الإمام المتقن المفتي ـ رضي الله عنه ـ».

وأدركتُه أنا، وحضرتُ بين يديه، وسمعتُ عليه «جزء أبي الجهم العلاء بن موسى الباهلي»، وكان شيخُنا كثيرَ الأدبِ معه، حتى كنَّا في الحلقة يوماً بين يديه، فقام منها، وملأ إبريقاً، وحمله بين يديه إلى الطَّهارة ـ رحمهما الله، ورضي عنهما ـ.

قال:

«ثم شيخنا: الإمام، العالم، المجمع على إمامته، وجلالته، وتقدُّمه في علم المذهب على أهل عصره بهٰذه النواحي أبو الحسن بن سلَّار بن الحسن الأربلي ثم الحلبي ثم الدمشقي[3] ـ رضي الله عنه ـ».

---

(١) انظر ترجمته في «طبقات الشافعية الكبرى» (٥ / ٧١)، و«البداية والنهاية» (١٣ / ١٩٥)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٢٦٥).

(٢) انظر ترجمته في «طبقات الشافعية الكبرى» (٥ / ١٣٠)، و«ترجمة الإمام النووي» (ص ٧ ـ ٨)، وجاءت العبارة المذكورة فيه مختصرة، مع تصحيف، ففيه: «وسمعتُ عليه رأي الجهم»!!

(٣) انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (١٣ / ٢٦٢)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣٣١).

وأدركتُه أنا، وحضرتُ جنازته مع شيخنا ـ رحمهما الله تعالى ـ.

قال:

«وتفقـه شيوخنا الثلاثة المذكورون / أوَّلاً علي شيخهم أبي عمرو /٩/ عثمان بن عبدالرحمٰن بن عثمان المعروف بابن الصلاح، وتفقَّه هو على والده، وتفقَّه والدُه في طريقة العراقيين على أبي سعدٍ عبدالله بن محمد بن هبة الله بن علي بن أبي عصرون الموصلي، وتفقه أبو سعد على القاضي أبي علي الحسن بن إبـراهيم الفـارقي، وتفقه الفارقي على أبي إسحاق الشيرازي، وتفقه [الشيخ] أبو إسحاق على القاضي أبي الطيب طاهر بن عبدالله الطبري، وتفقه أبو الطيب على أبي الحسن محمد بن علي بن سهل ابن مصلح الماسرجسي، وتفقَّه الماسرجسي على أبي إسحاق إبراهيم بن محمد[1] المروزي، وتفقه أبو إسحاق على أبي العباس أحمد بن عمر بن سريج، وتفقه ابن سريج على أبي القاسم عثمان بن بشَّار الأنماطي، وتفقه الأنماطي على أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، وتفقه المزني على أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي [رضي الله عنه]، وتفقه الشافعي على جماعات؛ منهم:

أبو عبدالله مالك بن أنس؛ إمام المدينة.

ومالك على ربيعة عن أنس، وعلى نافع عن ابن عمر؛ كلاهما عن النبي ﷺ.

---

(١) في مطبوع «تهذيب الأسماء واللغات» (١ / ١٨): «أحمد».

والشيخ الثاني للشافعي: سفيانُ بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عمر وابن عباس [رضي الله عنهم].

والشيخ الثالث للشافعي: أبو خالد مسلم بن خالد مفتي مكة، وإمام /١٠/ أهلها / .

وتفقه مسلم على أبي الوليد عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج، وتفقه ابن جريج على أبي محمد عطاء بن أسلم أبي رباح، وتفقه عطاء على أبي العباس عبدالله بن عباس، وأخذ ابن عباس عن رسول الله ﷺ، وعن عمر بن الخطاب، وعليّ، وزيد بن ثابت، وجماعات من الصحابة - رضي الله عنهم - عن رسول الله ﷺ.

هٰذه طريقة أصحابنا العراقيين.

وأما طريقة أصحابنا الخراسانيين؛ فأخَذْتُها عن شيوخنا المذكورين، وأخذها شيوخنا الثلاثة المذكورون عن أبي عمرو عن والده عن أبي القاسم البزري - بتقديم الزاي على الراء - [الجزري] عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي إلكِيَا الهَرَّاسيّ[1] عن أبي المعالي عبدالملك بن عبدالله بن

(١) الكِيَا - بكسر الكاف وفتح الياء وبعدها ألف - معناه في اللغة العجمية: الكبير القدر، المقدَّم بين الناس، والهَرَّاسي؛ فارسية، بمعنى الذعر، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، الفقيه، الشافعي، من أهل طبَرِسْتان، خرج إلى نَيْسابور، وتفقه على إمام الحرمين الجُوَيْني حتى برع، وكان فصيحَ العبارة، حلو الكلام، توفي سنة (٥٠٤ هـ).

انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» (١ / ٣٢٧)، و«مرآة الزمان» (٨ / ٣٧)، و«إعجام الأعلام» (١٧٤)، و«الأعلام» (٤ / ٣٢٩).

يوسف [بن عبدالله بن يوسف] إمام الحرمين عن والده أبي محمد عن أبي بكر عبدالله بن أحمد القفال المروزي الصَّغير ـ وهو إمام طريقة خراسان ـ عن أبي زيد محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد المروزي عن أبي إسحاق المروزي عن ابن سريج ؛ كما سبق .

وتفقه شيخُنا الإمام أبو الحسن سَلّار على جماعات ؛ منهم الإمام أبو بكر الماهاني ، وتفقه الماهاني على ابن البزري بطريقه السابق ، والله أعلم» .

فمعرفة هذه السلسلة من النفائس ، والمهم الذي يتعين على الفقيه / والمتفقه علمه ، ويقبُح به جهله ، فالشيوخ في العلم آباء له في الدين ، /١١/ ووصلةٌ بين العبد وبين ربِّ العالمين .

قال يحيى بن معاذ الرازي ـ رحمه الله ـ :

«العلماء أرأفُ بأمَّةِ محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم ؛ لأنهم يحفظونهم [من نار الآخرة وأهوالها ، وآباؤهم وأمَّهاتهم يحفظونهم][1] من الدنيا وآفاتها» .

يعني : الآباء العلماء ، وأما الآباء الجهال ؛ فلا يحفظونهم لا في الدُّنيا ، ولا في الآخرة ، والله أعلم .



(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل .

فصل

في شيوخه الذين أخذ عنهم أصول الفقه

قرأ على جماعة؛ أشهرهم وأجلهم: العلامة القاضي أبو الفتح عمر ابن بُنْدار بن عمر بن علي بن محمد التفليسي الشافعي[1] ـ رحمه الله ـ؛ قرأ عليه «المنتخب» للإمام فخر الدين الرازي، وقطعة من كتاب «المستصفى» للغزالي، وقرأ غيرهما من الكتب على غيره[2].



(١) انظر: «البداية والنهاية» (١٣ / ١٦٧)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٥ / ١٣٠)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣٣٧)، و«طبقات الإسنوي» (١ / ٣١٧).
والمذكور في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٠)، و«المنهاج السوي» (ص ٣٧).

(٢) ذكر الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٦) ما عند المصنف.

فصل

فيمن أخذ عنه اللغة والنحو والتصريف

أول من أخذ عنه ذلك: فخر الدين المالكي ـ رحمه الله ـ؛ ذكر لي الشيخ ـ رحمه الله ـ أنه قرأ عليه كتاب «اللُّمع» لابن جُنِّي[1].

وأنه قرأ على الشيخ أبي العباس أحمد بن سالم المصري[2] النحوي اللغوي التصريفي بحثاً كتابَ «إصلاح المنطق» لابن السكيت، وكتاباً في التصريف. قال:

«وكان لي عليه درس؛ إما في سيبويه، وإمَّا في غيره». الشك مني[3].

وقرأ على شيخنا العلامة أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن / /١٢/ مالك الجيَّاني[4] ـ رحمه الله ـ كتاباً من تصانيفه، وعلق عليه شيئاً.

وأشياء كثيرة غير ذلك[5].

---

(١) انظر: «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٠)، و«المنهاج السوي» (ص ٣٧)، و«تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٦).

(٢) انظر: «شذرات الذهب» (٥ / ٣١٤)، و«مرآة الجنان» (٤ / ١٦٣).

(٣) نقله عن المصنِّف: السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٠)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٣٧ ـ ٣٨).

(٤) وهو صاحب «الألفية» النحوية المشهورة باسم «الخلاصة». انظر: «البداية والنهاية» (١٣ / ٢٦٧)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٥ / ٢٨)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣٣٩)، و«طبقات الإسنوي» (٢ / ٤٥٤).

(٥) نقله عن المصنِّف: الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٦)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٠)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٣٨).

فصل

فيمن أخذ عنه فقه الحديث وأسماء رجاله وما يتعلق به

أخذ فقه الحديث عن الشيخ المحقق أبي إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادي الأندلسي[1] الشافعي ـ رحمه الله ـ شرح عليه «مسلماً»، ومعظم «البخاري»، وجملة مستكثرة من «الجمع بين الصحيحين» للحميدي[2].

وأخذ «علوم الحديث» لابن الصلاح عن جماعة من أصحابه[3].

وقـرأ على الشيخ أبي البقـاء خالد بن يوسف بن سعد النابلسي[4] الحافظ كتاب «الكمال في أسماء الرجال» للحافظ عبدالغني المقدسي، وعلق عليه حواشي، وضبط عنه أشياء حسنة[5].

---

(١) انظر ترجمته في «طبقات الإسنوي» (٢ / ٤٥٣)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣٢٦)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٥ / ٤٨).

(٢) نقله عن المصنف: السخـاوي في «تـرجمـة الإمـام النـووي» (ص ١٠)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٣٨).

(٣) ذكـر صاحب «المنجد» (ص ٥٤٣) أنَّ الشيخ محيي الدين النووي قد أخذ الكثير عن ابن الصَّلاح، وأبي طاهر السِّلَفي، والصَّواب أنه لم يأخذ عنهما شيئاً.

انظر: «عثرات المنجد» (ص ٥٩٠).

(٤) انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٤٧)، و«البداية والنهاية» (١٣ / ٢٤٦)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣١٣).

(٥) نقله عن المصنِّف: الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٦)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٠)، وزاد: =

فصل

في الكتب التي سمعها

سمع «البخاري»، و«مسلماً»، و«سنن أبي داود»، و«الترمذي»، وسمع «النسائي» بقراءته، و«موطأ مالك»، و«مسند الشافعي»، و«أحمد ابن حنبل»، و«الدارمي»، و«أبي عوانة الإسفرائيني»، و«أبي يعلى الموصلي»، و«سنن ابن ماجه»، و«الدَّارَقُطْنِيِّ»، و«البيهَقِي»، و«شرح السنة» للبغوي، و«معالم التنزيل» في التفسير له، وكتاب «الأنساب» للزبير ابن بكار[1]، و«الخطب النباتية»[2]، و«رسالة القشيري»، و«عمل اليوم والليلة» لابن السُّنِّي، وكتاب «آداب السامع / والراوي» للخطيب، وأجزاء /١٣/ كثيرة غير ذلك.

نقلتُ ذلك جميعَه من خطِّ الشيخ ـ رحمه الله ـ.

وقُرِىءَ عليه «البخاري»، و«مسلم»؛ بدار الحديث الأشرفية[3]

= «وكذا رأيتُه علَّق فوائد على «الأنساب» لابن الأثير».

قلتُ: يعني «اللباب».

والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٣٩).

(١) في الأصل: «للسمعاني»، وضرب عليها، وجاء بعدها: «للزبير بن بكار».

(٢) تأليف أبي يحيى عبدالرحمٰن بن محمد بن محمد الفارقي، المتوفى سنة (٣٧٤ هـ)، لها شروح عديدة، انظرها في «كشف الظنون» (١ / ٧١٤).

(٣) جوار باب القلعة الشرقي، غربي العصرونية، وشمالي القيمازية الحنفية، كانت داراً للأمير قايماز بن عبدالله النجمي، وله بها حمام، فاشترى ذلك الملك الأشرف مظفر =

سماعاً وبحثاً.

وحضرت «مسلماً»، وأكثر «البخاري»، وقطعة من «سنن أبي داود».

وقُرِئَ عليه «الرسالة» للقُشَيْري، و«صفوة الصفوة»، وكتاب «الحجة على تارك المحجة» لنصر المقدسي؛ بحثاً وسماعاً.

وحضرتُ معظم ذٰلك، وعلقتُ عنه أشياءَ في ذٰلك وغيره، فرحمه الله، ورضي عنه[1].



= الدين موسى بن العادل وبناها دار حديث، وأخرب الحمام، وبناه سكناً للشيخ المدرِّس بها.

انظر: «الدارس في تاريخ المدارس» (١ / ١٩)، و«خطط الشام» (٦ / ٧٣).

وولي الشيخ الإمام النووي دار الحديث بعد الشيخ شهاب الدين أبي شامة، وكان لا يتناول من معلومها شيئاً، بل يتقنع بما يبعث إليه أبوه.

(١) نقله عن المصنِّف: السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١١)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٤٢).

فصل

في شيوخه الذين سمع منهم

سمع أبا الفرج عبد الرحمٰن بن أبي عمر محمد بن أحمد المقدسي[1]، وهو أجل شيوخه، وأبا محمد إسماعيل بن أبي إسحاق إبراهيم بن أبي اليسر[2]، وأبا العباس أحمد بن عبدالدَّائِم[3]، وأبا البقاء خالد النَّابلسيّ[4]، وأبا محمد عبدالعزيز بن أبي عبدالله محمد بن عبدالمحسن الأنصاري[5]، والضياء بن تمام الحنفي، والحافظ أبا الفضل محمد بن محمد بن محمد البكري[6]، وأبا الفضائل عبدالكريم بن عبدالصمد[7] خطيب دمشق، وأبا محمد عبدالرحمٰن بن سالم بن يحيى

---

(١) انظر ترجمته في: «البداية والنهاية» (١٣ / ٣٠٢)، و«تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٩٢)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣٧٦).

(٢) انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (١٣ / ٢٦٧)، و«تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٩٠)، و«فوات الوفيات» (١ / ١٧٠)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣٣٨).

(٣) انظر ترجمته في: «البداية والنهاية» (١٣ / ٢٥٧)، و«تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٧١)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣٢٥).

(٤) مضى (ص ٦٢).

(٥) انظر ترجمته في: «تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٤٣)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣٠٩)، و«مرآة الجنان» (٤ / ١٦٠)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٥ / ١٠٨).

(٦) انظر ترجمته في: «تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٤٤)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٢٧٤).

(٧) انظر ترجمته في: «البداية والنهاية» (١٣ / ٢٤٣)، و«تذكرة الحفاظ» (٤ / =

الأنباري[1]، وأبا زكريا يحيى بن أبي الفتح الصيرفي الحراني[2]، وأبا إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي[3]، وغيرهم.

وسمعتُ أنا من معظم شيوخه[4].



= ١٤٤٣)، و «شذرات الذهب» (٥ / ٣٠٩).

(١) انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٥٣).

(٢) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٥ / ٣٦٣)، و«تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٧١).

(٣) انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (١٣ / ٣٣٣)، و«تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٧٧)، و «شذرات الذهب» (٥ / ٤١٩).

(٤) نقل جل ما في هٰذا الفصل: الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٥ ـ ٥٧٦)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١١) ـ وزاد عليه، فانظره إن شئت ـ والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٤٠ ـ ٤١).

فصل

وسمع منه خلقٌ / كثيرٌ؛ من العلماء، والحفَّاظ، والصُّدور، /١٤/ والرؤساء، وتخرَّج به خَلْقٌ كثيرٌ من الفقهاء، وسار عِلمُهُ وفتاويه في الآفاق، ووقع على دينِه وعلمه وزهده وورعه ومعرفته وكرامته الوِفَاقُ، وانتفعَ الناسُ في سائر البلاد الإسلامية بتصانيفِهِ، وأكبُّوا على تحصيل تواليفه، حتى رأيتُ مَن كان يشنؤها في حياته مجتهداً على تحصيلها والانتفاع بها بعد مماته، فرحمه الله، ورضي عنه، وجمع بيننا وبينه في جنَّاته[1].



---

(١) نقله عن المصنف: السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٤٢)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٣٠ و٣١)، وسرد أسماء كثير من تلاميذه، وكذلك فعل ـ قبله ـ الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٦).

وانظر ثبتاً فيهم في كتب المعاصرين؛ من مثل: «الإمام النووي» لعبدالغني الدقر (ص ١٠٥ ـ ١٠٩)، و«الإمام النووي وأثره في الفقه الإسلامي» (ص ١١٧ ـ ١٣٥)، و«الإمام النووي وجهوده في التفسير» (٦٨ ـ ٧١)، وذكر السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٥٢) بعض من أخذ عنه، ولم يستوعب، ولا قارب.

«ومن أشهرهم: أبو عبدالله محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي (ت ٧٣٣ هـ)، ومحمد بن أبي بكر بن إبراهيم المعروف بـ(ابن النقيب) (ت ٧٤٥ هـ)، وأبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمٰن الدمشقي المعروف بالحافظ المزي (ت ٧٤٢ هـ)، ومحمد بن أبي الفتح البعلي (ت ٧٠٩ هـ)، وأحمد بن فرح اللخمي الإشبيلي (ت ٦٩٩ هـ)، وإسماعيل بن إبراهيم الخبّاز (ت ٧٠٣ هـ)، وسليمان بن هلال الجعفري (ت ٧٢٥ هـ)».

فصل

وذكر لي ـ رحمه الله ـ أنه كان لا يضيع له وقتاً في ليلٍ ولا نهار؛ إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم، حتى في ذهابه في الطُّرق ومجيئه يشتغل في تكرار محفوظه، أو مطالعة، وأنه بقي على التحصيل على هٰذا الوجه نحو ستٍّ سنين.

ثم إنَّه اشتغل بالتصنيف، والإشغال، والإفادة، والمناصحة للمسلمين ووُلاتهم، مع ما هو عليه من المجاهدة لنفسه، والعمل بدقائق الفقه، والاجتهاد على الخروج من خلاف العلماء وإنْ كان بعيداً، والمراقبة لأعمال القلوب وتصفيتها من الشوائب؛ يحاسب نفسه على الخطرة بعد الخطرة.

وكان محققاً في علمه وفنونه، مدققاً في علمه وكل شؤونه، حافظاً لحديث رسول الله ﷺ، عارفاً / بأنواعه كلها؛ من صحيحه وسقيمه /١٥/ وغريب ألفاظه وصحيح معانيه واستنباط فقهه، حافظاً لمذهب الشافعي وقواعده وأصوله وفروعه، ومذاهب الصَّحابة والتَّابعين، واختلاف العلماء، ووفاقهم، وإجماعهم، وما اشتهر من ذٰلك جميعه، وما هُجر، سالكاً في كلِّها ذكر طريقة السلف، قد صرف أوقاته كلها في أنواع العلم والعمل، فبعضها للتصنيف، وبعضِها للتعليم، وبعضها للصَّلاة، وبعضها للتِّلاوة، وبعضها للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[1].

(١) نقله عن المصنف: الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٦ ـ ٥٧٧)، =

ذكـر لي صاحبُنا أبو عبدالله محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي الفاضل ـ نفع الله به ـ في حياة الشيخ ـ رحمه الله ـ قال:

«كنتُ ليلةً في أواخر الليل بجامع دمشق، والشيخ واقف يصلي إلى سارية في ظلمة، وهو يردِّدُ قوله تعالى:

﴿وقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَسْئولونَ﴾[1].

مِراراً، بحزنٍ وخشوعٍ، حتى حصل عندي من ذٰلك شيءٌ الله به عليم[2]».

وكـان ـ رحمـه الله ـ إذا ذكـر الصَّـالحينَ؛ ذكـرهـم بتعـظيم وتوقير واحترام، وسوَّدهم، وذكر مناقبهم وكراماتهم.



= والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (١١ و١٢)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (٤٢ و٤٣)، والذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٧٢)، وغيرهم.

(١) الصافات: ٢٤.

(٢) نقله عن المصنف: الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٧)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٣٦)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٤٣ و٤٤).

فصل

ذكر لي شيخُنا العارفُ القدوةُ المُسَلِّكُ وليُّ الدينِ أبو الحسن علي، المقيم بجامع بيت لهيا[1] خارج دمشق ـ رحمه الله ـ قال:

/١٦/ «كنتُ / مريضـاً بمرض يسمى: «النِّقْرِس»[2]؛ في رجليَّ، فعادَني الشيخُ محيي الدِّين ـ قدَّس الله روحه ـ، فلما جلس عندي؛ شَرَعَ يتكلَّم في الصبر».

قال:

«فكلَّما تكلَّم؛ جعل الألمُ يذهب قليلاً قليلاً، فلم يزل يتكلَّم فيه حتى زال [جميع الألم][3] كأن لم يكن قط».

قال:

«وكنتُ قبلَ ذلكَ لمْ أَنمِ الليلَ كُلَّه من الألمِ، فعرفتُ أنَّ زوالَ الألمِ من بركته ـ رحمه الله ـ»[4].

وذكـر لي صاحبنـا في القراءة على الشيخ ـ رحمه الله ـ لـ «معرفة

---

(١) قرية مشهورة بغوطة دمشق.

(٢) النِّقْرِس: مرض مؤلم، يحدث في مفاصل القدم، وفي إبهامها أكثر، وهو ما كان يسمَّى (داء الملوك).

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٤) نقله عن المصنف: الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٧)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٣٤)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٤٤).

السنن والآثار» للطحاوي؛ الشيخ العلامة المفتي رشيد الدين إسماعيل بن المعلم الحنفي ـ فسح الله في مدته ـ قال:

«عـذلتُ[1] الشَّيخَ محيي الـدين في عدم دخول الحمام، وتضييق عيشه في أكله، ولباسه، وجميع أحواله، وقلتُ له: أخشى عليك مرضاً يعطِّلك عن أشياء أفضل مما تقصده».

قال:

«فقال: إن فلاناً صام، وعبدَ الله حتى اخضرَّ عظمه».

قال:

«فعرفتُ أنه ليس له غرض في المقام في دارِنا هٰذه، ولا يلتَفِتُ إلى ما نحنُ فيه»[2].

---

(١) أي: لُمْتُ.

(٢) قال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٣٨):

«وفيما أدرجه الذَّهبي [في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٨)] في كلام ابن العطار مما لم أقف عليه في النّسخـة التي وقفتُ عليهـا؛ قال: وعـزم عليه الشيخ برهـان الـدين الإسكندراني أن يفطر عنده في رمضان، فقال: أحضر الطعام إلى هنا، ونفطر جملة. قال ابن العطار: فأفطرنا ثلاثين أو أكثر على لونين من الطعام، وكان الشيخ في بعض الأوقات يجمع إدامين». انتهى.

ولعـل في هذا مـا يشعر بمخـالفة مـا قالـه اليونيني في «ذيـل مرآة الـزمان» (٣ / ٢٨٨)، وابن كثير في «البداية والنهايـة» (١٣ / ٢٧٩) عنه: «ولم يجمـع بين إدامين»!

ولا تضارب، فجمع اللونين على مائدته لإكرام الناس، وهو مباح شرعاً، بل ومرغب فيه، أما هو بخاصّة نفسه فلم يأكل إلا طعاماً واحداً، والله أعلم.

ورأيتُ رجلاً من أصحابه قَشَّرَ خيارةً؛ ليطعمه إياها، فامتنعَ مِن أكلها، وقال:

أخشى أن ترطِّبَ جِسْمي، وتجلبَ النوم»[1].

وكان ـ رحمه الله ـ لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلةً واحدة بعد عشاء الآخرة، ولا يشرب إلا شربة واحدة عند السُّحر، وكان لا يشرب الماء المبرَّد[2]، وكان لا يأكل / فاكهة دمشق، فسألتُه عن ذٰلك، فقال: /١٧/

«دمشقُ كثيرةُ الأوقافِ وأملاكِ مَن هو تحت الحَجْر شرعاً، والتصرف لهم لا يجوز إلا على وجه الغبطة والمصلحة[3]، والمعاملة فيها على وجه المساقاة[4]، وفيها اختلاف بين العلماء، [ومَن جوزها؛ قال][5] بشرط

(١) نقلها عن المصنف: الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٧)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٣٨)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (٤٥).

(٢) كان قوته على أرضٍ يزرعها والدُه، ويرسل منها ما يقتات به على سبيل الضرورة؛ كما قال الكتبي في «عيون التواريخ» (٢١ / ١٦٠)، واليونيني في «ذيل مرآة الزمان» (٣ / ٢٨٨)، ونقله السخاوي في «ترجمة النووي» (٣٨ و٣٩) عن غير واحد من تلاميذِ الإمام؛ مثل: اللخمي، وابن الفخر، وسليمان الزُّرَعي.

(٣) الغِبْطة والمصلحة: كل ما يخدم مصلحة الجماعة، أو غالبه الناس لمصلحةٍ خاصة يتوصَّل إليها بالرأي والاجتهاد.

انظر: «العقيدة والشريعة في الإسلام» (ص ٢٥٥) لكولدتسيهر.

(٤) المساقاة: أن يستعمل رجلٌ رجلاً في نخيل، أو كروم؛ ليقوم بإصلاحها، على أن يكون له سهم معلوم مما تغلُّه.

انظر الخلاف فيها في «الخراج» لأبي يوسف (ص ٨٨).

(٥) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

المصلحة والغبطة لليتيم والمحجور عليه، والناس لا يفعلونها إلا على [جزء من][1] ألف جزء من الثمرة للمالك، فكيف تطيب نفسي بأكل ذلك؟!»[2].

وقال لي الشيخ العارف المحقق المكاشَف أبو عبدالرحيم محمد الإخميمي ـ قدَّس الله روحه، ونوَّر ضريحه ـ:

«كان الشيخ محيي الدين ـ رحمه الله ـ سالكاً منهاج الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولا أعلم أحداً في عصرِنا سالكاً على منهاجهم غيره».

وكتب شيخنا أبو عبدالله محمد بن الظهير الحنفي الأربليّ[3] ـ شيخ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) وزاد بعضهم على المذكور ما نصّه:

«وأيضاً، فغالب مَن يُطَعِّم أشجارُهُ؛ إنما يأخذ الأقلام غصباً أو سرقة؛ لأن أحد ما يهون عليه بيع أقلام أشجاره، وما جرت بذلك عادة، فتؤخذ تلك الأقلام سرقة، وتُطعم في أشجار النَّاس، فتطلع الثمرة في نفس القلم المغصوب، فيكون ملكاً لصاحب القلم لا لصاحب الشجرة، فيبقى بيعه وشراؤه حراماً». انتهى.

انظر: «ترجمة الإمام النووي» (ص ٣٧)، و«المنهاج السوي» (ص ٤٦)، و«تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٧٢)، و«ذيل مرآة الزمان» (٣ / ٢٨٨)، و«عيون التواريخ» (٢١ / ١٦٣ ـ ١٦٤).

وما نقل من تعليل فإنه من الورع الدقيق عند الإمام النووي، والمعتاد في (الغوطة) والبلاد كثيرة الأشجار السماح بأعواد التطعيم هبةً أو إهداءً، والتقليم أنفع للشجر، وقلّ أن يوجد بين الناس من يكره ذلك.

(٣) انظر ترجمته في: «البداية والنهاية» (١٣ / ٢٨٢)، و«فوات الوفيات» (٣ / ٣٠١)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣٥٩).

الأدب في وقتـه ـ كتاب «العمدة في تصحيح التنبيه» للشيخ ـ قدَّس الله روحه ـ، وسألني مقابلته معه بنسختي ؛ ليكون له روايةً عنه مني ، فلما فرغنا من ذٰلك ؛ قال لي :

«ما وصل الشيخ تقي الدين ابن الصَّلاح إلى ما وصل إليه الشيخ محيي الدين من العلم والفقه والحديث واللغة وعذوبة اللفظ والعبارة»[1].



---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٧)، و«ترجمة الإمام النووي» (ص ٣٦)، و «المنهاج السوي» (ص ٤٧).

فصل

صنَّف ـ رحمه الله ـ كتباً في الحديث والفقه عمَّ النفع بها / ، /١٨/ وانتشر في أقطار الأرض ذكرها ؛ منها :

«المنهاج في شرح صحيح مسلم»[1] .

ومنها : «المبهمات»[2] .

و «رياض الصالحين»[3] .

---

(١) قال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٢) :

«وهو عظيم البركة» .

وذكره السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٥٥)، وأفاد أنه قريب من أربع مجلَّدات ضخمات، مئة كرَّاس، طبع لأول مرة في مصر سنة (١٢٨٣ هـ ـ ١٨٦٦م)، ومن ثم في المطبعة المصرية في القاهرة دون تاريخ في (١٨ ج) في (٩ مج)، وانتشرت عنه النسخ المتداولة منه الآن (مصوَّرات بيروت)، وطبع أيضاً على هامش «إرشاد الساري» للقسطلاني، وألَّفه بعد سنة أربع وسبعين وست مئة ؛ كما صرح به فيه (١٢ / ٥٧) .

ولي عليه «ردود وتعقبات» وهي مطبوعة .

(٢) قال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٢) :

«اختصر فيها كتاب الخطيب أبي بكر البغدادي الحافظ في ذلك» .

قلت : وعنوان كتاب الخطيب : «الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة»، أما كتاب النووي ؛ فاسمه : «الإشارات إلى بيان الأسماء المبهمات»، مطبوع قديماً في الهند في ملْتان، سنة (١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢١م)، ومن ثم في مطبعة الخانجي في القاهرة، بتحقيق الدكتور عزّ الدين علي السيد، سنة (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤م)، وألفه في سنة سبع وستين وست مئة ؛ كما صرح به في خاتمته (ص ٦٢٢) .

(٣) قال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٢) : =

و «الأذكار»(١).

وكتاب «الأربعين»(٢).

و «التيسير في مختصر الإرشاد في علوم الحديث»(٣).

= «إنه جليلٌ لا يُستَغْنى عنه».

وقال السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦١):

«مجلد».

قلت: هو مطبوع مرات عديدة، انظرها في «ذخائر التراث العربي الإسلامي» (٢ / ٨٨٨ - ٨٨٩).

(١) ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٢)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦١) بهٰذا الاسم، وقال السيوطي:

«مجلد».

وسمَّاها صاحب «كشف الظنون» (١ / ٦٨٨ و٦٨٩): «حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدَّعوات والأذكار المستحبَّة في الليل والنهار»، وهو كتاب جليل نفيس لا يُستغنى عنه، ذكر فيه المؤلِّف عمل اليوم والليلة، وأذكاراً لمناسبات شتَّى، وقيل فيه:

«بِعِ الدار واشترِ الأذكار».

وطبع مرات عديدة مفرداً، ومع شرحه «الفتوحات الربَّانية»، وخرَّجه الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار»، وكلُّها مطبوعة، وانظر «ذخائر التراث العربي الإسلامي» (٢ / ٨٨٧).

(٢) ذكره له غير واحد، وفرغ منه مؤلِّفه سنة ثمانٍ وستين وست مئة، له شروح عدَّة، طبع مع بعضها ومفرداً مرات عديدة، انظر «ذخائر التراث العربي الإسلامي» (٢ / ٨٨٧).

(٣) ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٢) بعنوان: «التقريب والتبشير في معرفة سنن البشير»، وسماه صاحب «كشف الظنون» (١ / ٤٦٥): «التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير»، وسمَّاه السيوطي في «المنهاج السويّ» (ص ٦٤): «التقريب في علم الحديث»، وكذا في «هدية العارفين» (٢ / ٥٢٤)، ولكن فيه: =

ومنها: «الإرشاد»[1].

ومنها: «التحرير في ألفاظ التنبيه»[2].

و «العمدة في تصحيح التنبيه»[3].

و «الإيضاح في المناسك»[4].

= «في أصول الحديث».

نشره برشه في باريس سنة (١٩٠٢م)، مع ترجمة فرنسية، وفي مصر، عن المطبعة المصرية سنة (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م)، وسنة (١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م)، ومرة رابعة في بيروت، عن دار الكتاب العربي، سنة (١٤٠٥هـ) بتحقيق: محمد عثمان الخشت.

(١) طبع بعنوان: «إرشاد طُلاَّب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق»، بتحقيق وتخريج ودراسة: عبدالباري فتح الله السلفي، في مجلدين، عن مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة، سنة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، اختصره من «مقدمة ابن الصَّلاح»، ذكره في كتابه «روضة الطالبين» (١١ / ١٥٧).

(٢) طبع على هامش كتاب «التنبيه في الفقه على مذهب الإمام الشافعي» بمصر، عن مطبعة مصطفى البابي الحلبي، سنة (١٣٧٠هـ - ١٩٥١م) بعنوان: «التحرير في شرح ألفاظ التنبيه»، ونشره عبدالغني الدقر، سنة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، عن دار القلم، دمشق، بعنوان: «تحرير ألفاظ التنبيه»، أو «لغة الفقه»، وفرغ منه مؤلِّفه سنة إحدى وسبعين وست مئة.

(٣) ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٣)، وقال:
«وهو من قديم ما صنَّف، فلا يعتمدُ على ما فيه مخالفةً لحديث كتبه».
طبع في مصر، سنة (١٣٢٩هـ - ١٩١١م)؛ كما في «ذخائر التراث العربي الإسلامي» (٢ / ١٨٨)، وفرغ أستاذنا الدكتور محمد عقلة من تحقيقه، وهو قيد الطبع الآن.

(٤) طبع في مصر، طبع حجر، سنة (١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م)، وفي مكة المكرمة، =

و «الإيجاز في المناسك»، والمناسك الثالث والرابع والخامس والسادس[1].

ومنها: «التبيان في آداب حملة القرآن»[2].

= سنة (١٣١٦هـ - ١٨٩٨م)، وفي القاهرة، المطبعة الجمالية، سنة (١٣٢٩هـ - ١٩١١م)، وأخيراً عن دار الكتب العلمية، بيروت.

وذكره السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦١)، وقال:

«مجلد لطيف».

وسماه النووي في «شرح صحيح مسلم» (٩ / ٨٩):

«إيضاح المناسك الكبير».

(١) ذكرها السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦١) إلا السادس، وذكرها مع السادس السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٣)، وقال:

«قلتُ: وأحدها خاصّ بالنسوان».

وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٨) بعد أن ذكر «الإيضاح» و «الإيجاز»:

«وله أربع مناسك أخر».

قلت: طبع واحد منها في حيدر آباد بعنوان: «الإشارات».

وانظر «شرح صحيح مسلم» (٨ / ١٩٦ و٩ / ١٦٦).

(٢) ذكره النووي في «شرح صحيح مسلم» (٨ / ٤٣)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (٦٢)، وقال: «مجلد».

والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (١٢)، وقال:

«قلت: وهو نفيس لا يُستغنى عنه، خصوصاً القارىء والمقرىء».

طبع كتاب «التبيان» مرات عديدة، أقدم ما وقفتُ عليه في مصر سنة (١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م)، ومن ثم سنة (١٣٠٧هـ - ١٩٨٩م)، ومن ثم في القاهرة سنة (١٩٣٤م)، وفي بيروت مرات عديدة، منها دار الفكر، سنة ١٩٦٥م.

«ومختصره»[1].

ومنها: «مسألة الغنيمة»[2].

وكتاب: «القيام»[3].

ومنها: كتاب «الفتاوى»[4]، ورتَّبتُه أنا.

---

(١) منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الظاهرية، بدمشق، (رقم ٦٨٣٩)، واسمه: «مختار البيان».

(٢) ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٣)، وسمَّاه: «مسألة تخميس الغنائم»، وذكره الإمام النووي في «شرحه على صحيح مسلم» (١٢ / ٥٧)، فقال:
«وقد أوضحت هٰذا في جزء جمعتُه في قسمة الغنائم، حين دعت الضرورة إليه».
وتصحَّف في مخطوط «المنهاج السوي» (لوحة ٢٠ / أ)، وفي مطبوعه (ص ٦٤) إلى: «قسمة القناعة»، وفيه:
«قال الإسنوي: وهٰذا الكتاب من أواخر ما صنَّف، وهو مشتمل على نفائس».
ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة شستر بتي في إيرلندة؛ كما في مجلة «المورد» (مجلد ١ / عدد ١ ـ ٢ / صفحة ١٧١)، وقد انتهيت من تحقيقه، يسّر الله نشره.

(٣) طُبع بعنوان: «الترخيص بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام»، بتحقيق: أحمد راتب حمّوش، طبع في دمشق، عن دار الفكر، سنة (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م)، وقبل ذٰلك في مصر، دون تاريخ، وذكره السخاوي في «ترجمة النووي» (ص ١٢) بعنوان: «الترخيص في الإكرام والقيام»، وقال عقبه:
«قلت: لأهل الفضل ونحوهم».
وقد ذكر الكتاب برمَّته ابن الحاج في «المدخل»، وردَّ عليه فقرةً فقرةً.

(٤) ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٣)، وقال فيه (ص ١٥):
«وفتاوى أخر، رتَّبها بخطِّه ـ أي النووي ـ مما لم يذكر في فتاويه».
وقد سمَّاه صاحب «كشف الظنون» (٢ / ١١٨٨)، و«هدية العارفين» (٢ / ٥٢٥): =

ومنها: «الروضة في مختصر شرح الرافعي»(1).

= «عيون المسائل المهمة»، وطبعه عبدالقادر أحمد عطا في مصر، سنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) بعنوان: «المنثورات والمسائل المهمات»، وطبعه قبل ذلك الشيخ محمد الحجّار سنة (١٣٩١هـ)، ومن ثم سنة (١٣٩٨هـ)، في حلب، عن المطبعة العربية، بعنوان: «فتاوى الإمام النووي» المسماة: بـ «المسائل المنثورة»، وصوّرته دار الكتب العلمية في بيروت سنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ولم يرد لمحققه اسم عليه، مع وجود عمله في الهوامش، فجزى الله الظالمين بما يستحقون!

وذكره السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٥)، فقال:

«والمسائل المنثورة، وهي المعروفة بالفتاوى، وصنّفها غير مرتّبة، فرتّبها تلميذه ابن العطّار، وزاد عليها أشياء سمعها منه».

(1) ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٣)، وقال:

«قلت: وقد زاد فيها تصحيحات واختيارات حسان؛ كما صرّح به العماد ابن كثير».

إلى أن قال:

«وهي كاسمها فيما قاله ابن الملقّن».

وقال السيوطي في «المنهاج السوي» (٥٤ و٥٥):

«وهو بخطّه في أربع مجلّدات ضخمات، مئة كرّاس، وتقع غالباً في ستّ مجلّدات وثمانية، ورأيتُ بخطّه منها أنه ابتدأ في تأليفها يوم الخميس، الخامس والعشرين من رمضان سنة ست وستين وست مئة، وختمها يوم الأحد، خامس عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وستين، وهي عمدة المذهب الآن، وفيها يقول الإسنوي في «المهمات»:

وكانت أنفس ما تأثر من تصانيفه لبركات نفسه، وتأتي من ثمرات غراسه، غرس فيها أحكام الشرع، ولقّحها، وضمّ إليها فروعاً كانت منتشرة، فهذّبها، ونقّحها، فلذلك علا ينبوعُها، وبَسَقَتْ فروعُها، وطابت أُصولُها، ودَنَتْ قطوفها. . .

إلى أن قال:

وتلك منقبةٌ قد أطاب الله ذِكرها وثناها، وموهبة منقبة قد رفع سَمْكَها وبناها، ومن أسرَّ =

ومنها: «المجموع في شرح المهذب»[1] إلى باب المصرَّاة.

= سريرة حسنةً ألبَسَهُ الله رِداها».

وأطال السيوطي في الكلام عليها، ومما جاء فيه:

«وقد ذكر الأذرعيّ في «التوسُّط» أنه قد همَّ قبل موته بغسلها، فقيل له: سارت بها الرُّكبان، فقال: في نفسي منها أشياء».

وقد طبعها المكتب الإسلامي بدمشق سنة (١٩٦٦م - ١٩٧٠م)، وصدرت في اثني عشر مجلداً.

(١) وتعقَّبه السخاوي فقال في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٣):

«قلتُ: بل إلى أثناء باب الربا».

ثم قال نقلاً عن ابن العطار:

«ودفع لي ورقةً بتعيين موادِّه - مراجعه ومصادره - في تصنيفه، وقال لي: إذا انتقلتُ بالوفاة إلى رحمة الله تعالى، فأتْمِمْهُ منها، فلم يقدَّر لي ذٰلك».

ثم قال:

«قلتُ: وليتَهُ ذكر أسماءها لمن بعده، وإنْ كان يعلم تعيينها من الشرح، لكن كان ذٰلك أسهل وأضبط».

وقال السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٥٦):

«قال الإسنوي: وهٰذا الشرح من أجلِّ كتبه وأنفسها».

ثم قال:

«وقد شرع في تكميله جماعة، ولم ينهوه، فكتب الشيخ تقي الدين السبكي في الموضع الذي انتهى إليه أثناء التفليس». انتهى.

قلتُ: وصل فيه السبكي إلى (باب: بيع المصرَّاة، والرد بالعيب)، ولم يكمِّله، وأكمله بعده الأستاذ محمد نجيب المطيعي.

قال شيخنا الدكتور محمد عقلة في كتابه «أبو إسحاق الشيرازي وأثره في الفقه» (١/ ١٢٦): =

ومنها كتب ابتدأها، ولم يتمَّها؛ عاجلته المنية:

قطعة في «شرح التنبيه»[1].

وقطعة في «شرح الوسيط»[2].

= «والواقع أن شرح الإمام النووي لا يدانيه غيره، وهو شرح يتناول الأحكام الفقهية، ولغات الكتاب، وتخريج أحاديثه وآثاره، والترجمة لمن يرد ذِكْرُهُ من الأعلام، ولما يعرض من أسماء الأماكن والبلدان، ويتممه بفوائدَ وفروعٍ ذاتِ علاقة بالمسألة التي يشرحها، ثم يتناول مذاهب العلماء في المسألة، وأدلَّتهم، ولو قُدِّرَ له أن يكمل؛ لأغنى عن كتب كثيرة غيره».

وانظر في مدحه: «البداية والنهاية» (١٣ / ٢٧٩).

وقد طبع الكتاب في مصر عن مطبعة التضامن، سنة (١٣٤٤هـ - ١٩٢٠م) في (٩ج)، وفي القاهرة، عن زكريا علي يوسف، سنة (١٣٩٣هـ - ١٩٧٠م) في (١٧ج)، وصدر عن دار النصر بتحقيق الشيخ محمد نجيب المطيعي، في (٢٠ مج)، وهٰذه أفضل طبعاته، وعنها صُوِّر في بيروت عدة مرات.

(١) ذكره السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٢)، وقال:

«مطوَّل، سمَّاه: «تحفة الطالب النَّبيه»، ووصل فيه إلى أثناء الصلاة».

وقال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٣):

«وصل فيه إلى أثناء باب الحيض، ، وهو غير النبذ الذي رأيتُه في مجلد، فإنه قد شرح فيه مواضع من جميع الكتاب، وهو من أوائل ما صنف».

وقال البغدادي في «إيضاح المكنون» (١ / ٢٥٢):

«مطوَّل لم يكمل».

وعدَّه بعضهم من الكتب المفقودة.

(٢) ذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٨)، فقال:

«وقطعة جيدة من (الوسيط)».

والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٢)، فقال:

«و «شرح الوسيط» المسمى بـ «التنقيح»؛ قال الإسنوي: وصل فيه إلى شروط =

وقطعة في «شرح البخاري»[1].

وقطعة يسيرة في «شرح سنن أبي داود»[2].

= الصلاة. قال: وهو كتاب جليل من أواخر ما صنَّف، جعله مشتملاً على أنواع متعلقة به، ضرورية، كافية لمن يريد كثرة المسائل المأخوذة، والمرور على الفقه في زمن قليل؛ كتصحيح مسائله، وتوضيح أدلَّته، وذِكر أغاليطه، وحل إشكالاته، وتخريج أحاديثه، وأحوال الفقهاء المذكورين فيه، إلى غير ذلك من الأنواع التي أكثر منها، ولم يتعرَّض لفروعٍ غير فروع «الوسيط»؛ قال: وهي طريقة تيسر بها معاً إقراء «الوسيط» في كل عام مرَّة».

وعدَّه بعضهم من الكتب المفقودة.

وانظر «ترجمة الإمام النووي» للسخاوي (ص ١٤).

(١) قال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٢):

«انتهى فيها إلى كتاب العلم، وسمَّاه (التلخيص)».

وقال السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٣):

«كتب منه مجلدة».

وذكره الإمام النووي في «شرحه على صحيح مسلم» (١ / ١٢٤ و١٣٦).

وطبع الكتاب بعناية محمد منير الدِّمشقي في مصر، سنة (١٣٤٧هـ)، ضمن شروح أخرى، وكان حينذاك مقرر السنة الرابعة من القسم العالي الأزهري، واستلَّ منه صديقُنا الفاضل علي حسن عبدالحميد المقدمة، وعمل على تحقيقها، ونشرها باسم «ما تمسُّ إليه حاجة القاري لصحيح الإمام البخاري» في بيروت، عن دار الكتب العلمية، دون تاريخ.

(٢) قال السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٤):

«كتب منه يسيراً».

وقال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٢):

«وصل فيها إلى أثناء الوضوء، سمَّاها «الإيجاز»، وسمعتُ أن زاهد عصره الشهاب ابن رسلان وأودَعَها برمَّتها في شرحه الذي كتبه على السنن، وبنى عليها».

والكتاب ما زال مخطوطاً.

وقطعة في «الإملاء على حديث الأعمال بالنيات»[1].

وقطعة في «الأحكام»[2].

وقطعة كبيرة في «التهذيب للأسماء واللغات»[3].

---

(١) قال السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٤):
«لم يتمَّه».
وقال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٢):
«قلت: وسمَّى بعضُهم في تصانيفه «الأمالي» في الحديث في أوراق، وقال: إنه مهم نفيس، صنَّفه قريب موته، فلا أدري أهو الأول أو غيره».
وعدَّه بعضهم من الكتب المفقودة.

(٢) ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٢)، وقال:
«قلتُ: سمَّاها «خُلاصة الأحكام»، وصل فيها إلى أثناء الزَّكاة».
وقال أيضاً:
«قال ابن المُلَقِّن: رأيتُها بخطِّه، ولو كَمُلَتْ كانتُ في بابها عديمَة النَّظير، وقال غيره: إنه لا يستغني المحدِّث عنها، خصوصاً الفقيه».
وسمَّاه السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٤): «الخلاصة في الحديث».

(٣) ذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٨)، وقال:
«وقطعة كبيرة في (تهذيب الأسماء واللغات)».
والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٢ ـ ١٣)، وعرفه بقوله:
«السواقعة ـ أي: الأسماء واللغات ـ في «المختصر» للمُزني، و«الوسيط»، و«الوجيز»، و«التنبيه»، و«المهذب»، و«الروضة»، مات عنه مُسَوَّدةً، فبيَّضه المِزِّيُّ»!
وقال السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٠ ـ ٦١):
«مجلَّدان ضخمان، ويقع غالباً في أربعةٍ. قال الإسنوي: وقد مات عنه مُسَوَّدة، وبيَّضه الحافظ جمال الدين المِزِّي».
وفي هٰذا شيء، فقد وقفتُ على المجلَّد الأول بخطِّه مبيَّضاً بالخزانة المحموديَّة، =

وقطعة مُسَوَّدَة في «طبقات الفقهاء»[1].

ومنها قطعة في «التحقيق في الفقه»[2] إلى باب صلاة المسافر.

= لكن فيه بياضات يسيرة، وقد طُبع قسم الأسماء منه ـ لأول مرة ـ بعناية وستنفلد، في غوتنجن، سنة (١٨٤٧ ـ ١٨٤٩)، وفي القاهرة كاملاً، عن المطبعة المنيرية، سنة (١٩٢٧م)، ومن ثم في بيروت عن دار الكتب العلمية.

وانتزع منه عبدالرؤوف علي، وبسام الجابي، ما يتعلّق بالسيرة النبوية، وطبع باسم «السيرة النبوية» للنووي! في دمشق، عن دار البصائر، سنة ١٩٨٠م في (٩٦ صفحة).

(١) سمَّاه السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٤): «طبقات الشافعية»، وقال: «مجلَّد. قال الإسنوي: ومات عنها مسوَّدة، فبيَّضها المِزِّي».

وقال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٢):

«قلت: اختصر فيها كتاب أبي عمرو ابن الصلاح أيضاً في ذلك، وزاد عليه أسماء نبَّه عليها في ذيل كتابه. قال العماد ابن كثير: مع أنهما لم يستوعبا أسماء الأصحاب، ولا النِّصف من ذلك... والعذر عن النووي ـ رحمه الله ـ في ذلك أنه مات عنه مسوَّدة، وبيضه الحافظ الجمال المزي تلـ ـذه».

وما زال الكتاب مخطوطاً، ومنه نسخة خطية بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، (رقم ١٦٦ ـ تاريخ).

(٢) قال السيوطي في «المنهاج السويّ» (٦٣):

«وصل فيه إلى صلاة المسافر، ذكر فيه غالباً ما في «شرح المهذب» من الأحكام والخلاف على سبيل الاختصار».

وقال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٤):

«قلت: هو ـ كما قال ابنُ الملقِّن ـ نفيس. قال: وكأنه مختصر «شرح المهذب». وقال غيره: إنه ذكر فيه مسائل كثيرة محضة، وقواعد وضوابط لم يذكرها في «الروضة»، وقال في مقدمته: حصل عندي نحو مئة مصنَّف من كتب أصحابنا».

قلت: منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، برقم (١ / ٣٥٤ =

/١٩/ ومنها كتاب «المنهاج / في مختصر المحرر»(١) للرافعي، وشرح ألفاظ منه، ومُسَوَّدات كثيرة(٢).

= مجاميع)، وذكر مفهرسوها أنها نسخة وحيدة، منها صورة في خزانة كتبي، في بعض أوراقها نقص بمقدار كلمة أو كلمتين من أواخر كل سطر، ولعلّي أنشط في تحقيقها؛ متمماً النقص ـ ما استطعت ـ من «شرح المهذب»، والله المستعان، وعليه الاعتماد والتكلان.

(١) قال السيوطي في «المنهاج السوي» (٥٧):

«المنهاج مختصر المحرر، مجلَّد لطيف، ودقائقه نحو ثلاث كراريس، ورأيتُ بخطِّه أنه فرغ منه تاسع عشر رمضان سنة تسع وستين، وهو الآن عمدة الطالبين والمدرِّسين والمفتين».

ثم ذكر مَن امتدح الكتاب، وما يدلُّ على قيمته عند علماء عصر المصنِّف، وقصة له معه، فانظره إن شئت للاستزادة.

وكذا فعل السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٦ و١٧).

والكتاب مطبوع، له عدَّة شروح، انظر: «ذخائر التراث العربي الإسلامي» (٢ / ٨٨٩)، و «كشف الظنون» (٢ / ١٨٧٣ ـ ١٨٧٦).

(٢) ذكر السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٥) أن ابن العطار لم يستوعب تصانيف النووي، ولا قارب.

قلت: هٰذا صحيح، وإليك ما وقفتُ عليه من تصانيفه، وهي غير مذكورة عند ابن العطار، وبعضها مطبوع:

ـ **«الأصول والضوابط»**:

عدَّه السيوطي من الكتب التي لم يتمَّها الإمام النووي، إذ قال في «المنهاج السوي» (ص ٦٥):

«كُتب منه أوراقٌ قلائل».

وعرَّف به السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥)؛ إذ قال:

«وهي أوراق لطيفة، تشتمل على شيء من قواعد الفقه، وضوابط لذكر العقود اللازمة =

. . . .

= والجائزة، وما هو تقريب أو تحديد، ونحو ذٰلك».

وقد نسبه له جماعة منهم: صاحب «كشف الظنون» (١ / ١١٥)، وصاحب «هدية العارفين» (٢ / ٥٢٤).

وطُبِع الكتاب برمَّته في «مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي»، العدد الثالث، الصادر عام (١٤٠٠هـ)، بتحقيق الدكتور: محمد مظهر بقا، وفي «مجلة معهد المخطوطات العربية»، في الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين، بتحقيق الدكتور: محمد حسن هيتو، ومن ثم نشره على حدة عن دار البشائر الإسلامية، بيروت، (سنة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) في (٤٧ صفحة).

ــ «**بستان العارفين**»:

ذكره السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٤)، وقال:

«لم يتم».

وعرفه السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥) بقوله:

«في الزهد والتصوف، بديع جداً».

وذكره له أيضاً صاحب «كشف الظنون» (١ / ٢٤٤)، و«هدية العارفين» (٢ / ٥٢٤).

طُبِع في القاهرة، عن المطبعة المنيرية، سنة (١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م)، ومن ثم عن مطبعة محمد علي صبيح، سنة (١٩٦٧م)، ومن ثم بتحقيق محمد سعيد العرفي في حلب عن دار الدعوة سنة (١٩٧٠م)، وبتحقيق: محمد الحجار في سنة (١٣٩١هـ)فيها، وفي دمشق عن مطبعة زيد بن ثابت، سنة (١٤٠٥هـ)؛ بتحقيق عبدالغني نكمي، وفي بيروت عن دار الكتاب العربي، سنة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

ــ «**تحفة طلاب الفضائل**»:

ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥)، وقال:

«ذكـر فيه من التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، وضوابط ومسائل من العربية، وغير ذٰلك، جليل في معناه». =

= — «جامع السنة»:
ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٤)، فقال:
«شرعَ في أوائله، وكتب منه دون كراسة».
وعده بعضهم من الكتب المفقودة.
— «جزء مشتمل على أحاديث رباعيات»:
لم أقف على مَن ذكره له، ولكن قال في تعليقه على إسناد حديث في «شرح صحيح مسلم» (٢ / ٢٨):
«وفي هٰذا الإسناد طريفة، وهو أنه اجتمع فيه أربعة تابعيون».
ثم قال:
«وقد جمعتُ فيه ـ بحمد الله تعالى ـ جزءاً مشتملاً على أحاديث رباعيات، منها أربعةٌ صحابيُّون بعضهم عن بعض، وأربعةٌ تابعيُّون بعضهم عن بعض».
وقال في «شرح صحيح مسلم» (٩ / ١٩٦) أيضاً:
«. . . وقد أفردتُها في جزء مع رباعيات الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ».
— «حزب أدعية»:
ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥)، وقال:
«رأيتُه بمكة».
ولم يضمِّن النووي حزبه في أي كتاب من كتبه، وإنما أُخِذ عنه بواسطة تلاميذه، وهو مطبوع في دمشق، عن المكتب الإسلامي، سنة (١٣٨٢هـ)، وأخيراً مع شرح أبي عبدالله محمد بن الطيب الفاسي الشَّرَقيّ (ت ١١٧٥ هـ) في بيروت، عن دار الإمام مسلم، سنة (١٤٠٨هـ)، بتحقيق: بسام الجابي.
— «دقائق الروضة»:
قال السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٤):
«كتب منها إلى أثناء الأذان».
وقال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥): =

. . . .

= «وصل فيها إلى أثناء الصلاة، وهي نفيسة، سمَّاها: (الإشارات لما وقع في الروضة من الأسماء واللغات)».

وعده بعضهم من الكتب المفقودة.

ـ **«دقائق المنهاج»**:

ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٣)، وليحرر هل هو المقصود من كلام المصنف السابق: «والمنهاج»، و«شرح ألفاظ منه»؟!

ومنه نسختان مخطوطتان في مكتبة الأوقاف العامة بالموصل، تحت (رقم ١٠٨ / ٢٢ ـ مجموع)، وأخرى تحت (رقم ٦٥ / ٢٥ ـ مجموع).

ـ **«رؤوس المسائل»**:

ذكره السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٥)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥)، وحاجي خليفة في «كشف الظنون» (١ / ٩١٥)، وأفاد بأنه في الفروع في مجلد، وعدَّه بعضهم من الكتب المفقودة.

ـ **«مختصر آداب الاستسقاء»**:

ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥) بهٰذا العنوان، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٤)، بعنوان: «وجزء في الاستسقاء»، وقال:

«قال الإسنوي: وهو من أواخر تصانيفه وأنفعها».

وعدَّه بعضهم من الكتب المفقودة.

ـ **«مختصر أسد الغابة في معرفة الصحابة»**:

ذكره النووي في «التقريب والتيسير» (ص ٩٢)، فقال:

«وقد جمع الشيخ عز الدين بن الأثير الجَزَري في الصَّحابة كتاباً حسناً، جمع فيه كُتباً كثيرةً، وضبط وحقَّق أشياءَ حسنة، وقد اختصرتُه بحمد الله».

وذكره له السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥)، وعدَّه بعضهم من الكتب المفقودة. =

ـ «مختصر البسملة»:

ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥)، وقال:

«رأيتُه بخطه، وهو في «شرح المهذب» بتمامه».

والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٤)، وقال:

«أحال عليه في (شرح المهذب)».

قلت: هو فيه (م٣ ص٢٦٧ وما بعدها).

ـ «مختصر تأليف الدَّارِمي في المتحيرة»:

ذكره السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٤)، وقال:

«أحال عليه في (شرح المهذب)».

قلت: قال الإمام النووي في «المجموع شرح المهذب» (٢ / ٤٣٤):

«. . . حتَّى صنَّف الدارمي فيها مجلدة ضخمة ليس فيها غير مسألة المتحيرة، وتقريرها، وتحقيق أصولها، واستدراكات كثيرة استدركها هو على كثير من الأصحاب، وسترى ما أنقل منها هنا من نفائس التحقيق - إن شاء الله تعالى -، وقد كنتُ اختصرتُ مقاصد تلك المجلدة في نحو خمس كراريس، وقد رأيتُ الآن الاقتصار على نبذ يسيرة من ذٰلك».

ـ «مختصر التذنيب»:

ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٣)، وقال:

«سمَّاه مؤلِّفه «المنتخب»، وقد أسقط منه في آخر الفصل السادس أوراقاً تزيد على الكراس، فلم يختصرها».

وعدَّه بعضهم من الكتب المفقودة.

ـ «مختصر الترمذي»:

قال السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٤):

«مجلَّد، وقفتُ عليه بخطِّه، مُسَوَّدة، وبيَّض منه أوراقاً».

. . . .

= ـ «**مختصر التنبيه**»:

ذكـره السخـاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٥)، وقالا:

«كتب منه ورقة واحدة».

وعدَّه بعضهم من الكتب المفقودة.

ـ «**مسألة نية الاغتراف**»:

ذكره السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥)، وعدَّه بعضهم من الكتب المفقودة.

ـ «**المقاصد**»:

رسـالة صغيرة في التوحيد والعبادات، طبعت عدة مرات، أوَّلها ـ فيما أعلم ـ في بيروت، عن المطبعة الأهلية، سنة (١٣٢٤هـ ـ ١٩٠٦م) في (١٦ ص)، ومن ثم في سورية عن دار الأرقم، دون تاريخ، ولم يذكـرها مترجمو النووي له فيما وقفتُ عليه، ونسبها له الزِّرِكْلي في «الأعلام» (٩ / ١٨٥)، وشكَّك بعضهم في صحة نسبتها للإمام النووي!

ـ «**مناقب الشافعي**»:

ذكره السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٤)، وقال:

«أحال عليه في (شرح المهذب)».

والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥)، وقال:

«اختصر فيه كتاب البيهقي الحافل في ذلك بحذف الأسانيد، وهي في مجلَّد».

وذكره الزِّرِكْلي في «الأعلام» (٩ / ١٨٤) ضمن كتبه المخطوطة.

ـ «**مُهِمَّات الأحكام**»:

ذكـره السخـاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٣)، وقالا:

«هو قريب من التحقيق في كثرة الأحكام، إلا أنه لم يذكر فيه خلافاً، وقد وصل فيه =

. . . .

= إلى أثناء طهارة الثَّوب والبدن».

وعدَّه بعضهم من الكتب المفقودة.

ـ «**المنتخب من كتاب التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد**»:

ذكره التجيبي في «برنامجه» (ص ٢٦٠)، وقال:

«تـأليف: الحـافظ أبي بكر محمد بن عبدالغني بن نقطة البغدادي، رحمه الله، انتخبه محيي الدين أبو زكريا النواوي ـ رحمه الله تعالى ـ».

هٰذا ما وقفتُ عليه من كتب الإمـام النـووي بعد الفحص والتتبع، ورأيتُ له كتباً أُخرى، بعضها أشك في صحة نسبتها للإمام النووي، وأخرى مستلَّة من بعض كتبه، وثالثة ليست له على وجه اليقين.

* **فمن المجموعة الأولى (أشك في صحة نسبتها)**:

ـ «**تحفة الوالد وبغية الرائد**»:

ذكره له صاحب «هدية العارفين» (٢ / ٥٢٤).

ـ «**شرح مشكاة الأنوار فيما روي عن الله سبحانه من الأخبار**».

ذكره له صاحب «كشف الظنون» (٢ / ١٦٩٤).

ـ «**غيث النفع في القراءات السبع**».

ذكره له صاحب «إيضاح المكنون» (٢ / ١٥٢)، و«هدية العارفين» (٢ / ٥٢٥)، وفيه أنه مطبوع!!

قلت: نعم، هو مطبوع، لكن للسفاقسي!

ـ «**المبهم من حروف المعجم**»:

ذكره له صاحب «إيضاح المكنون» (٢ / ٤٢٥).

ـ «**مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**»:

ذكره له صاحب «كشف الظنون» (٢ / ١٦٩٤)، ومنه نسخة خطية في مكتبة الأوقاف العامة بالموصل، تحت (رقم ٤٣ / ٢٣ ـ مجموع)، وليحرر، ولم أقف على المخطوط. =

. . . .

= **ــ «منار الهدى في الوقف والابتدا»**:

ذكره له الزِّركْلِي في «الأعلام» (٩ / ١٨٥)، وقال:

«إنه مطبوع».

قلت: المعروف أن الكتاب المذكور للأشموني، فلعل نسبته للإمام النووي خطأ، وليحرر.

ــ «شروط الوضوء»:

ذكره له الأستاذ خضر إبراهيم سلامة في «مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى» (١ / ١٢٦) تحت (رقم ١٤١ فقه ١٩/ ٣٥/ ٢)، فقال:

«منظومة في شروط الوضوء، وهي خمسة عشر بيتاً من الشعر».

قلت: جاء في الكتاب نفسه (١ / ١٢٣) عند الكلام على شرح الرملي لها:

«والرسالة شرح لخمسة عشر بيتاً في الشعر في شروط الوضوء، نظمها النووي، وقيل: العراقي»!!

*** ومن المجموعة الثانية (مستلَّة من بعض كتبه)**:

ما قدمنا الحديث عنه في هامش (ص ٨٣ و٨٥) بخصوص كتابَي:

ــ «السيرة النبوية».

ــ «ما تمس إليه حاجة القاري لصحيح الإمام البخاري».

ومن هٰذه المجموعة أيضاً:

ــ «أدب المفتي والمستفتي»:

قال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥):

«وأفرد من (شرح المهذب): (أدب المفتي والمستفتي)».

وعدَّ الأستاذ شحادة العَمْري كتاب «تحفة طلاب الفضائل» في رسالته «الإمام النووي وجهوده في التفسير» (ص ٨٠) مفرداً من «شرح المهذب»!! وهٰذا خطأ، واعتمد على نقل السخاوي المشار إليه سابقاً في كتاب «أدب المفتي والمستفتي»، والكتاب في مقدمة =

. . . .

= «المجموع» (١ / ٤٠ ـ وما بعدها).

ـ **«مناقب علي بن أبي طالب»**.

ذكره له الأستاذ خضر إبراهيم سلامة في «فهرس مخطوطات المكتبة البديرية» (٢ / ٥٥٣) تحت (رقم ٥٥٣ / التاريخ ٩/ ٢٨٠/ ب).

قلت: هو جزء من «تهذيب الأسماء واللغات» (١ / ٣٤٤ ـ ٣٤٩)، بدليل توافق ديباجة المخطوط فيما ذكره الأستاذ خضر مع ما في الكتاب المذكور، والله تعالى أعلم.

* **ومن المجموعة الثالثة (ليست له على وجه اليقين):**

ـ **«أغاليط (الوسيط)»**.

ـ **«النهاية في اختصار (الغاية)»**.

قال الإسنوي:

«ويُنْسَب إليه تصنيفان ليسا له: «النهاية في اختصار (الغاية)»، والثاني: «أغاليط على (الوسيط)»، مشتملة على خمسين موضعاً، بعضها فقهية، وبعضها حديثية، وممن نسب إليه هٰذا: ابن الرفعة في «المطلب»، فاحذره، فإنَّه لبعض الحمويين، ولهٰذا لم يذكره ابن العطار حين عدد تصانيفه واستوعبها».

انتهى من «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٥)، و«المنهاج السوي» (ص ٦٥)، وفيه تعقُّب الإسنوي في قوله: «واستوعبها»، فقال السيوطي:

«وقوله: إن ابن العطار استوعب تصانيفه ممنوع، بل لم يستوعب ولا قارب».

قلت: ومن هٰذا الثبت في تصانيفه يتبيَّن لك صحة كلام السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ.

ـ **«مختصر صحيح مسلم»**:

توقَّف ابن الملقِّن في نسبته له؛ قال:

«وأن مصنفه أخذ تراجمه من «شرح صحيح مسلم» له، وركَّب عليها متونه، وعزاه إليه». =

ولقـد أمرني مرة ببيع كراريس نحو ألف كرَّاس بخطِّه، وأمرني بأن أقف على غسلهـا في الورَّاقة، وخوَّفني[1] إن خالفت أمره في ذٰلك، فما أمكنني إلا طاعته، وإلى الآن في قلبي منها حَسَراتٌ[2].

ولما اختصر «المحرر» للرافعي ـ رحمه الله ـ المسمى بـ «المنهاج»؛ حفظه بعد موته خلقٌ كثير، ووقف عليه في حياته شيخُنا الأديبُ الفاضل رشيد الدِّين أبو حفص عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي[3] شيخ الأدب في وقته، فامتدحه بأبيات حسنة، ووقف عليها الشيخ بخطِّه:

= كذا في «ترجمة النووي» للسخاوي (ص ١٤).

ووقع في «المنهاج السوي» (٦٤) من ضمن كتب النووي:

ـ و «**قسمة القناعة ومختصره**»:

وهو تصحيف قد أشرنا إلى صوابه في هامش (ص ٧٩).

وذكر الإمام النووي في «شرح المهذب» (٣ / ٣٩٩) عند مسألة رفع اليدين عند الركوع والرفع منه ما نصه:

«. . . ولولا خوف الإطالة؛ لأريتُك فيه عجائب من النفائس، وأرجو أن أجمع فيه كتاباً مستقلاً».

قال السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٥):

«فلا أدري أفعل أم لا».

(١) في «المنهاج السوي» (ص ٦٥): «وحلَّفني».

(٢) نقله عن المصنف: الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٨)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ١٤)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٦٥).

(٣) انظر ترجمته في «طبقات الإسنوي» (٢ / ٢٨٦)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٤٠٩).

اعْـتَنى بالفَضْـــلِ يَحْيَى فاغْتَنَى
عَنْ بَسـيطٍ وَجِـيزٍ نافِـعِ
وتَــحَــلَّى بِتُــقــاهُ فَضْــلُهُ
فتَــجَــلَّى بلَطيفٍ جَامِـعِ
ناصِـــبـــاً أَعْــلامَ عِلْمٍ جازِمــاً
بمــقــالٍ رافِــعــاً للرَّافِــعِـي
فكَـــأَنَّ ابـنَ الصَّــلاحِ حَاضِــرٌ
وكـــأَنْ ما غَابَ عَنّـا الشَّـافِعِيّ[1]

وقال لي شيخُنا العلاَّمة حجَّة العرب شيخ النُّحاة أبو عبدالله محمد ابن عبدالله بن مالك الجيَّاني ـ رحمه الله ـ وذكر «المنهاج» لي بعد أن كان وقف عليه:

/ ٢٠ / «والله لو استقبلتُ مِن عُمري ما استدبرتُ / لحفظتُه».

وأثنى على حسنِ اختصاره، وعذوبةِ ألفاظه[2].



---

(١) الأبيات في: «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٨)، و«ترجمة الإمام النووي» (ص ١٦)، و«المنهاج السوي» (ص ٥٨)، و«تاريخ ابن الفرات» (٧ / ١١٠)، و«عيون التواريخ» (٢١ / ١٦٤)، و«ذيل مرآة الزمان» (٣ / ٢٨٨).

(٢) نقله عن المصنِّف: السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٥٨).

فصل

وكان لا يأخذ من أحدٍ شيئاً، ولا يقبلُ إلا مِمَّن تحقَّق دينه ومعرفته، ولا له به عُلْقــةٌ[١] مِن إقـراء أو انتفـاع به؛ قاصـداً الخـروج من حديث القوس[٢]، والجزاء في الدار الآخرة، وربما أنه كان يرى نشر العلم مُتعيِّناً عليه، مع قناعة نفسه وصبرها، والأمور المتعيِّنة لا يجوز [أخذ][٣] الجزاء عليها في الدَّار الدُّنيا، بل جزاؤه في الدَّار الآخرة شرعاً؛ كالقرض الجارِّ إلى منفعةٍ، فإنها حرامٌ باتِّفاق العلماء[٤].

وكنتُ جالساً بين يديه قبل انتقاله بشهرين ونحوها، وإذا بفقير قد دخل عليه، وقال الشيخ:

فلان من بلاد (صَرْخَد)[٥] يسلِّم عليك، وأرسل معي هٰذا الإبريق لك.

---

(١) تعلّق وارتباط.

(٢) يشير المصنِّف إلى حديث: «من أخذ على تعليم القرآن قوساً؛ قلَّده الله قوساً من نار يوم القيامة».

وهو حديث صحيح، أسهب شيخنا في الكلام عليه في «سلسلته الصحيحة» (رقم ٢٥٦)، و «الإرواء» (رقم ١٤٩٣)، فراجعهما.

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٤) نقله عن المصنِّف: السخـاوي في «تـرجمـة الإمـام النـووي» (ص ٣٧)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٧٧).

(٥) صَرْخَد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة، وولاية واسعة، قاله ياقوت في «معجم البلدان» (٣ / ٤١١). وهي تابعة الآن إلى محافظة السويداء في الجمهورية العربية السورية، وقد تغيّر أهلُها ـ مع سكان هذا الجيل ـ منذ ثلاث مئة سنة تقريباً، وأصبح غالبيتهم من الطائفة الدرزية.

فقبله الشيخ، وأمرني بوضعهِ في بيت حوائِجه، فتعجَّبْتُ منه لقبوله، فشعر بتعجُّبي، فقال:

«أرسَلَ إليَّ بعضُ الفقراءِ زربولاً[1]، وهٰذا إبريقٌ، فهٰذه آلةُ السَّفر»[2].

ثم بعد أيام يسيرة كنت عنده، فقال لي:

«قد أُذِنَ لي في السَّفَر».

فقلتُ: كيفَ أُذِنَ لك؟

قال: «[بَينا][3] أنا جالس هنا - يعني بيته في المدرسة الرّواحية، وقُدَّامه طاقة مشرفة عليها - مستقبل القبلة؛ إذ مرَّ عليَّ شخصٌ في الهواء من هُنا، ومرَّ كذا - يُشير من / غرب المدرسة إلى شرقها -، وقال: قُمْ /٢١/

(١) وقع في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٣٨):

«... أرسل إليَّ بعض الفقراء نعلاً، وهٰذا إبريق...».

فلعلَّه نقله بالمعنى!

ووقعت في مطبوع «المنهاج السوي» (ص ٧٧): «زِنْبيلاً»! وعلَّق عليها المحقق بقوله:

«الزِّنبيل: الجراب أو القِفَّة؛ وعاء يُحمل فيه الطعام».

قلتُ: لم يصب في المعنى، ولا في قراءة الكلمة، إذ وقعت في المخطوط (لوحة ٣٠ / أ) على الصَّواب؛ كما أثبتناهُ.

(٢) نقله عن المصنف: السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٣٨)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٧٧).

(٣) سقطت من الأصل، واستدركْتُها من «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٤).

سافِرْ لزيارةِ بيت المقدس»[1].

وكنتُ حملتُ كلامَ الشيخِ على سفـر العـادة، فإذا هو السفـر الحقيقي، ثم قال لي:

«قم حتى نُوَدِّع أصحابنا وأحبابنا».

فخرجتُ معه إلى القبورِ التي دُفن فيها بعض مشايخِه، فزارهم، وقرأ شيئاً، ودعا، وبكى، ثم زار أصحابه الأحياء؛ كالشيخ يوسف الفقاعي، والشيخ محمد الإخميمي، وشيخنا الشيخ شمس الدين ابن أبي عمر شيخ الحنابلة.

ثم سافـر صبيحة ذلك اليوم، وجرى معه وقائع، ورأيتُ منه أموراً تحتمـل مجلَّدات، فسـار إلى (نـوى)، وزار القـدس، والخليل ـ عليه السـلام ـ، ثم عاد إلى (نوى)، ومرض عقب زيارته بها في بيت والده، فبلغني مرضه، فذهبتُ مِن دمشق لعيادته، ففرح ـ رحمه الله بذلك ـ، ثم قال لي:

«ارجع إلى أهلك».

---

(١) قال ابن شاكر الكتبي في «عيون التواريخ» (٢١ / ١٦٤):

«وكان محيي الدين يسأل الله تعالى أن يموت بأرض فلسطين، فاستجاب الله تعالى منه».

زيارة بيت المقدس رغَّب بها الشارع، وضوعف بها الأجر، وأما زيارة الخليل فليس لها أصل مشروع، وليس يقيناً أن خليل الرحمٰن إبراهيم عليه السلام قد دفن هناك. ولا قبور الأنبياء الذين زعموا أن بني إسرائيل أحضرتهم معها من مصر، ولو كانت صحيحة لما جازت الصلاة إليها، ولا في أبنيتها.

وودعْتُه وقد أشرف على العافية يوم السبت العشرين من رجب سنة ست وسبعين وست مئة، ثم توفي ليلة الأربعاء المتقدم ذكرها[1] الرَّابع والعشرين من رجب.

فبينا أنا نائم تلك الليلة؛ إذ منادٍ ينادي على سدة جامع دمشق في يوم الجمعة: الصَّلاة على الشيخ ركن الدين الموقع، فصاح الناس لذلك النداء، فاستيقظتُ، فقلتُ: إنَّا لله / وإنا إليه راجعون. /٢٢/

فلم يكن إلا ليلة الجمعة عشية الخميس؛ إذ جاء الخبرُ بموته ـ رحمه الله ـ فنودي يوم الجمعة عقب الصلاة بموته، وصُلِّيَ عليه بجامع دمشق، فتأسَّفَ المسلمون عليه تأسُّفاً بليغاً؛ الخاصُّ والعامُّ، والمادحُ والذَّامُّ[2]، ورثاه الناسُ بمراثي كثيرة، سيأتي ذكرها آخر هٰذا الكتاب.



---

(١) في (ص ٤٢).

(٢) نقله عن المصنف: الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٩)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٤)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٧٨ و٧٩).

فصل

وكان مواجهاً للملوك والجبابرة بالإنكار، ولا تأخذه في الله لومةُ لائم، وكان إذا عجز عن المواجهة؛ كتب الرَّسائل، وتوصل إلى إبلاغها، فممَّا كتبه وأرسلني في السعي فيه وهو يتضمَّن العدل في الرعيَّة، وإزالة المكوس عنهم، وكتَبَ معه في ذٰلك شيخنا شيخ الإسلام أبو محمد عبدالرحمٰن ابن الشيخ أبي عمر شيخ الحنابلة، وشيخنا العلامة قدوة الوقت أبو محمد عبدالسلام بن عليّ بن عمر الزواوي شيخ المالكية، وشيخنا العلامة ذو العلوم أبو بكر محمد بن أحمد الشريشي المالكي، وشيخنا العارف القدوة أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ العارف ولي الله عبدالله عرف بابن الأرمني، وشيخنا المفتي أبو حامد محمد ابن العلاَّمة أبي الفضائل عبدالكريم ابن الحرستاني خطيب دمشق وابن خطيبها، وجماعة آخرون، ووضعها في ورقة كتبها إلى الأمير بَدْر الدِّين بيلبك الخَزْنْدار[1] بإيصال ورقة العلماء / إلى السلطان الظاهر التُّركي، وهٰذه صورتها: /٢٣/

بسم الله الرحمٰن الرحيم.

من عبدالله يحيى النَّواوي.

---

(١) كان جواداً نبيلاً، نائب الدِّيار المصرية للملك الظَّاهر، عالي الهمَّة، وافر العقل، محبباً إلى الناس، ينطوي على مروءة ومحبة للعلماء والصُّلحاء والزُّهاد، كان قد وقف درساً بالجامع الأزهر على الشافعية، مات سنة (٦٧٦هـ)؛ يقال: إنه مات مسموماً.

انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (١٣ / ٢٧٧)، و «شذرات الذهب» (٥ / ٣٥١).

سلام الله ورحمته وبركاته على المولى المُحْسِنِ ملكِ الأمراء بدر الدين، أدام الله الكريم له الخيرات، وتولاّه بالحسنات، وبلَّغه من خيرات الآخرة والأولى كلَّ آمالِه، وبارك له في جميع أحواله، آمين.

ويُنْهَى إلى العلوم الشريفة[1] أنَّ أهلَ الشام في هٰذه السنة في ضِيقِ عيشٍ، وضَعْف حالٍ، بسبب قلَّة الأمطار، وغلاء الأسعار، وقلَّة الغلاَّت والنبات، وهلاك المواشي، وغير ذٰلك.

وأنتم تعلمون أنَّه تجب الشفقةُ على الرعيةِ والسُّلطان، ونصيحته في مصلحته ومصلحتهم، فإنَّ الدِّينَ النَّصيحة.

وقد كتب خَدَمَةُ الشَّرْعِ؛ الناصحون للسلطان، المحبُّون له؛ كتاباً بتذكيره النَّظَر في أحوال رعيَّتِه، والرفق بهم، وليس فيه ضررٌ، بل هو نصيحةٌ مَحْضَةٌ، وشفقةٌ تامةٌ، وذكرى لأولي الألباب.

والمسؤول من الأمير ـ أيَّده الله تعالى ـ تقديمه إلى السلطان ـ أدام الله له الخيرات ـ، ويتكلَّم عليه من الإشارة بالرِّفق بالرعيَّة بما يجدُهُ مُدَّخَراً له عند الله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِن خَيْرٍ مُحْضَراً وما عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لو أَنَّ بيْنَها وبيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ويُحَذِّرُكُمُ الله / نَفْسَهُ﴾[2]. /٢٤/

وهٰذا الكتاب الذي أرسله العلماء إلى الأمير أمانةٌ ونصيحةٌ للسلطان ـ أعزَّ الله أنصاره ـ [والمسلمين كلِّهم في الدُّنيا والآخرة، فيجب عليكم

---

(١) أي: نرفع إلى علمكم الشريف.

(٢) آل عمران: ٣٠.

إيصالُهُ للسُّلطانِ ـ أعزَّ الله أنصاره ـ][1]، وأنتُم مسؤولون عن هٰذه الأمانة، ولا عُذْرَ لكم في التأخُّرِ عنها، ولا حُجَّةَ لكم في التَّقصيرِ فيها عند الله تعالى، وتُسألون عنها ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بنونَ﴾[2]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِن أَخيهِ . وأُمِّهِ وأَبيهِ . وصاحِبَتِهِ وبَنيهِ . لِكُلِّ امرىءٍ مِنْهُم يومَئِذٍ شأْنٌ يُغْنيهِ﴾[3].

أنتم بحمد الله تحبُّون الخير، وتحرصون عليه، وتسارِعون إليه، وهٰذا من أهم الخيرات، وأفضل الطَّاعات، وقد أُهِّلْتُم له، وساقه الله إليكم، وهو مِن فضلِ الله، ونحن خائِفون أن يزداد الأمر شدَّةً إنْ لم يَحْصُلِ النَّظَرُ في الرِّفقِ بهم.

قال الله تعالى:

﴿إنَّ الَّذينَ اتَّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِن الشَّيْطانِ تَذَكَّروا فإذا هُمْ مُبْصِرونَ﴾[4].

وقال تعالى:

﴿وما تَفْعَلوا مِنْ خَيْرٍ فإنَّ اللهَ بِهِ عَليمٌ﴾[5].

والجماعة الكاتِبون منتظرون ثمرةَ هٰذا؛ مما إذا فَعَلْتُموهُ؛ وَجَدْتُموهُ

---

(1) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(2) الشعراء: ٨٨.

(3) عبس: ٢٤ ـ ٢٧.

(4) الأعراف: ٢٠١.

(5) البقرة: ١١٥.

عند اللهِ ؛ ﴿إنَّ اللهَ مَعَ الذينَ اتَّقَوْا والذينَ هُمْ مُحْسِنونَ﴾[١] .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



فلما وصلتِ الورقتان إليه ؛ أوقفَ عليهما السُّلطان ، فلما وقف عليها ؛ ردَّ جوابَها جواباً عنيفاً مؤلماً ، فتنكَّدَت خواطرُ الجماعة الكاتبون[٢] وغيرهم ، فكتب ـ رحمه الله ـ جواباً لذلك الجواب :

بسم الله الرحمٰنِ الرحيم .

/٢٥/ الحمدُ لله رب العالمين / .

اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد وسلم .

من عبد الله يحيى النَّواوي .

يُنْهَى أنَّ خَدَمَةَ الشَّرْعِ كانوا كتبوا ما بلغ السلطان ـ أعزَّ الله أنصاره ـ ، فجاء الجوابُ بالإنكارِ والتَّوبيخ والتَّهديد ، وفَهِمْنا منه أنَّ الجهادَ ذُكِرَ في الجواب على خِلاف حكم الشَّرع ، وقد أوْجَبَ الله إيضاحَ الأحكامِ عند الحاجة إليها ، فقال تعالى :

﴿وإذ أَخَذَ اللهُ مِيْثاقَ الذينَ أُوتوا الكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولا تَكْتُمونَهُ﴾[٣] .

---

(١) النحل : ١٢٨ .

(٢) كذا في الأصل ، والصواب : «الكاتبين» .

(٣) آل عمران : ١٨٧ .

فوجب علينا حينئذ بيانه، وحَرُمَ علينا السكوتُ؛ قال الله تعالى:

﴿**لَيْسَ على الضُّعَفاءِ ولا على المَرْضى ولا على الذينَ لا يَجِدونَ ما يُنْفِقونَ حَرَجٌ إذا نَصَحوا للهِ ورَسولِهِ ما عَلى المُحْسِنينَ مِن سَبيلٍ واللهُ غَفورٌ رحيمٌ**﴾[1].

وذُكِـرَ في الجوابِ أنَّ الجهادَ ليسَ مختصّاً بالأجنادِ، وهٰذا أمرٌ لم نَدَّعِهِ، ولكنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ، فإذا قَرَّرَ السُّلطانُ له أجناداً مَخْصوصينَ، ولهم أخبـاز[2] معلومةٌ مِن بيت المال؛ كما هو الواقع؛ تفرَّغَ باقي الرعية لمصالحهم ومصالح السلطان والأجناد وغيرهم؛ من الزِّراعة، والصَّنائع، وغيرهم[3]، الذي يحتاجُ الناسُ كلُّهم إليها، فجهادُ الأجنادِ مُقابِلَ الأخبازِ المقرَّرةِ لهم، ولا يَحِلُّ أنْ يُؤخَذَ مِن الرَّعيَّةِ شيءٌ ما دامَ في بيتِ المالِ شيءٌ؛ مِن نَقْدٍ، أومتاعٍ، أوأرضٍ، أوضياعٍ / تباع، أوغير ذٰلك. /٢٦/

وهٰؤلاء علماءُ المسلمينَ في بلاد السلطان ـ أعزَّ الله أنصاره ـ مُتَّفِقون على هٰذا، وبيتُ المال ـ بحَمْدِ الله ـ معمورٌ، زادَهُ الله عمارةً وسَعَةً وخيراً وبركةً في حياة السلطانِ المقرونةِ بكمالِ السعادةِ له، والتَّوفيقِ والتَّسديد والظُّهورِ على أعداء الدين، ﴿**وما النَّصْرُ إلا مِن عِنْدِ اللهِ**﴾[4]، وإنما يُسْتَعانُ

(١) التوبة: ٩١.

(٢) (الأخباز)؛ واحدها: الخُبْزَة، أي: النَّصيب.
وهي الرواتب والجرايات التي تعطى شهرياً، أو تبعاً للمواسم الزراعية، أو عند الحملات الحربية.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: «وغيرها».

(٤) آل عمران: ١٢٦.

في الجهادِ وغيرِه بالافتقارِ إلى الله تعالى، واتِّباع آثار النبي ﷺ، ومُلازمةِ أحكام الشرع.

وجميعُ ما كتبْناهُ أوَّلاً وثانياً هو النصيحةُ التي نعتَقِدُها، ونَدينُ اللهَ بها، ونسألهُ الدَّوامَ عليها حتى نَلْقاه.

والسُّلطانُ يعلمُ أنَّها نصيحةٌ له وللرَّعيَّة، وليس فيها[1] ما نُلامُ عليه، ولم نكتُب هٰذا للسلطان؛ إلا لعِلْمِنا أنَّه يُحِبُّ الشَّرعَ، ومتابعَتَهُ أخلاقَ النبيِّ ﷺ؛ في الرِّفقِ برعيَّتِه، والشفقةِ عليهم، وإكرامِه لآثارِ النبيِّ ﷺ، وكلُّ ناصحٍ [للسلطانِ][2] موافِقٌ على هٰذا الذي كَتَبْناهُ.

وأما ما ذُكِرَ في الجواب مِن كونِنا لم نُنْكِر على الكفَّارِ حين كانوا في البلاد؛ فكيف يُقاسُ ملوكُ الإسلامِ وأهلُ الإيمان والقرآنِ بطُغاةِ الكفَّارِ؟! وبأيِّ شيءٍ كُنَّا نُذَكِّرُ طغاةَ الكفَّارِ وهُم لا يعتَقِدونَ شيئاً مِن دينِنا؟!

وأما تهديدُ الرعيةِ بسبب نصيحَتِنا، وتهديدُ طائفةٍ[3]؛ فليس هو المَرْجُوُّ مِن عدْلِ السلطانِ، وحِلْمِهِ /٢٧/! وأيُّ حِيلةٍ لضعفاءِ المسلمين المفرَّقين في أقطار ولايةِ السلطان في كتابٍ كتَبَهُ بعضُ المسلمين النَّاصحينَ نصيحةً للسلطان ولهُم، ولا عِلْمَ لهُم به؟! وكيفَ يؤاخَذونَ بِهِ لو كانَ فيهِ ما يُلامُ عليه؟!

---

(١) في الأصل: «فيه».

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٣) كذا في الأصل، وعند السخاوي أيضاً، وزاد السيوطي: «وتهديد طائفة العلماء».

وأمَّا أنا في نفسي؛ فلا يضرُّني التهديدُ، ولا أكبرُ[1] منه، ولا يمنَعُني ذٰلك من نصيحةِ السُّلطانِ، فإنِّي أعتَقِدُ أنَّ هٰذا واجبٌ عليَّ وعلى غيري، وما ترتَّبَ على الواجب؛ فهو خيرٌ وزيادةٌ عند الله تعالى؛ ﴿**إنَّما هٰذه الحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ وإنَّ الآخِرَةَ هِيَ دارُ القَرارِ**﴾[2]، ﴿**وأُفَوِّضُ أمْري إلى اللهِ إنَّ اللهَ بَصيرٌ بالعِبادِ**﴾[3]، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نقول بالحق حيث ما كنا، وأن لا نخافَ في اللهِ لومَةَ لائمٍ.

ونحنُ نُحبُّ للسلطانِ معالِيَ الأمورِ، وأكمَلَ الأحوالِ، وما ينفعُهُ في آخـرتِه ودُنياه، ويكونُ سبباً لدوامِ الخيراتِ له، ويَبْقى ذكرُهُ له على ممرِّ الأيام، ويخلُدُ في سننه الحسنة، ويجد نفعَهُ ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِن خَيْرٍ مُحْضَراً**﴾[4].

وأما ما ذُكِر من تمهيد [السلطانِ][5] البلادَ، وإدامتَه الجهاد، وفتح الحصون، وقهر الأعداء؛ فهٰذا بحمدِ الله من الأمور الشائعة، التي اشترك في العلم بها الخاصَّةُ والعامَّة، وسارَتْ في أقطارِ الأرضِ، ولله الحمد، وثواب ذٰلك مُدَّخَرٌ للسلطانِ إلى ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ / ما عَمِلَتْ مِن خَيْرٍ مُحْضَراً**﴾[6]. /٢٨/

(١) كذا في الأصل، وعند السخاوي والسيوطي: «أكثر».

(٢) غافر: ٣٩.

(٣) غافر: ٤٤.

(٤) ال عمران: ٣٠.

(٥) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٦) آل عمران: ٣٠.

ولا حُجَّة لنا عند اللهِ تعالى إذا تَرَكْنا هٰذه النَّصيحَةَ الواجبةَ علينا.

والسلام عليكم، ورحمة الله وبركاته.

الحمدُ لله رب العالمين[1].



ومما كتبه لمَّا احتيطَ على أملاكِ دمشق ـ حرسها الله تعالى ـ بعد إنكاره مواجهةَ السلطان الظاهر، وعدم إفادته وقبوله:

بسم الله الرحمٰنِ الرحيم.

الحمدُ لله ربِّ العالمين.

قال الله تعالى:

﴿وذِكِّرْ فإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ المُؤمِنينَ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿وإِذْ أَخَذَ الله مِيْثاقَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولا تَكْتُمونَهُ﴾[3].

وقال تعالى:

---

(١) انظر: «ترجمة الإمام النووي» (٤٠ ـ ٤٣)، و«المنهاج السوي» (٦٦ ـ ٧١)، و«تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٧٣).

(٢) الذَّاريات: ٥٥.

(٣) آل عمران: ١٨٧.

﴿وتَعاوَنوا على البرِّ والتَّقْوى ولا تَعاوَنوا على الإثْمِ والعُدْوانِ﴾[1].

وقد أوجبَ الله على المكلَّفين نصيحةَ السلطانِ ـ أعزَّ الله أنصارَه ـ ونصيحَةَ عامَّةِ المسلمين، ففي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«الدِّينُ النَّصيحةُ؛ لله، ولكتابِهِ، ورسولِه، وأئمَّةِ المسلمين، وعامَّتِهِم»[2].

ومِن نصيحة السلطان ـ وفَّقه الله لطاعته، وتولَّاه بكرامته ـ أن تُنْهى[3] إليهِ الأحكام إذا جرتْ على خِلافِ قواعدِ الإسلام.

وأوجبَ الله [تعالى][4] الشَّفَقَةَ على الرعيَّةِ، والاهتمامَ بالضَّعَفَةِ، وإزالَةَ الضَّررِ عنهم.

قال الله تعالى:

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١ / ٧٥)، والنسائي في «المجتبى» (٢ / ١٧٨)، وأبو داود في «السنن» (٥ / ٢٢٣)، والحميدي في «المسند» (٢ / ٣٦٩)، وأحمد في «المسند» (٤ / ١٠٢)، والبخاري في «التاريخ الصغير» (٢ / ٣٥)، وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (رقم ٧٤٧ و٧٤٩ و٥٧٠ و٧٥١)، وبيَّن أن محمد بن عجلان أدخل إسناداً في إسناد، فجعل الحديث من مسند أبي هريرة!! والصحيح أنه من حديث تميم الدَّاري، وانظر حول هٰذا الأمر: «فوائد الليث بن سعد» (ص ٥١ ـ ٥٥)، وكلام محققه عليه.

(٣) أي: ترفع إليه وتبلغ مسامعه.

(٤) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وفي الحديث الصحيح: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّما تُنْصَرون وتُرْزَقون بضعفائِكم / »[2]. /٢٩/

وقال ﷺ:

«مَن كَشَفَ عن مسلم كُرْبةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيا؛ كشَفَ الله عنهُ كُرْبةً مِن كُرَبِ يوم القيامَةِ، والله في عونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عونِ أخيهِ»[3].

وقال ﷺ:

«اللهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِن أَمْرِ المسلمينَ شيئاً، فرَفَقَ بِهِم؛ فارْفُقْ بهِ، ومَن شَقَّ عليهِم؛ فاشْقُقْ عليهِ»[4].

---

(١) الحجر: ٨٨.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦ / ٨٨)، والنسائي في «المجتبى» (٦ / ٤٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣ / ٣٤٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤ / ٢٦٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥ / ١٠ و٢٦، و٨ / ٢٩٠)، والدَّوْرَقي في «مسند سعد بن أبي وقاص» (رقم ٥١)، والهيثم الشاشي في «مسنده» (ورقة ١٠ / أ)، وأبو طاهر المخلِّص، وأبو القاسم التيمي في «الترغيب»؛ كما في «النكت الظراف» (٣ / ٣١٩).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٤ / ٢٠٧٤) (رقم ٢٦٩٩)، وأبو داود في «السنن» (رقم ٤٩٤٦)، والترمذي في «الجامع» (رقم ١٤١٥ و١٩٣٠)، وابن ماجه في «السنن» (رقم ٢٢٥)، وأحمد في «المسند» (٢ / ٢٥٢ و٢٩٦ و٥٠٠ و٥١٤)؛ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح» (رقم ١٨٢٨)، وأحمد في «المسند» (٦ / ٦٢ و٩٣ و٢٥٧ و٢٥٨ و٢٦٠)، وغيرهما.

وقال ﷺ :

«كُلُّكُمْ راعٍ ، وكُلُّكُم مَسؤولٌ عن رَعِيَّتِه»[1].

وقال ﷺ :

«إنَّ المُقْسِطينَ على مَنابرَ مِن نورٍ على يمينِ الرحمٰنِ ؛ الذينَ يَعْدِلونَ في حُكْمِهِم ، وأَهليهِم ، وما وُلُّوا»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥ / ٦٩) (رقم ٢٤٠٩) و(٥ / ١٨١) (رقم ٢٥٥٨) و(٢ / ٣٨٠) (رقم ٩٨٣) و(٥ / ٣٧٧) (رقم ٢٧٥١) و(٥ / ١٧٧) (رقم ٢٥٥٤) و(٩ / ٢٥٤) (رقم ٥١٨٨)، و(١٣ / ١١١) (رقم ٧١٣٨)، و«الأدب المفرد» (رقم ٢١٢ - ٢١٤)، ومسلم في «الصحيح» (٣ / ١٤٥٩) (رقم ١٨٢٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» ؛ كما في «تحفة الأشراف» (٥ / ٣٧٦)، والترمذي في «الجامع» (٤ / ٢٠٨) (رقم ١٧٠٥)، وعبدالرزاق في «المصنف» (١١ / ٣١٩) (رقم ٢٠٦٤٩)، وأبو داود في «السنن» (٣ / ١٣٠) (رقم ٢٩٢٨)، وأبو عوانة في «المسند» (٤ / ٤١٥ - ٤٢١)، وابن الجارود في «المنتقى» (رقم ١٠٩٤)، وأبو عُبيد في «الأموال» (ص ١٠ - ١١)، وأحمد في «المسند» (٢ / ١٢١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢ / ٣٢٨ و٣٣٨ - ٣٣٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠ / ٦١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤ / ٤٢٨ و١١ / ٤٠٢)، وابن حبان في «روضة العقلاء» (ص ٢٦٨)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (١ / ٣٩٨)، وغيرهم .

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٣ / ١٤٥٨) (رقم ١٨٢٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦ / ٣٧٠)، والنسائي في «المجتبى» (٨ / ٢٢١)، و«السنن الكبرى» ؛ كما في «التحفة» (٦ / ٣٠٠)، والحميدي في «المسند» (٢ / ١٦٠)، وابن زنجويه في «الأموال» (١ / ٦٦)، وعبدالرزاق في «المصنف» (١١/ ٣٢٥) (رقم ٢٠٦٦٤)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٢ / ٩٣)، و«شرح السنة» (١٠ / ٦٣)، وابن المبارك في «الزهد» (رقم ١٤٨٤)، وأحمد في «المسند» (٢ / ١٥٩ و١٦٠ و٢٠٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» =

وقد أنعم الله تعالى علينا وعلى سائِر المسلمين بالسلطان ـ أعزَّ الله أنصارهُ ـ فقد أقامَه لنُصْرَةِ الدِّينِ، والذَّبِّ عن المسلمين، وأذلَّ بِهِ الأعداءَ مِن جميعِ الطَّوائِف، وفتحَ عليهِ الفتوحاتِ المشهورةَ في المدةِ اليسيرةِ، وأوْقَعَ الرُّعْبَ منه في قلوب أعداءِ الدين، وسائر الماردين، ومهَّدَ له البلادَ والعبادَ، وقمَعَ بسببهِ أهلَ الزَّيْغِ والفساد، وأمدَّهُ بالإِعانةِ واللطفِ والسَّعادةِ.

فللهِ الحمدُ على هٰذه النعمِ المتظاهرةِ، والخيراتِ المتكاثرةِ، ونسألُ الله الكريمَ دوامَها له وللمسلمين، وزيادَتَها في خير وعافية آمين.

/٣٠/ وقد أوجبَ الله شكْرَ نِعَمِهِ، ووعَدَ الزيادةَ / للشَّاكرينَ، فقال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزيدَنَّكُم﴾[1].

ولقد لَحِقَ المسلمين [بسبب][2] هٰذه الحَوْطَةِ على أملاكِهم أنواعٌ مِن الضَّرَرِ، لا يمكنُ التعبيرُ عنها، وطُلِبَ منهم إثباتٌ لا يلزَمُهُم، فهٰذه الحَوْطَةُ لا تَحِلُّ عندَ أحدٍ مِن عُلماءِ المسلمين، بل مَن في يدهِ شيءٌ؛ فهو مُلْكُه، لا يَحِلُّ الاعتراضُ عليه، ولا يُكَلَّفُ بإثباتِه.

وقد اشتُهِرَ من سيرةِ السلطان أنَّه يُحِبُّ العملَ بالشرعِ، ويُوصي نُوَّابَهُ به، فهو أَوْلى مَن عمل به، والمسؤول إطلاقَ النَّاسِ من هٰذه الحَوْطَةِ،

= (١٠ / ٨٧)، و«الأسماء والصفات» (ص ٣٢٤)، والآجُرِّي في «الشريعة» (ص ٣٢٢)، وابن حبان في «الصحيح» (رقم ١٥٣٨ ـ موارد)، وأبو عوانة في «المسند» (٤ / ٤١١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥ / ٣٦٧)، وغيرهم.

(١) إبراهيم: ٧.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

والإفراجَ عن جميعِهم، فأَطْلِقْهُم أَطْلَقَكَ الله مِن كُلِّ مكروهٍ؛ فهُم ضَعَفَةٌ، وفيهِم الأيتامُ، والأراملُ، والمساكينُ، والضَّعَفَةُ، والصَّالحونَ، وبهِم نُنْصَرُ، ونُغاثُ، ونُرزَق، وهم سُكَّان الشام المبارك، جيرانُ الأنبياءِ - صلواتُ الله وسلامُه عليهم -، وسكَّانُ ديارِهم، فلهُم حُرماتٌ مِن جهاتٍ.

ولو رأى السُّلطانُ ما يلحَقُ الناسَ مِن الشَّدائِد؛ لاشتَدَّ حُزْنُه عليهِم، وأطلقَهُم في الحالِ، ولم يُؤخِّرْهُم، ولكن لا تُنْهَى الأمورُ إليهِ على وجهِها.

فبالله! أغِثِ المسلمين؛ يُغِثْكَ الله، وارْفَقْ بهِم؛ يَرْفَقِ الله بك، وعجِّلْ لهُم الإفراجَ قبلَ وقوعِ الأمطارِ، وتَلَفِ غَلَّاتِهم؛ فإنَّ أكثرَهُم وَرِثوا هٰذه الأملاكَ مِن أسلافِهِم، ولا يمكِنُهُم تحصيلُ كتبِ شراءٍ، وقد نُهِبَتْ كُتُبُهُم / .

/٣١/

وإذا رفقَ السلطانُ بهِم؛ حَصَلَ له دعاءُ رسولِ اللهِ ﷺ لمن رفق بأمَّتِه، ونصره على أعدائِه؛ فقد قال الله تعالى:

﴿إِنْ تَنْصُروا اللهَ يَنْصُرْكُم﴾[1].

وتَتَوَفَّرُ له من رعيَّتِه الدَّعوات، وتظْهَرُ في مملكَتِه البركاتُ، ويُبارَكُ له في جميعِ ما يقصدُه من الخيراتِ.

وفي الحديثِ عن رسولِ اللهِ ﷺ قال:

«مَن سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فلهُ أجْرُها وأجْرُ من عَمِلَ بها إلى يومِ القيامَةِ،

(١) محمد: ٧.

ومَن سَنَّ سُنَّةً سيِّئَةً؛ فعَلَيْهِ وِزْرُها ووِزْرُ مَن عملَ بها إلى يوم القيامَةِ»[1].

فنسألُ اللهَ الكريم أن يوفِّقَ السلطانَ للسُّننِ الحسنةِ التي يُذكَرُ بها إلى يوم القيامة، ويحميهِ مِن السُّننِ السيِّئةِ.

فهٰذه [نصيحَتُنا][2] الواجبةُ علينا للسُّلطانِ، ونرجو مِن فضلِ اللهِ تعالى أن يُلْهِمَهُ اللهُ فيها القَبولَ، والسلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ.

الحمدُ للهِ ربِ العالمين، وصلواتُه وسلامُه على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبِهِ[3].

ومما كتبه رسالةٌ تتعلَّقُ بالمكوسِ والحوادِثِ الباطلةِ.

ومما كتبه رسالة بالأمداء والخيل، وأبطل الله تعالى ذٰلك على يد من يشاء من عباده في دولة السعيد ابن الظاهر[4] ـ رحمهما الله تعالى ـ.

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢ / ٧٠٤ ـ ٧٠٥) (رقم ١٠١٧)، والنسائي في «المجتبى» (٥ / ٧٥ ـ ٧٦)، وغيرهما.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٣) انظر: «المنهاج السوي» (٧١ ـ ٧٤)، و«ترجمة الإمام النووي» (٤٣ ـ ٤٥) للسخاوي، وفيه معقِّباً عليها:

«قلت: وكان السبب في هٰذه الحوطة كما صرَّح به صاحب «البدر السافر» أن السلطان الظَّاهر بيبرس لما ورد دمشق بعد قتال التتار ونزوحهم عن البلاد؛ ولِيَ وكالةَ بيت المال شخصاً من الحنفية، فقال: إن هٰذه الأملاك التي بدمشق كان التتار قد استولوا عليها، فتملَّكوها على مقتضى مذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ فوضع السلطان يده عليها، فقام جماعة من أهل العلم في ذٰلك، وكان الشيخ من أعظمهم».

(٤) هو ناصر الدين محمد بركة خان ابن الظاهر ركن الدين بيبرس، واستقرَّ في =

ومما كتبه بسبب الفقهاء لما رُسِم[1] بأن الفقيه لا يكون منزلاً في أكثر / من مدرسة واحدة، وهٰذه صورته: /٣٢/

بسم الله الرحمٰنِ الرحيم.

خَدَمَةُ الشَّرْعَ يُنْهونَ أنَّ الله تعالى أمرَنا بالتَّعاوُنِ على البرِّ والتَّقوى، ونصيحَةِ وُلاةِ الأمورِ، وعامَّةِ المسلمين، وأخَذَ على العُلماءِ العهدَ بتَبْليغِ أحكامِ الدينِ، ومناصحةِ المسلمين، وحثَّ على تعظيمِ حُرُماتِه، وإعظامِ شعائِرِ الدينِ، وإكرامِ العلماء وتُبَّاعِهم.

وقد بلغَ الفقهاءَ بأنَّه رُسِمَ في حقِّهِم بأنْ يُغَيَّروا عن وظائِفِهم، ويُقْطَعوا عن بعضِ مدارِسِهم، فتنكَّدَتْ بذٰلك أحوالُهم، وتضرَّروا بهٰذا التضييقِ عليهِم، وهُم محتاجونَ، ولهُم عِيالٌ، وفيهِم الصَّالِحونَ، والمشتغِلونَ بالعلومِ، وإنْ كانَ فيهِم أفرادٌ لا يَلْتَحِقونَ بمراتِب غيرِهم، فهم منتَسِبونَ إلى العلمِ، ومشارِكونَ فيهِ.

ولا تَخْفى مراتِبُ أهلِ العلمِ، وفضلُهم، وثناءُ الله تعالى عليهِم، وبيانُه مزيَّتَهم على غيرِهم، وأنَّهم ورَثَةُ الأنبياءِ - صلواتُ الله وسلامُه عليهِم - وأنَّ الملائِكَة - عليهم السلام - تضعُ أجْنِحَتَها لهُم، ويستَغْفِرُ لهُم كُلُّ شيءٍ، حتى الحيتانُ.

= المملكة بعد أبيه، وخلع منها بعد سنتين وشهرين وثمانية أيام، قاله السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٤٦).

(١) أي: كُتِبَ، و(المرسوم): ما يصدره رئيس الدَّولة كتابةً في شأنٍ من الشُّؤون، فتكون له قوَّة القانون.

والـلائِقُ بالجَنـابِ العـالي إكـرامُ هٰذه الطَّائِفةِ، والإحسانُ إليهم، ومُعاضَدَتُهُم، ودفعُ المكروهاتِ عنهُم، والنَّظَرُ في أحوالِهم؛ بما فيهِ الرِّفقُ بهم؛ فقد ثبت في «صحيح مسلم» عن رسول الله صلى الله / عليه وسلم /٣٣/ أنَّه قال:

«مَن وَلِيَ مِن أَمْرِ أُمَّتي شيْئاً، فرَفَقَ بهِم؛ فارْفَقْ بهِ»(١).

وروى أبو عيسى الترمذي بإسناده عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه كان يقول لطلبةِ العلم:

«مرحباً بوصيةِ رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ قال:

(إنَّ رجالاً يأتونَكُم يتفَقَّهونَ في الدِّينِ، فإذا أَتَوْكُم؛ فاسْتَوْصوا بهِم خيراً)»(٢).

والمسؤول أن لا يُغَيَّر على هٰذه الطائفةِ شيءٌ، وتُسْتَجْلَبَ دعوتُهم لهٰذه الدولة القاهرة، وقد ثبت في «صحيح البخاري» أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) مضى تخريجه ص ١١٠.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١١ / ٢٥٣)، والترمذي في «الجامع» (٥ / ٣٠)، وابن ماجه في «السنن» (١ / ٩١)، والرامهرمزي في «المحدِّث الفاصل» (ص ١٧٦)، والخطيب في «جامع أخلاق الراوي» (١ / ٢٧٥)، و«شرف أصحاب الحديث» (ص ٢١ و٢٢)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (رقم ٦٢٢)؛ كلهم من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري به.

وأبو هارون العبدي؛ هو عِمَارة بن جُوَيْن؛ متروك، كذَّبه بعضهم.

انظر: «المجروحين» (٢ / ١٧٧)، و«الميزان» (٣ / ١٧٣).

«هل تُنْصَرونَ وتُرْزقونَ إلا بضُعفائِكُم»[1].

وقد أحاطتِ العلومُ بما أجاب بهِ الوزيرُ نظامُ المُلْك[2] حينَ أنكَرَ عليهِ السلطانُ صرفَ الأموالِ الكثيرةِ في جهةِ طلَبةِ العلم، فقال:

«أقمتُ لكَ بها جُنْداً لا تُرَدُّ سِهامُهُم بالأسْحارِ».

فاسْتَصْوبَ فعْلَهُ، وساعَدَهُ عليهِ.

والله الكريمُ يوَفِّقُ الجنابَ [دائماً][3] لمرضاتِه، والمسارعة إلى طاعاتِه.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[4].

ولـه - رحِمَهُ الله تعالى - رسائِلُ كثيرةٌ في كُلِّياتٍ تتعلَّقُ بالمسلمين وجزئيات، وفي إحياء سنن نيِّرات، وفي إماتة بدع مظلمات[5]، وله كلامٌ

---

(١) مضى تخريجه ص ١١٠.

(٢) هو أبـو علي الحسن بن علي بن إسحـاق الـطُّوسي؛ من جِلَّة وزراء الـدَّولة السلجوقية، كان مجلسُه عامراً بالعلماء، اشتغل بالعلم، وأملى، وحدَّث، وأنشأ المدارس في الأمصار، توفي سنة (٤٨٥ هـ).

انظر «شذرات الذهب» (٣ / ٣٧٣).

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٤) انظر: «ترجمة الإمام النووي» (ص ٤٦ - ٤٧)، و«المنهاج السوي» (ص ٧٤ - ٧٦).

(٥) وقد حاولنا استقصاء البدع التي حذَّر منها في تتمة ألحقناها آخر هٰذا الكتاب.

/٣٤/ طويلٌ في الأمْـرِ بالمعـروفِ / ، والنَّهْيِ عن المنكـرِ؛ مواجهـاً به أهلَ المراتب العاليات.

قال لي المحدِّث أبو العبَّاس أحمد بن فرح الإشبيلي[١] ـ رحمه الله ـ وكـان له ميعادٌ على الشيخ ـ قدَّس الله روحه ـ في الثلاثاء والسبت، يومٌ يشرح في «صحيح البخاري»، ويومٌ يشرح في «صحيح مسلم»؛ قال:

«كان الشيخ محيي الدين قد صار إليه ثلاث مراتب، كل مرتبة منها؛ لو كانت لشخصٍ شُدَّتْ إليه آباطُ الإبلِ مِن أقطارِ الأرض:

المرتبةُ الأولى: العلم، والقيام بوظائفه.

الثانية: الزهد في الدنيا وجميع أنواعها.

الثالثة: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»[٢].



(١) وهو صاحب القصيدة المشهورة في علم الحديث «غرامي صحيح» وله أيضاً «مختصر خلافيات البيهقي».
انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٨٦)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٤٤٣).

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٧٩)، و«المنهاج السوي» (٤٩)، و«ترجمة الإمام النووي» (٣٤)، و«تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٤٧٣).

فصل

في ذكرِ المراثي التي رثاهُ بها العلماء

قرأتُ على شيخِنا العلامة شيخ الأدب أبي عبدالله محمد بن أحمد ابن عمر بن أبي شاكر الحنفي الأربلي[1] ـ رحمه الله ـ، وكان مدرساً للقايمازية بدمشق: قلتَ ـ رضي الله عنك ـ وكان ذٰلك في العشر الأول من شعبان سنة ست وسبعين وست مئة:

عَزَّ العَزاءُ وعَمَّ الحادِثُ الجَلَلُ
وخابَ بالمَوْتِ في تَعْميرِكَ الأمَلُ

واسْتَوْحَشَتْ بَعْدَما كُنْتَ الأنيسَ لها
وساءَها فَقْدُكَ الأسْحارُ والأصُلُ[2]

قَدْ كُنْتَ للدِّينِ نُوراً يُسْتَضاءُ بهِ
مُسَدَّداً مِنْكَ فيهِ القَوْلُ والعَمَلُ / /٣٥/

وكُنْتَ تَتْلو كِتابَ اللهِ مُعْتَبِراً
لا يَعْتَريكَ على تَكْرارِهِ مَلَلُ

وكُنْتَ في سُنَّةِ المُخْتارِ مُجْتَهِداً
وأَنْتَ باليُمْنِ والتَّوْفيقِ مُشْتَمِلُ

---

(١) انظر ترجمته في: «الجواهر المضيئة» (٢ / ١٩)، و«الدارس في تاريخ المدرس» (١ / ٥٧٤).

(٢) (الأُصل): واحدها: الأصيل، وهو ما بعد العصر وقبل العشي.

وكُنْتَ زَيْنـاً لأهْـلِ العِلْمِ مُفْتَخِـراً
على جَديدٍ كَساهُمْ ثوبُكَ السَّملُ[1]
وكُـنْـتَ أَسْبَغَهُمْ ظِلّاً إذا اسْتَعَـرَتْ
هَواجِـرُ الجَهْلِ والإظْـلالُ يَنْتَقِـلُ
كسـاكَ رَبُّـكَ أَوْصـافـاً مُجَـمَّـلَةً
يَضِيْقُ عَنْ حَصْرِها التَّفْصيلُ والجُمَلُ
أَسْلَى[2] كَمالُكَ عَنْ قَوْمٍ مَضَوْا بَدَلاً
وعَنْ كَمـالِـكَ لا مُسْـلٍ ولا بَدَلُ
فمِـثْـلُ فَقْـدِكَ تَرْتَـاعُ العُقـولُ لهُ
وفَـقْـدُ مِثْلِكَ جُرْحٌ لَيْسَ يَنْـدَمِـلُ
زَهِـدْتَ في هٰذهِ الـدُّنْيا وزُخْـرُفِهـا
عَزْمـاً وحَـزْمـاً فَمَضْـروبٌ بِكَ المَثَلُ
أَعْـرَضْتَ عَنْهـا احْتِقاراً غَيْرَ مُحْتَفِلٍ
وأَنْتَ بالسَّعْيِ في أُخْـراكَ مُحْتَفِـلُ
عَزَفْتَ عَنْ شَهَـواتٍ ما لِعَـزْمِ فَتىً
بهـا سِواكَ إذا عَنَّـتْ لهُ قِبَـلُ
أَسْهَـرْتَ في العِلْمِ عَيْناً لَمْ تَذُقْ سِنَةً
إلا وأَنْـتَ بهِ في الحُـلْمِ مُشْتَغِـلُ

---

(١) الثوب السَّمل: البالي.

(٢) السُّلوان: وهو النسيان.

يا لَهْفَ حَفْلٍ عَظيمٍ كُنْتَ بَهْجَتَهُ
وحَلْيَهُ فَعَراهُ بَعْدَكَ العَطَلُ
وطالِبُو العِلْمِ مِن دانٍ ومُغْتَرِبٍ
نَالوا بِيُمْنِكَ مِنْهُ فَوْقَ ما أَمِلوا
حَارُوا لِغَيْبَةِ هادِيْهِم وضاقَ بِهِمْ
لِفَرْطِ حُزْنٍ عليهِ السَّهْلُ والجَبَلُ
تُرَى دَرَى تُرْبَهُ مَن غَيَّبُوهُ بِهِ
أَوْ نَعْشَهُ مَن على أَعْوادِهِ حَمَلوا / /٣٦/
عَنَّاهُ شُغْلُهُمُ دَهْراً وعادَ لَهُم
بِلاعِجِ الوَجْدِ[١] عَنْ أَشْغالِهِم شُغُلُ
يا (مُحْيِيَ الدِّينِ) كَمْ غادَرْتَ مِن كَبِدٍ
حَرَّى عَلَيْكَ وعَيْنٍ دَمْعُها هَطِلُ
وكَمْ مُقامٍ كَحَدِّ السَّيْفِ لا جَلِدٌ
يَقْوَى على هَوْلِهِ فيهِ ولا جَدِلُ
أَمَرْتَ فيهِ بِأَمْرِ اللهِ مُنْتَضِياً[٢]
سَيْفاً مِن العَزْمِ لَمْ يُصْنَعْ لهُ خَلَلُ
وكَمْ تَوَاضَعْتَ عنْ فَضْلٍ وعَنْ شَرَفٍ
وهِمَّةٍ هامَةَ الجَوْزاءِ تَنْتَعِلُ

---

(١) الهوى المحرق.

(٢) (انتضى السيف): أخرجه من غِمده شاهراً له.

عالَجْتَ نَفْسَكَ والأدْواءُ شامِلَةٌ
حَتَّى اسْتَقامَتْ وحَتَّى زالَتِ العِلَلُ
بَلَغْتَ بالتَّعَبِ الفاني رِضى مَلِكٍ
ثَوابُهُ في جِنانِ الخُلْدِ مُتَّصِلُ
ضَيْفُ الكَريمِ جَديرٌ أنْ يُضافَ لهُ
إلى الكَرامَةِ مِن ألْطافِهِ نُزُلُ
بَرَرْتَ أصْلَيْكَ[1] في دارَيْكَ مُحْتَسِباً
فَقَدْ تكافَأَ فيكَ الحُزْنُ والجَذَلُ[2]
فَجَعْتَ بالأمْسِ لَيْلاً كُنْتَ ساهِرَهُ
للهِ والنَّوْمُ قَدْ خِيطَتْ بِهِ المُقَلُ
وحَالَ[3] نورُ نَهارٍ كُنْتَ صائِمَهُ
إذا الهَجيرُ بِنارِ الشَّمْسِ مُشْتَعِلُ
لا زَالَ مَثْواكَ مَثْوى كُلِّ عارِفَةٍ
ورَوْضُهُ النَّضْرُ مِنْ سُحْبِ الرِّضا خَضِلُ[4]
إلى مَتى بِغُرورٍ نَطْمَئِنُّ ولا الـ
ـمُلوكُ رُدَّ الرَّدَى عنهُمْ ولا الرُّسُلُ

---

(١) في «المنهاج السوي»: «أهليك»، وكذا في الأصل، وفي هامشه: «أصليك»، وأمامه: «صح».

(٢) (الجذل): الفرح.

(٣) في «المنهاج السوي»: «رجاك»!

(٤) (الخضل): النَّدي.

ولا حِمىً مِن حِمام[1] جَحْفَــلٍ[2] لَجِبٍ[3]

ولا حُصــونٌ مَنــيعَــاتٌ ولا قُلَلُ[4] / /٣٧/

يا لا هِياً لاهِياً عَنْ هَوْلِ مَصْــرَعِــهِ

وضَــاحِكُ السِّنِّ مِنْهُ يَضْحَكُ الأجَلُ

لا تُخْـلِ نَفْسَـكَ مِن زَادٍ فإنَّـكَ مِن

حينِ الــوِلادِ مَعَ الأنْفـاسِ مُرْتَحِـلُ

ومَــا مَقــامٌ يُديمُ الــسَّيْرَ يَتْبَعُــهُ

إلــى مَحَــلٍّ تَلاهُ سَائِـقٌ عَجِــلُ[5]

قال شيخُنا ناظمها:

«نجزت ـ بحمد الله ومنِّه ـ خمسة وثلاثون بيتاً».

(والجَلَلُ) ـ بفتح الجيم ـ: هو الأمر العظيم، ويستعمل في الحقير، وينصرف إلى أحدهما بالقرينة له.

قال:

---

(١) (الحِمام): قضاء الموت وقدره.

(٢) (الجحفل): الجيش الكثير فيه الخيل.

(٣) (لجب): مضطرب.

(٤) (قُلل): قِمَم.

(٥) القصيدة في «تاريخ ابن الفرات» (٧ / ١١٠)، و«فوات الوفيات» (٤ / ٥٧٧)، و«عيون التواريخ» (٢١ / ١٦٥ ـ ١٦٦)، و«ذيل مرآة الزمان» (٣ / ٢٨٩)، و«المنهاج السوي» (٨٢ ـ ٨٤).

(فَقْدُكَ): مرفوع الدال؛ تقديرُهُ: واستوحَشَتْ الأقدار، وساءها الفقدُ[1].

(السَّمَل) ـ بفتح الميم ـ: هو الخَلَق.

(عَزَفْتَ): أي: مِلْتَ بكراهة.

(عَنَّتْ): أي: عرضت.

(اللهَف): الخَوَر.

(العَطَل) ـ بفتح العين والطَّاء ـ: هو ضدّ التحلِّي.

(هامة الجَوْزاء): أعلاها.

(البلاعج): بكسر الباء الموحدة: بعارض، وهو الحرق.

(بـررتَ أصليك في الـدارين): من حيث إنهما صبرا على موته، فأُثيبوا عليه.



ثم رثاه بأخرى، وخصَّني بها، وأرسلها إليَّ تعزيةً لي به؛ لأني كنتُ سرتُ إلى (نوى) صحبةَ قاضي القضاة أبي المفاخر محمد بن عبدالقادر الأنصاري ـ رحمه الله ـ لتعزية والده وأقاربه، وأقمتُ عندهم أياماً[2]، فلما عدت إلى دمشق؛ كتبها وأرسلها ـ رحمهم الله ـ / . /٣٨/

(١) في هامش الأصل ما نصه:

«حاشية: فَقْدَكَ: منصوب على أنه مفعول».

(٢) «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٥) للسخاوي.

نَبَــأ أَصَــمَّ بهِ وأَصْــمَى النَّــاعِي
فَجَنَى على الأبْصـارِ والأسْمـاعِ
غَدَتِ النُّفوسُ بِهِ شَعاعَاً إِذْ بَدَتْ
شَمْسُ الضُّحَى حُزْناً بغَيْرِ شُعاعِ
أَوْدَى بِهــا خَوْفُ الـتَّـفَــرُّقِ قَبْلَهُ
ما أَشْبَــهَ الأوْجــالَ بالأوْجــاعِ
حَلَّ المُصــابُ بِرَبِّ كُلِّ فَضيلَةٍ
رَبَّــاءِ كُلَّ ثَنِــيَّةٍ[1] طَلاَّعِ
هادٍ إلى السَّنَنِ القَـويمِ وسُنَّةِ الـ
هادي جَميلِ مَنـاقِبٍ ومَســاعِ
(يَحْيَى) الذي أَحْيا الفَضائِلَ سَعْيُهُ
وهَــدَى بِبــارِقِ ذِهْنِــهِ اللَّمَّـاعِ
القــانِتُ القَـوَّامُ والصَّـوَّامُ والس
ــاعِي بِخَـطْوٍ في العُلومِ وَسَاعِ
هانَــتْ عِلَى هِمَــمٍ لهُ إِلِّــيَّةٍ
لكِـنَّـهــا عَزَّتْ عَلى الأَطْمــاعِ
مازَالَ أَوْحَــدَ دَهْــرِهِ في عَصْـرِهِ
وإلى سَبيلِ الحَقِّ أَفْضَــلَ دَاعِ

---

(١) (الثنيَّة): الـطريق في الجبـل. ويقـال: (فـلان طلاَّع الثنايا): جَلِدٌ يتَحمل المشاق، أو ساعٍ لمعالي الأمور.

طالَ الــوَرَى طُرّاً بأَعْــلَى هِمَّــةٍ
في كُلِّ صالِـحَــةٍ وأَطْـوَلِ باعِ

وشَّــاهُــمُ[1] مُتَحَقِّقــاً بِمعــارِفٍ
مَحْمُــودَةِ الأَجْنــاسِ والأنْـواعِ

خَبَــرٌ جَليلٌ جَلَّ في تَأْبــينِــهِ
عَنْ رَثْـيَةِ الأشْعــارِ والأسْجــاعِ

قَدْ جُمِّــعَــتْ فيهِ خِلالُ سَمِــيِّهِ
وثُــبــوتُهــا بِشَهــادَةِ الإجْمــاعِ

نِعْـمَ المَــوَفَّقُ كانَ في أَقْــوالِــهِ
وفَــعَــالِــهِ ومُــوَفَّــقُ الأتْـبــاعِ

فَقَــدَتْــهُ والآمــالُ فيهِ فَسيحَــةٌ
إذْ كانَ خَيْرَ ذَخــيرَةٍ ومَتــاعِ /

/٣٩/

باتَتْ لِفَقْــدِ حُنُــوِّهِ في وَحْشَــةٍ
وعَـلَى الأسَى مَحْنِيَّةَ الأضْــلاعِ

طُوبَى لهُ مِن واصِــلٍ حَسَنــاتِـهِ
بالــصَّــالِــحــاتِ لِلَيْلِهِ قَطَّاعِ

لَقِيَ المَنــونَ لِقــاءَ مُرْتــاحٍ إلى
مَوْلاهُ لا جَزِعٍ ولا مُرْتــاعِ

---

(١) في هامش الأصل:
«قال النَّاظم رحمه الله: وشاهم: سبقهم».

يا لَهْفَ مَن كانَ السَّعيدَ بقُــرْبِـهِ
ومَــنــازِلٌ مِنْــهُ خَلَتْ ورِبــاعِ

لا زَالَ مَثْواهُ بصَوْبِ سَحائِبِ الر
ـرِضْـوانِ رَوْضَــاً دائِمَ الإمْـراعِ [1]

وقرأ الصدرُ الرئيسُ الفاضلُ أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن مصعب ـ رحمه الله ـ بدار الحديث النورية مرثاةً؛ نظمها وأنا أسمع، وكان قرأ على الشيخ ـ قدَّس الله روحه ـ قطعةً من «المنهاج في مختصر المحرر»، واستنسخ «الروضة» له، وقابلتُ له بعضها مع الشَّيخِ، وأصلحتُ بإملائه ـ رحمه الله ـ مواضع منها:

أأَكْـتُـمُ حُزْني والمَــدامِــعُ تُبْـديه
لِفَـقْـدِ امْــرِئٍ كُلُّ الـبَـرِيَّةِ تَبْكيهِ

رَأى النَّـاسُ مِنْهُ زُهْدَ (يَحْيى) سَمِيِّهِ
وتَـقْــواهُ فيمــا كانَ يُبْــدي ويُخْفيهِ

ولَــمْ يَرْضَ بالــدُّنْيا ولا مالَ لحــظَةً
إلـى عَيْشِـهــا فالله لا شَكَّ يُرْضِـيْهِ

فَلَيْسَ لهُ في زُهْــدِهِ وخُــشُــوعِــهِ
وتَجْــريدِهِ في النَّــاسِ مِثْلُ يُدانيهِ

تَحَـلَّى بأَوْصــافِ الـنَّبيِّ وصَحْبِــهِ
وتــابَـعَـهُـمْ هَدْياً فَمَنْ ذا يُناويهِ [2]؟

(١) انظر: «المنهاج السوي» (ص ٨٤ ـ ٨٦).
(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: يساويه.

وشَمَّــرَ عنْ ساقِ اجْتِهــادٍ يُعَلِّمُ الـ
ـجَهــولَ ويَهْــديهِ السَّبيلَ ويكْفيهِ / /٤٠/

وكــانَ رَؤوفـاً بالضَّعيفِ وطـالِبِ الـ
عُلوم يُوَفِّــيهِ الـجَــوابَ ويُدْنــيهِ

يُسَــرُّ إذا ما سَدَّدَ الـخَـصْمُ حُجَّــةً
وإنْ ضَلَّ عَنْ قَصْـدِ المَحَجَّةِ يَهْديهِ

ومَـن جاءَ يَسْتَـفْـتيهِ يُدْنـي مَحَـلَّهُ
ويُجْـلِسُــهُ بالـقُـرْبِ مِنْــهُ ويُفْـتيهِ

تَصــانِــيفُــهُ في كُلِّ عِلْمٍ بَديعَــةٌ
وأَبْــدَعُ مِنْــهــا ما يَقــولُ ويُمْــليهِ

حَديثُ رســولِ اللهِ والـفِقْــهُ دَأْبُــهُ
يُصَــنِّــفُ في هٰذا وهٰــذاكَ يَرْويهِ

ويَتْــلو كِتَــابَ اللهِ سِراً وجَــهْــرةً
ويُفْــكِــرُ في تَفْــسِــيرِهِ ومَـعــانِـيهِ

يَرَى المَـوْتَ حُلْواً في إمـاتَـةِ بِدْعَـةٍ
وكَـمْ سُنَّــةٍ أَحْيا بِصِــدْقِ مَســاعِيهِ

فَطُوبى لهُ ما شانَــهُ[1] طِيبُ مَطْعَمٍ
ولا مَلْبَسٍ رَقَّــتْ ولانَــتْ حَواشِـيهِ

وآثَــرَ مَع فَقْــرٍ بهِ وخَــصــاصَــةٍ
على نَفْسِــهِ جُوداً بِمــا كانَ يَحْـويهِ

(١) في الأصل: «شافه»!!

تَفَـرَّقَ في أَهْـلِ العُلوم [1] مَحـاسِنٌ

وقـد جُمِعَتْ أَوْصـافُهُم كُلُّهـا فيهِ

شَكَـا فَقْدَهُ عِلْمُ الحَـديثِ وحِفْـظُهُ

وأَهْـلوهُ والكُتْبُ الصِّحـاحُ وقـارِيهِ

ولاحَ على وَجْـهِ الـعُـلوم كَآبَـةٌ

تُخَبِّـرُ أَنَّ الـدِّينَ قد ماتَ مُحْييهِ [2]

قَضَـى ولـهُ عِلْمٌ يُجَـدِّدُ ذِكْـرَهُ

ويَنْشُـرُهُ فالـدَّهْـرُ هَيْهـاتَ يَطْويهِ

وعَـمَّ بِلادَ الـمُسْـلِمينَ مُصـابُـهُ

وخَصَّ دِمـشـقـاً بالـرَّزِيَّةِ ناعِـيْهِ

وكَـمْ نِلْتُ مِن خَيْرِيَّةٍ في حَياتِـهِ

وبَعْـدَ مَمـاتي في مَعـادِي أُرَجِّيهِ / /٤١/

ومـا كُنْتُ أَرْجـو أَنْ أُؤَخَّـرَ بَعْـدَهُ

فأَنْـدِبَـهُ بعْـدَ الـمَمـاتِ وأَرْثِـيهِ

فلَوْ أَنَّـهُ يُفْـدَى بأَهْـلي وجِيْرَتـي

ومـالـي ونَـفْسي كُنْتُ واللهِ أَفْـدِيهِ

ولٰكِنَّـهُ المَـوْتُ الـذي قَهَـرَ الـوَرَى

فمـا مِنْـهُـمُ إلا مُجـيبٌ لِداعِـيهِ

---

(١) في الأصل: «العلم»!!

(٢) انظر ما قدَّمناه في التعليق على (ص ٣٧) من كراهية الإمام النووي لقب (محيي الدين)، وأن الدِّين حيٌّ ثابتٌ، دائمٌ، غير محتاج إلى مَن يحييه.

إذا عَدِمَ الإسلامُ أَشْرَفَ أَهْلِهِ
فحُقَّ لَنا في ذا المُصابِ نُعَزِّيهِ
فَحَيَّا الحَيَا قَبراً بِهِ راحَ ساكِناً
ليُرْوَى [ثَرَى][1] ذاكَ الضَّريح ووادِيهِ[2]



ورثاه الفقيهُ الفاضلُ الإمامُ الصدرُ الرئيسُ الأديبُ نجم الدين أبو العباس أحمد ابن شيخنا عماد الدين أبي عبدالله محمد بن أمين الدين سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صَصْرى التَّغْلِبي[3] ـ بالتاء المثنّاة والغين المعجمة ـ البلدي في شعبان سنة ست وسبعين وست مئة.

وعَتَبَهُ بعضُ مشايِخِهِ على ذٰلك، فبلغَني أنَّه أجابَ عَتَبَهُ بأنَّكَ إذا مُتَّ رَثَيْتُكَ بأحسنَ منها.

فلما كان في سنة اثنتين وسبع مئة؛ وَلِيَ قضاءَ القضاةِ بالشام، فتفضَّلَ، وحضرَ مَجْلِسي للحديث بدار الحديث النورية ـ رحم الله واقِفَها ـ [في جُمادى الأولى][4]، فأمرتُ قارىءَ الحديث أن يقرأها عليه؛ ليسمعَها الحاضرون منه، وتبركاً بذكر الشيخ ـ قدَّس الله روحه ـ وسمعتُها معهم

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) انظر: «المنهاج السوي» (ص ٨٨).

(٣) انظر ترجمته في: «البداية والنهاية» ١٤ / ١٠٦)، و«فوات الوفيات» (١ / ١٢٥)، و«الدرر الكامنة» (١ / ٢٦٣).

(٤) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

لأرويها عنه لمن طلب ذلك ـ إن شاء الله تعالى / ـ . /٤٢/

وتجوز الرواية عن الأحياء بلا كراهة عند جمهور العلماء، وكرهها الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ خوف نسيان المروي عنه، واتِّهام الراوي، والله أعلم.

أَعَيْنَيَّ جِدًّا بالـدُّمـوعِ الهَـوامِـلِ
وجُـودِي بِهـا كالسَّارِياتِ[1] الهَواطِلِ

على الشَّيخ مُحْيي الـدِّينِ ذي الفَضْلِ والتُّقى
ورَبِّ الهُدَى والزُّهْدِ حاوِي الفَضائِلِ

على قانِـتٍ بَرٍّ طَهـورٍ مُوَفَّـقٍ
على عالِمٍ بالنُّسْـكِ والـدِّينِ عامِلِ

على زاهِـدٍ في طاعَـةِ اللهِ جاهِـدٍ
على عابِـدٍ يَبْغِي رِضى اللهِ فاضِـلِ

على راغِبٍ في الدِّينِ قدْ رَفَضَ الدُّنا
فَغَـالَتْـهُ منها حادِثـاتُ الغَـوائِـلِ

وسِيلِي دَمـاً فالـدَّمْـعُ ليْسَ بنـافِـعٍ
غَلِيْلِي ولا مُطْفٍ أُوامَ مَفَـاصِـلِي

لقَـدْ كانَ فَرْداً في الـزَّمـانِ مُكَمَّـلاً
عَديمَ نظيرٍ أو شَبـيهٍ مُسـاجِـلِ[2]

---

(١) السَّارِيات: السُّحب التي تجيء ليلاً.

(٢) مساجل: مُبارز.

لَقَـدْ كانَ بَحْـراً للفَضائِلِ طامِياً

غَزيرَ عُبـابٍ ما لَهُ مِن سَواحِـلِ

لَقَـدْ كانَ ذا فَضْـلٍ ونُبْـلٍ وسُؤدُدٍ

سَمَـا عَنْ مُسـاوٍ أَوْ عَديلٍ مُمـاثِـلِ

لَقَـدْ كانَ عنْ دينِ الإلٰـهِ مُناضِـلاً

فأَكْـرِمْ بهِ مِن دَيِّنٍ ومُـنـاضِـلِ

لَقَـدْ كانَ في الـدُّنْيا الـدَّنِيَّةِ زاهِـداً

فلَمْ يُلْهَ مِنْـهـا قَطُّ يَوْمـاً بطائِـلِ

لقَـدْ كانَ في الأخْرى العَلِيَّةِ جاهِداً

فَنَـوَّلَـهُ مِنْـهـا بأَشْـرَفِ[1] نائِـلِ

لَقَدْ كانَ بالمَعْـروفِ للنَّـاسِ آمِـراً

/٤٣/ ونـاهِيَهُم عن مُنْكَـراتٍ وبـاطِـلِ /

فكَم قامَ في الإسـلامِ حَقَّ قِيامِـهِ

ومـا عاقَـهُ عنْ قَصْدِهِ عَذْلُ عاذِلِ[2]

وكَمْ مِن مُقـامٍ قامَ فيهِ بنُصْـرَةِ الـ

أنـامِ مَقـامَ الـذَّابِـلاتِ العَـوامِـلِ

وكَمْ لِذَوي الجاهـاتِ واجَـهَ مُعْلِنـاً

بإِنْكـارِهِ عنـدَ الضُّحَى والأصـائِـلِ

وكَمْ بالهُـدَى والحَقِّ شافَـهَ مُنْكِـراً

لمَنْ لَمْ يَكُنْ يُصْغِي لأقـوالِ قائِـلِ

---

(١) في الأصل: «رب أشرف». (٢) أي: لوم لائم.

فإِنْ هُوَ عنْ رُؤياهُ أَصْبَـحَ عاجِـزاً
يُبَـلِّغُـهُ إنْكـارَهُ في الـرَّسـائِـلِ
تَنَــزَّهَ عنْ دُنْـياهُ يَرْجـو إِلـهَـهُ
فعَـوَّضَـهُ عَنْ عاجِـلاتٍ بآجِـلِ
وصَـدَّ عَنِ الفـاني لِيُصْبِـحَ فائِـزاً
ببـاقٍ مِن الأخْـرى عَديمِ مُعـادِلِ
فلَمْ يَكُ مِن حَظٍّ لَهُ في حَياتِـهِ
وذاكَ على الإخلاصِ أَقْوى الدَّلائِلِ
ولَمْ يَكُ يَسْعى في سوى الـزُّهْدِ والتُّقَى
وقَـدْ كانَ فيهِ خيرَ ساعٍ وفـاعِـلِ
ولَمْ يَكُ فعَّـالاً سوى الخيرِ والهُـدى
وهـاتيكَ ـ والـرَّحمٰنِ ـ أَفْعـالُ عاقِلِ
تَعَـزَّوْا جَميعَ النَّـاسِ عنـهُ فكُلُّكُم
مُصـابٌ بهِ مِن عالِمينَ وجـاهِـلِ
فكَـمْ قامَ فيمـا نابَـكُم مِن مُلِمَّـةٍ
وشُغْـلٍ بِمـا فيهِ مِن الحُزْنِ شاغِلِ
على قاصِـديكُم بالنَّـوائِبِ مُنْكِـراً
بلفْظٍ وجـيزٍ للمـواعِظِ شامِـلِ
وكَـمْ ذَبَّ عنكُـمْ مَرَّةً وحَمـاكُـمُ
بِقَـوْلٍ وعزمٍ مثلِ حَدِّ المَناصِلِ (١)

(١) (المَناصل): جمع مُنصُل: السيف.

رَجـاءَ ثَوابِ اللهِ لا قَصْـدَ سُمْعَـةٍ
ولا لِحـياءٍ مِنْـكُـمُ وفَـواضِـلِ /

/٤٤/

فأَسْكَـنَـهُ الـرَّحمٰنُ في دارِ خُلْدِهِ
وبَـلَّغَـهُ منهـا أَجَـلَّ المَنـازِلِ(١)

ورَثاهُ بعضُ فضلاءِ الحنفيَّة(٢) ـ رحمهم الله أجمعين ـ:

مُصـابٌ أَصـابَ القَلْبَ والجَفْنَ أَرَّقا
وخَـطْبٌ أَتى بالحُـزْنِ والصَّبْـرِ فَرَّقـا
ورُزْءٌ تَغَـشَّـى الـمُـسْلِمينَ بأَسْـرِهم
وسَهْمٌ إِلى عَيْنِ الشَّـريعَـةِ فُوِّقـا(٣)
فأَصْمَى صَميمَ القَلْبِ مِن كُلِّ مُسْلِمٍ
وأَصْلا الحَشَا جَمراً مِنَ الحُزْنِ مُحْرِقا
ولَـمْ يَعْـدُ قَلْبَ الـشـافـعيةِ نَصْلُهُ
وإِنْ كانَ قَدْ عَمَّ المَـذاهِبَ مُطْلَقـا
لَقَـدْ سَدَّدَ الـرَّامي السِّهـامَ ولَمْ يَكُنْ
لِيُخْـطِي بهِ سَهْمُ المَنـونِ مُفَـوَّقـا

(١) انظر: «المنهاج السوي» (ص ٨٨).

(٢) كذا قال المصنِّف، ولم يسمِّه، وكذا قال السخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٦)؛ إلا أن السيوطي سمَّاه في «المنهاج السوي» (ص ٨٨)، فقال: «وقال الفقيه سليمان بن أبي الحارث الأنصاري الحنفي».

(٣) (الفُوق)؛ من السهم: حيث يثبت الوتر منه. و (فُوِّق السهم): كان بأحد طرفي فُوقه مَيْل أو انكسار.

وخَـطْبٌ يَجوبُ الأرْضَ شَرْقاً ومَغْرِباً

فأَشـأَمَ في قَطْعِ البِـلادِ وأعْـرَقـا

وعَمَّ جَميعَ الأرْضِ مِن كُلِّ وِجْهَـةٍ

وإنْ خَصَّ مَن دونَ الأقاليمِ (جِلَّقا)[1]

ومـادَتْ نَواحي الأرضِ حُزْناً بأَهْلِها

وكـادَتْ قُلوبُ الخَلْقِ أنْ تَتَمـزَّقـا

وضاقَ الفَضاءُ الرّحْبُ حَتّى لَقَدْ غَدا

كَسَمِّ خِياطٍ[2] أو مِن السُّمِّ أَضْيَقـا

وقَدْ حَكَمَتْ أَيْدي المَنونِ بِمَنْ كَسا

على الـدِّينِ والـدُّنيا جمـالاً ورَوْنَقـا

ومَـنْ كانَ للدِّينِ الـحَنيفِيِّ عِصْمَـةً

يَرُدُّ العِـدَى عنـهُ وللعَيْنِ مُؤنِقـا[3]

ومَـن كَانَ حَلْياً للزَّمـانِ وأَهْـلِهِ

وعِقْـدَ نِظامِ العِلْمِ والحِلْمِ والتُّقى

لَقَـدْ كانَ رُكْنـاً للشَّـريعَـةِ مانِعـاً

يُصـانُ بهِ الإسـلامُ طَوْعـاً ومُتَّقى / /٤٥/

---

(١) بفتح وكسر اللام: اسم دمشق.

(٢) (سم الخياط): ثقب الإبرة.

(٣) (آنَق الشيء): أعجبه، فهو مُؤنِق وأنيق.

وعَيْناً لأهْلِ الرُّشْدِ في المَحْلِ هاطِلاً
وصَوْباً[1] على أَهْلِ الضَّلالَةِ مُصْعِقا
ونـوراً لدينِ اللهِ يَهْـدِي ذَوي العَمَى
وبَـدْرَ تمـامٍ في سَما الشَّرْعِ مُشْرِقا
وعضباً[2] يَصونُ الدِّينَ مِن كُلِّ مُلْحِدٍ
وبـاغٍ صَقيلاً[3] ماضِيَ الحَدِّ مُطْلَقا
إذا ما انْتَضاهُ الشَّرْعُ مِن أَجْلِ حادِثٍ
فَرَى هامَةَ الخَطْبِ الجَسيمِ وفَلَّقا[4]
لَقَـدْ هَفَـتِ الأكْبـادُ مِنّـا كآبَـةً
وطـارَتْ أَسىً مِن حُزْنِهـا وتَحَـرُّقـا
وأَوْدَى بِهـا عُظْمُ المُصابِ ولَوْ فُدِي
لَكـانَتْ لهُ الأرْواحُ مِن كُلِّنـا وِقـا
فأَصْبَحَـتِ الأقْـطارُ والكَـوْنُ كُلُّهُ
لِفَقْدِكَ (محيي الدين) بَيْداءَ سَمْلَقا[5]

---

(١) (الصَّوْب): المطر الغزير، فيه رعودٌ وبروقٌ.

(٢) وهو من أسماء السيف.

(٣) هنا صفة للإمام النووي.

(صقل الكلام): هذَّبه ونمَّقه.

(٤) (فلق الشيء): شقَّه. و(فلق الخَطْب): إذا شتَّته وبدَّده.

(٥) (السَّملق): القفر الذي لا نبت فيه.

وأَقْفَرَ رَبعُ الزُّهْدِ والجُودِ والنُّهَى
وربْعُ الحِجَى[1] والنُّسْكِ والدِّينِ والتُّقى
أَسِفْتُ ولو رَدَّ القَضاءَ تَأَسُّفٌ
لَما كانَ مِمَّا بي إِليكَ تطَرُّقا
رَثَيْتُك لا أَنِّي ظَنَنْتُك مَيِّتاً
وكَيْفَ وإِحياءُ العُلومِ هُو البَقا
وكَمْ مَيِّتٍ أَحْيَيْتَهُ بعدَ مَوْتِه
فأَصْبحَ أَبْداً[2] للصَّوابِ وأَحْذَقا
وكَمْ غامِضٍ أَوْضَحْتَ للنَّاسِ غَمْضَهُ
وإِنْ كانَ قَدْ أَعْيا الإمامَ المُحَقِّقا
وكَمْ شَنَّفَ الأسْماعَ دُرّاً ولُؤلؤاً
إذا ما شَجَى في مجلِسٍ منهُ مَنْطِقا
بِلَفْظٍ يَفوقُ الماءَ مِنْهُ عُذوبَةً
بل اللُّؤلُؤ الرَّطْبَ الأنيقَ المُنَمَّقا
ومُفْتَقِراً للعِلْمِ أَغْنَيْتَ فَقْرَهُ
فأَضْحَى غَنِياً بعْدَ أَنْ كانَ مُمْلِقا[3] / /٤٦/
وحَيْرانَ في قَفْرٍ مِن الغَيِّ بَلْقَعٍ[4]
هَداهُ إلى سُبُلِ الرَّشادِ وطَرَّقا

---

(١) (الحِجَى): العقل. (٢) كذا في الأصل.

(٣) (أملق الرجل): أنفق ماله حتى افتقر.

(٤) (البلقع): الخالي من كلِّ شيء. (أرض بلقع): خالية ملساء.

وكَـــمْ فاجِــرٍ قَدْ راضَـــهُ بتَــلَطُّفٍ

فَعَــوَّضَ عنْ ذاكَ الـفُجــورِ بِهِ تُقى

(أَبــا زَكَــرِيًّا) ليسَ للمَــرْءِ مَلْجــأ

يُرَدُّ الــرَّدَى عنــهُ ولــو جَرَّ فَيْلَقــا

فكُـــلٌّ وإِنْ طالَـــتْ جَريدَةُ عُمْـــرِهِ

سَيُنْسَـــخُ في دَرْجِ المَنـونِ مُحَقَّقـا

أَ(يَحْيى) لو آنَّ المَوْتَ يَثْنِيهِ عَنْ فَتَىً

ثَبــاتُ جَنـانٍ لانْثَنى عنْـكَ أَخْـرَقـا

ومـا مَدَّ صَرْفُ الـدَّهْـرِ نَحْـوَكَ باعَـهُ

ولا ضَمَّ جَنْبَيْكَ الصَّفيحُ[1] مُطَبَّقــا

فَكَمْ مَوْطِنٍ قدْ قُمْتَ فيهِ مُجــاهِـداً

وطَـرْفُ الـرَّدَى فيهِ إِليكَ[2] مُحَـدِّقـا

لَئِنْ كانَ قَدْ وارى الثَّرَى حُسْنَ خَلْقِهِ

فَغَـــيْرُ مُطيقٍ أَنْ يُواريَ الـتَّـخَـلُّقــا

وكَيْفَ يُواري التُّــرْبُ عِلْمـاً غَدا بِهِ

عَلى سَعَـــةٍ صَدْرُ الـبَسيطَةِ ضَيِّقــا

فَطُوبــى لِقَبْــرٍ ضَمَّـــهُ فَلَقَــدْ غَدا

يُبَــاهـي بِهِ دارَ الـمُقــامَــةِ والبَقــا

---

(١) (الصَّفيح): الحجارة الرقيقة؛ كناية عن القبر هنا.

(٢) في الأصل: «إليه»!!

سَقَـا قَبْـرَهُ صَوْبَـا غَمـامٍ ورَحْمَـةٍ
إذا قِيْلَ أَنْ قَدْ أَقْلَعا عنـهُ أَغْـدقا[1]



ورَثاهُ صاحِبُنا الفقيهُ الفاضِلُ أبو عبدالله محمد المَنْبِجيّ[2]ـ نَفَعَ الله به ـ أحدُ فقهاء المدرسة الناصرية بدمشق المحروسة والساكنِ بها، شاعر، أديبٌ، مفلِّق:

سُبُـلُ العُلومِ تَقَـطَّعَتْ أَسْبـابُهـا
وتَـعَـطَّلَتْ مِن حَلْيِهـا طُلاَّبُـهـا
لِمُـصيبَـةٍ عَزَّ العَـزاءُ لهـا كَمـا
في النَّاسِ قَدْ جَلَّتْ وجَلَّ مُصابُها / /٤٧/
يا أَيُّهـا الحَبْـرُ الـذي مِن بَعْـدِهِ
كُلُّ الفَضـائِـلِ أُغْلِقَتْ أَبـوابُها
أَضْحَى على الـدُّنْيا لِفَقْـدِكَ وَحْشَـةٌ
ما اعْتَـادَهـا مِن قَبْـلِ ذا أَرْبـابُها
مُسْـوَدَّةٌ أَيَّامُـهـا مُتَـغَـيِّرٌ
أَحْـوالُـهـا مُسْتَـوْحِشٌ مِحْـرابُهـا

(١) انظر: «المنهاج السوي» (ص ٨٨ ـ ٨٩).

(٢) انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (٦ / ٢٣٦ و٢٨٩)، و«معجم المؤلفين» (١١ / ٢٩٥).

لله أيُّ بِحارِ فَضْلٍ غُيِّضَتْ[1]
مِنْ بَعْدِ ما زَخَرَتْ وعَجَّ عُبابُها[2]
مَنْ للمَسائِلِ أعْضَلَتْ مَنْ لِلْفتا
وَى أشْكَلَتْ عَنْ أنْ يُرَدَّ جوابُها
مَن لِلتُّقَى مَنْ لِلْحيا مَنْ لِلْحِجى
طُوِيَتْ لِفَقْدِ أليفِها أثْوابُها
قَدْ كانَ ذا سَمْتٍ يُقِرُّ بِحُسْنِهِ
في العَالَمينَ شيوخُها وشَبابُها
ومَناقِبٍ مِثْلِ الكَواكِبِ سَافِرٍ
عَنْها لحَظِّ النَّاظِرينَ نِقابُها
حَسَناتُهُ أرْبَتْ على قَطْرِ الحَيا
فلأجْلِ ذٰلِكَ أتْعِبَتْ كُتَّابُها
ما عُذْرُ أجْفانٍ عليهِ لَمْ يَدُمْ
بِنَجيعِ دَمْعٍ حَسْرَةً تَسْكابُها
تَبّاً لِدُنْيا لا يَدُومُ سُرُورُها
مَعَ أنَّها لا تَنْقَضي أوْصابُها

---

(١) (غاض الماء): إذا غاب في الأرض، والمراد: غِيْضت بحار الفضل: أي: جفَّت من كثرة بكائها على الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٢) (عب ماء البحر): ارتفع موجهُ واضطرب.

فَنَعـيمُهـا ـ أنّى نَظَرْتَ ـ شَقـاؤهـا
والشَّهْدُ(1) مِنْها ـ إنْ تُحَقِّق ـ صابُها(2)
وكَـذا الـمَنـونُ إذا اعْـتَبَـرْتَ مَطِيَّةً
مَرْهُـونَـةً كُلُّ الـوَرَى رُكّـابُـهـا
فانْـظُرْ لِنَفْسِـكَ أيُّهـا المَغْـرورُ مِن
يَوْمٍ يَطولُ على النُّفـوسِ حِسـابُهـا
في مَوْقِـفٍ للنّـاسِ صَعْبٍ لَمْ تُفِـدْ
أَحْسـابُـهـا فيهِ ولا أَنْسـابُـهـا / /٤٨/
واسْلُكْ كـ (مُحْيِي الدِّين) سُبْلَ سَلامَةٍ
تُقْـصِـيكَ مِن نارٍ يَدُومُ عَذابُـهـا
عَزَفَـتْ عنِ الـدُّنْيا الـدَّنِيَّةِ نَفْسُـهُ
وهِـيَ الـتي عَدَدُ الـحَصى خُطّابُهـا
وتَـخَيَّرَ البـاقي على الفـاني ومـا
أَصْبـاهُ مِنْهـا حَلْيُهـا وخِضـابُهـا
أَطْـنَبْـتُ في نَظْمي المَـراثِيَ بَعْـدَهُ
لَوْ كانَ تَشْـفِـي غُلَّتي إطْـنـابُـهـا
فَسَـقَـى ضَرِيحـاً حَلَّ فيهِ رَحْـمَـةٌ
يَهْمِي على كَرِّ العُصـورِ سَحَـابُهـا

---

(1) (الشَّهْد): عسل النحل.

(2) الصَّابُ: العلقمُ.

وأَحَـلَّهُ الـرَّحْـمٰـنُ عالِـيَ جَنَّـةٍ
مَأْنـوسَـةٍ رِضْـوانُـهُ بَوَّابُـهـا[1]



ورثاه قارىء دار الحديث الأشرفية، والآخذ عنه، الشيخ، الفاضل، المحدِّثُ، أبو الفضل، يوسف بن محمد بن عبدالله[2] الكاتب، الأديب، المصري، ثم الدمشقي، وقال:

«نَظَمْتُها راثياً مشايِخي ـ رحمَهُم الله تعالى ـ».

وسَمِعْتُها مِن لَفْظِهِ:

الـحَـمْـدُ للهِ العَـظِيمِ الهَـادي
جَلَّتْ مَحـامِـدُهُ عَنِ الـتَّـعْـدادِ
رَبٌّ عَلا في مَجْـدِهِ وجَـلالِـهِ
عَنْ مَنْ يُضـاهِـيهِ مِن الأنْـدادِ
جَلَّ الـذي هُو واحِـدٌ في مُلْكِـهِ
مِنْ غَيْرِ صاحِـبَـةٍ ولا أَوْلادِ
خَلَقَ الـوَرَى والخَلْقَ إِظْهـاراً لِما
يَخْفَى مِن المُلْكِ العَظيمِ البادِي

(١) انظر: «المنهاج السوي» (ص ٨٩ ـ ٩٠).

(٢) انظر ترجمته في «فوات الوفيات» (٢ / ٣٢٥)، و«الدرر الكامنة» (٥ / ٢٤٥)، و«النجوم الزاهرة» (١١ / ١٠٠)، و«المعجم المختصّ بالمحدِّثين» (ترجمة رقم ٣٨٣)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٣٩٤).

قَسَمَ الخَـلائِقَ كَيْفَ شاءَ فَكُلُّهُم
مُلْكٌ لَهُ مِن رائِـحٍ أَوْ غادِي
فَقَـضـى لِمَـنْ قَدْ شاءَ بالإِبْـعـادِ
وقَـضَى لِمَنْ قَدْ شاءَ بالإِسْعـادِ / /٤٩/
وقَـضـاؤهُ عَدْلٌ فَلَيْسَ بجـائِـرٍ
إذ كانَ مالِـكَـهُـم بِلا تَرْدادِ
رَحِمَ الأنـامَ فأَرْسَـلَ الـرُّسْلَ الكِرا
مَ الـراشـدين بِـواضِـحِ الإرْشـادِ
واللهُ شَرَّفَنـا [بفَضْـلٍ][1] نَبِيِّنـا الـ
مَبْـعُـوثِ حَقّـاً رَحْـمَـةً لِعِـبـادِ
فأَتَـى بقُـرْآنٍ عَظِيمٍ باهِـرٍ
فيهِ الـهُـدى أَكْـرِمْ بِهِ مِنْ هادِ
وحَـدِيْثُـهُ يَشْفِي الصُّـدُورَ ونُـورُهُ
تَحْيَى القُلوبُ بِهِ[2] وَيَرْوِي الصَّادِي
وأَقـامَ للدِّينِ الـمُـبِـين أئِـمَّـةً
تَهْـدِي الـوَرَى فَهُمُ نُجـومُ بِلادِي
فَوُجـودُهُمْ بَيْنَ الخَـلائِقِ رَحْمَـةٌ
ومَـمـاتُهم عَلَمٌ لِقُـرْبِ مَعـادِ[3]

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) في الأصل: «به القلوب»!!

(٣) في الأصل: «معادي»!!

فَالْعِلْمُ مَقبــوضٌ بِقَبْضِ نُفــوسِهِم

قَدْ جاءَ ذاكَ عنِ النَّبِيِّ الهَــادي[1]

فَلَقَــدْ فَقَــدْنــا سادَةً في دَهْــرِنــا

نُورُ الـعِبــادِ وعِصْمَــةُ الــرُّوَّادِ[2]

ابنُ الصَّــلاحِ إمَـامُنـا حَبْـرُ الوَرَى

وبَــقِــيَّةُ الـعُــلَمــاءِ والـعُـبَّــادِ

والشَّيْخُ عِزُّ الــدِّينِ أَوْحَــدُ دَهْـرِهِ

وكَـذا السَّخـاوِيُّ الـرَّحيبُ النَّـادي

وكَـذا أَبـو عَمْرٍو الإمامُ وشَيْخُنا الْـ

ـحَبْــرُ الخَــطِيبُ مُلَقَّبٌ بِعِمــادِ

وكَــذا شِهــابُ الـدِّينِ شَيْخٌ بارِعٌ

في كُلِّ عِلْمٍ ثابِــتِ الأَطْــوادِ

---

(١) يشير الناظم إلى قوله ﷺ:

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء».

أخرجه البخاري في «الصحيح» (١ / ١٩٤) (رقم ١٠٠)، ومسلم في «الصحيح» (٤ / ٢٠٥٨) (رقم ٢٦٧٣)، والترمذي في «الجامع» (٥ / ٣١) (رقم ٢٦٥٢)، والنسائي في «السنن الكبرى»؛ كما في «التحفة» (٦ / ٣٦١)، وابن ماجه في «السنن» (١ / ٢٠) (رقم ٥٢)، والدارمي في «مسنده» (١ / ٧٧)، وعلي بن الجعد في «المسند» (٢ / ٩٦٢) (رقم ٢٧٧١)، وأحمد في «المسند» (رقم ٦٥١١ و٦٧٨٧ و٦٧٨٨)، وابن المبارك في «الزهد» (رقم ٨١٦)، وغيرهم كثير.

(٢) في الأصل: «عمدة الأجواد»، وما أُثبت من الهامش.

وكَـذاكَ (مُحْيي الدِّينِ) فاقَ بزُهْدِهِ

وبِـفِـقْـهِـهِ الفُقَهـا مَعَ الـزُّهَّـادِ

الـقَــانِتُ الأوَّابُ والحَبْــرُ الــذي

نَصَــرَ الشَّـريعَـةَ دائِماً بِجِهـادِ / /٥٠/

تَبْــكِــيهِ دارٌ للحَــدِيثِ وأَهْـلُهــا

لِخُــلُوِّهــا مِنْ فَضْلِهِ الـمُـعْـتـادِ

لَمْ يَبْقَ بَعْــدَكَ للصَّحيحِ مُعَــرِّفٌ

قَدْ كُنْــتَ فيهِ جِهْــبِــذَ الـنُّـقَّــادِ

مَنْ ذا يُبَــيِّنُ مُرْسَــلاً مِن مُسْـنَـدٍ

أَوْ مِن حَديثٍ عُدَّ في الأفْــرادِ

أَوْ كانَ مَقْــطوعاً ضَعِيفاً مُعْضَـلاً

أَوْ كانَ مَوْضـوعــاً لِذي إِلْــحــادِ

أَوْ مَنْ يُبَــيِّنُ مُنْــكَــراً في مَتْـنِـهِ

أَوْ مَنْ يُعَــرِّفُ عِلَّةَ الإِسْــنــادِ

مَنْ ذا لِدَفْعِ المُنْكَراتِ وقَدْ غَدَتْ

بَيْنَ الأنــامِ كَثِــيرَةَ الــتَّــرْدَادِ

أَنْهَكْتَ جِسْمَـك بالصِّيامِ مُواظِبـاً

وسَــهِــرْتَ غَيْرَ مُمَــتَّــعٍ بِرُقــادِ

تَشْفِي النُّفوسَ إِذا أَجَبْتَ سُؤالَ مَن

يُلْقِــي عَلَيْكَ دَقــائِــقَ الإِيرادِ

وزَهَــدْتَ في الــدُّنْيا وفي لَذَّاتِهـا
فَكُـتِـبْـتَ عِنْـدَ اللهِ في الــزُّهَّــادِ
تَبْــكِــيهِ جامِـعُ جِلَّقٍ لَمَّــا خَلا
مِنْــهُ تَهَــجُّــدُهُ على الآبــادِ
يا حَبَّــذا تِلْكَ الـخِـلائِقُ والنُّهَى
ما كانَ أَبْــرَدَهــا على الأكْــبـادِ
ونَصَــرْتَ دينَ اللهِ وَحْـدَكَ جاهِـداً
ودَفَـعْـتَ عنــهُ شُبْهَــةَ المُــرَّادِ[1]
حَتَّى حَصَلْتَ على عُلومٍ جَمَّــةٍ
ونَشَــرْتَ أَخْبــارَ النَّبيِّ الهَــادِي
بالــواضِحــاتِ مِن الأدِلَّــةِ جُلُّهــا
نَصُّ الـقُــرانِ بذِهْنِــكَ الــوَقَّــادِ
أَوْحِشْتِ جِلَّقُ إذ فَقَــدْتِ وَأهـلـهـا
مِنْ بَعْــدِ أُنْسٍ خَالِصٍ ووِدَادِ / /٥١/
تَبْكيهِ صَحْبٌ كانَ يَجْمَـعُ شَمْلَهُم
فيهِ بِشَــرْحٍ شارِحٍ لِفُــؤادِ
يا حَبَّــذا مِنْ مُسْتَشــارٍ ناصِـحٍ
بمَــشُــورَةٍ تَأْتــي بِكُــلِّ رَشــادِ

(١) (المُرَّاد): جمع مارد، الطَّاغية والعملاق.

قَدْ كُنْتَ عَيْنـاً للبِـلادِ وأَهْـلِهـا

تُسْقى بِكَ الأرَضـونَ عنـدَ جَمـادِ

قَدْ كُنْــتَ نوراً للْبِــلادِ وأَهْــلِهـا

قَدْ عادَ بَعْــدَكَ مُبْـدَلاً بِسَــوادِ

فبَكَيْتُــهُ لَمَّــا ثَوَى بِثَـرَى (نَـوَى)

ونَــأَى فَقْــدَ أُصْـمَـى صَمِيمَ فُؤادِ

فَلَقَــدْ سُلِبْــنـاهُ وبُــدِّلَ قُرْبُــه

لَمَّــا حَواهُ لَحْــدُهُ بِبِــعَــادِ

قَدْ كَان تُسْلِيْنــا مَجَــالِسُ عِلْمِــهِ

عَنْ سالِــفِ الآبــاءِ والأَجْــدادِ

أَتُــرَى تَعُــودُ لَنــا لَيالِـي أُنْـسِكُم

هَيْهَــاتَ لكِــنْ ذاكَ يَوْمُ مَعــادِي

حُقَّ البُكـاءُ على الأنـامِ لِفَقْـدِهِم

حُزْنــاً وحُــقَّ تَفَــتُّــتُ الأكْبــادِ

تَرَكُــوا مَنــازِلَهُم وسَــارُوا سُرْعَــةً

تَتْــرى كَأَنَّــهُــمُ حَدَاهُــم حادِي

غَدَتِ الـمَنــونُ عليْهِمُ فتَتــابَعــوا

فكــأَنَّــمــا كانــوا على مِيْعــادِ

ماذا أُؤَمِّــلُ بَعْــدَهُــم مِن لَذَّةٍ

تَبْــقى وهُــمْ كانــوا جَمِيعَ فُؤادِي

[يا صائِـراً هٰذا المَصيرَ أَلا اسْتَفِقْ
مِنْ غَفْلَةٍ تُرْدِي وطُـولِ رُقـادِ][1]
واعْمَـلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ سُكْناكَ الثَّرَى
وتَـصِـيرَ في لَحْـدٍ مِن الأَلْحـادِ
لا تَسْـتَـطيعُ إذاً لِنَـفْسِـكَ حِيْلَةً
واحْـذَرْ إلٰهَـكَ فهْـوَ بالمِـرْصادِ
ما النَّـاسُ إلا غافِلونَ عَنِ الهُـدى
في هٰذهِ الـدُّنْيا سِوى الـزُّهادِ /

/٥٢/

يا رَبِّ فاجْبُـرْ كَسْـرَها فيمَنْ مَضَى
مِنْـهُـم وأَيْقِـظْنـا للاسْـتِـعْـدادِ
واخْتِمْ لنـا بالخَيْرِ عنْـدَ مَمـاتِنـا
أَنْـتَ الـكَـريمُ ومَلْجـأ القُصَّـادِ
والـحَـمْـدُ للهِ الـمُـهَيْمِنِ دَائِمـاً
ثُمَّ الـصَّـلاةُ على النَّبيِّ الهَـادِي
والآلِ والأَصْـحـابِ ثُمَّ سَلامُـهُ
ما غَرَّدَتْ وُرْقٌ على الأَعْـوادِ[2]

□□□□□

وقـال الأديبُ الفـاضـلُ المحدِّثُ أبو الحسن عليُّ بن المظفر بن

---

(١) هٰذا البيت من هامش الأصل.

(٢) ذكر أبياتاً يسيرةً منها: السيوطيُّ في «المنهاج السوي» (ص ٩٠ ـ ٩١).

إبراهيم الكِنْديُّ[1] يرثي شَيْخَنا الإمامَ العلاّمَةَ الحافظَ المُفْتي الزاهدَ الورعَ أنموذجَ الطِّرازِ الأوَّل محيي الدين يحيى النواوي الشافعي ـ رضي الله عنه ـ متقرباً بذلك إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

لَهْفِي عَلَيْهِ سَيِّداً وحَصُورا[2]
سَنَداً لأعلامِ الهُدَى وظَهِيرا

ومُجاهِداً ومُجاهِراً في اللهِ لا
يَخْشى مَليكاً قاهِراً وأَميرا

ومُشَيِّداً رُكْنَ الشَّريعَةِ ناصِحاً
بالباقِياتِ الصَّالِحاتِ مُشِيرا

ما إنْ يُبالي راحَ مَعْذولاً إذا
نَصَحَ الوَرَى للهِ أَوْ مَعْذورا

عَفٌّ عَنِ الدُّنْيا وكَمْ عَرَضَتْ لَهُ
حِلاًّ فأَوْلاها قِلَىً[3] ونُفورا

لَمْ يُصْبِحِ الوَرِقُ[4] المُزَخْرَفُ رائِقاً
يَوْمَاً لدَيْهِ ولا النُّضارُ نَضِيرا

---

(1) ظر ترجمته في «البداية والنهاية» (١٤ / ٧٨)، و«فوات الوفيات» (٣ / ٩٨)، و«تذكرة الحفاظ» (٤ / ١٥٠٣)، و«العبر» (٤ / ٤٣)، و«المعجم المختص» (رقم ٢١٦)، و«الدرر الكامنة» (٣ / ١٣٠ ـ ١٣٣)، و«النجوم الزاهرة» (٩ / ٢٣٥)، و«شذرات الذهب» (٦ / ٣٩).

(2) يشير إلى أنه عاش عَزَباً لم يتزوَّج.

(3) (القِلى): البغض والهجر.

(4) الوَرِق ـ بكسر الراء ـ: الفضة.

هَجَــرَ الكَــرَى والـطَّيِّبـاتِ تَورُّعـاً
إِذْ قامَ دَيْجــوراً وصــامَ هَجـيرا / /٥٣/
ما زالَ بِرُّ الــوالِـدَيْنِ شِعــارَهُ
مُذْ أُوتِـيَ الـحُـكْـمَ المُبينَ صَغِيرا
أَحْيا شَريعَــةَ أَحْمَـدٍ وأَفـاضَهـا[1]
فأَفــادَنــا نَشْــراً لهــا ونُــشُــورا
يُفْــتـي فَيَفْـتِـنُ كُلَّ حَبْــرٍ عِلْمُــهُ
مَعَ أَنَّــهُ يَهْــدي الهُــدَى والنُّـورا
ما ماتَ (يَحْيَى) إِنَّمـا جَبَـلٌ هَوَى
فأَخــافَ ذٰلــكَ يَذْبُــلاً[2] وثَبيراً[2]
ما غاب عنــهُ عالِــمٌ بَلْ عالَــمٌ
كانَــتْ بِهِ الـتَّـقْــوى أَعَــزَّ نَفِـيرا
إِنَّ الـمَــدارِسَ وَحْشَــةً لِفِــراقِــهِ
أَضْحَتْ دَوَارِسَ[3] لا تَبِيْنُ دَثُورا[4]
وكـذا المَساجِدُ بالمصابِيحِ انْثَنَتْ
تُبْــدِي عليهِ حُرْقَــةً وزَفِــيرا

---

(١) كذا في الأصل، وفي «المنهاج السوي»: «فأقامها».

(٢) أسماء جبال، الأوَّل في نجد، والثاني في مكة.

(٣) في الأصل: «مدارس»، والتصويب من «المنهاج السوي».

(٤) (الدثور): الخامل.

يا مَنْ رَآهُ وهْــوَ حَيٌّ لَوْ ترى

بَعْــدَ المَمــاتِ العــالِمَ النِّحْـرِيرا

لَرَأَيْتَ ثَمَّ مُسَــوَّغــاً ومُــسَــوَّراً[١]

لاقــى حَياءً وافِــراً وحُــبُــورا

ذاكَ الشُّحـوبُ مِن العِبادَةِ والأَسَى

في اللهِ صارَت[٢] نَضْــرَةً وسُــرورا

تِلْكَ الــزَّوايا والـثِّيابُ الخُشْنُ قَدْ

عادَتْ[٣] عليهِ جَنَّــةً وحَــرِيرا

آهــاً على الأَوَّاهِ والأَوَّابِ مِن

صِدْقِ الـمَقــالِ لِنَفْســهِ هِجِّيرى

والـطَّاهِرِ الأَعْراضِ والأَغْراضِ لا

يُبْــدي رِياءً للأنــامِ وزُورا

مَنْ كانَ يُسْتَسْقى[٤] بيُمْنِ دُعــائِـهِ

صَوْبُ الـغَمــامِ فَيَسْتَجيبُ مَطيرا

ودَرِيئــةٌ عنــدَ الـحَــوادِثِ تَتَّـقِي

[عندَ المُلوكِ بها الوَرَى المَحْذورا][٥]

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) في الأصل: «صار»، وما أثبتناه يستقيم به الوزن.

(٣) في الأصل: «عادا».

(٤) في الأصل: «يُسْقى»، وفوقه: «يُسْتَقى»، وأمامها: «صح».

(٥) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

[ضَمَّتْ (نوى) الجولانِ مِن أخلاقِهِ][1]

/٥٤/ نوءاً إذا ضَنَّ السَّحابُ غَزيرا /

فالخصْبُ حالَفَ أَرْضَها حتى كأَ

نَّ الجَدْبَ عَنْها لَمْ يَكُنْ مَشْهورا

وتَقَدَّسَتْ بقُدُومِهِ مِنْ قُدْسِهِ

فِيها فبُورِكَ طاهِراً وطَهُورا[2]



ورثاهُ الشيخُ الفاضلُ أبو [مُحَمَّد][3] إسماعيلُ البُسطي ـ رضي الله عنه ـ وتوفي ـ رحمه الله ـ بعد وفاة الشيخ بأربعة وعشرين يوماً، ودُفِنَ مِن يومه بدمشق[4].

رَزِيَّةُ (مُحْيي الدين) قَدْ عَمَّتِ الوَرَى

فلَسْتَ تَرَى إلا حَزيناً مُفَكِّرا

فَطالِبُهُمْ لِلْعِلْمِ يَبْكِي لِفَقْدِهِ

وجاهِلُهُمْ يَبْكي لعُرْفٍ تَنَكُّرا

عَزيزٌ علَيْنا فَقْدُهُ وفِراقُهُ

ولٰكِنْ هِيَ الآجالُ لَنْ تَتَأَخَّرا

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) انظر: «المنهاج السوي» (٨٦ ـ ٨٨).

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل».

(٤) انظر «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٥) للسخاوي.

فَيا زَوْرَةً قَدْ أَوْرَثَتْنَا تَحَيُّرا
كَمَا أَوْرَثَتْهُ في الجِنانِ تَبَخْتُرا

لَقَدْ عَطَّلَتْ مِنا دُروساً عَزيزَةً
كَمَا عَطَّلَتْ أَوْراقَهُ والمَحابِرا

وكُنَّا كَعِقْدٍ وهْو واسِطَةُ الضِّيا
فَلَمَّا انْجلى ذاكَ الضِّياءُ تَناثَرا

وكانَ كَبَدْرٍ نحْنُ هالَةُ أُفْقِهِ
فلمَّا دَنا مِنْهُ الأفولُ تَغَيَّرا

وعاشَ الذي قَدْ عاشَ وهُو مُجاهِدٌ
فَلَمَّا أَتاهُ المَوْتُ ماتَ مُهاجِرا

وفي رابعِ العِشْرينَ مِن رَجَبٍ سَرَى
إِلى اللهِ يا بُشْراهُ ذِكْراً مُعَطَّرا

نوى سِتْرَهُ بعدَ المَماتِ تَواضُعاً
فَسَارَ (نَوَىً) حتَّى ثَوَى مُتَسَتِّرا / /٥٥/

وبَرَّ أَباهُ إذ فَداهُ بروحِهِ
فَياحَبَّذا بِرّاً لديهِ مُوَفَّرا

تَواضَعَ عِنْدَ المَوْتِ فازْدادَ رِفْعَةً
ونُودِيْ لهُ بعدَ الصَّلاةِ كَما جَرَى

وقـاضي قُضاةِ[1] المُسْلِمينَ سَعَى لهُ
إلى قَبْــرِهِ بَعْــدَ المَمــاتِ و كَبَّــرا

فتــاويهِ كانَــتْ تُسْــتَفــادُ بِفِـعْـلِهِ
فأَوْجَـبَ ذاكَ الـحُكْمُ أَنْ لا تُكَثَّــرا

خَمِيْصُ الحَشَـا[2] مِمَّـا بِهِ مِن قَناعَةٍ
ولٰـكِـنَّــهُ ملآنُ دُرّاً وجَــوْهَــراً

ذَلـيلٌ سَــاوَى الـمؤمِـنينَ بِلِيْنِـهِ
عَزيزٌ إذا ما الـشَّــرْعُ يومــاً تَكَــدَّرا

تَحَلَّى قَميصَ العِلْمِ مِن فَضْلِ رَبِّهِ
فَمــا كانَ يُخْـفيهِ بِمَصْقـولِــهِ تَرى

فَيا عاتِـبــيهِ في رَثــاثَــةِ طِمْــرِهِ[3]
فَعِنْدَ صَباحِ القَوْمِ يُسْتَحْمَدُ السُّرَى[4]

لقــدْ شَرَحَ «التنبيهَ» شَرْحــاً مُهـذَّبـاً
وبَــيَّنَــهُ للطَّالِــبِــينَ وفَــسَّــرا

وأَوْضَــحَ فيه ـ قدَّس الله رُوحَــه ـ
بِحُــسْــنِ عِبــاراتٍ وزادَ وكَــثَّــرا

---

(١) هذه التسمية سادت في العصور المنحطة، وهي مما لا يجوز استعماله. انظر «معجم المناهي اللفظية» للشيخ بكر أبو زيد (٢٦٠، ٣١١).

(٢) كناية عن النحف، كان نحيفاً مضمر البطن، بسبب الزهد في الدُّنيا وملذاتها.

(٣) الثوب الخَلِق البالي.

(٤) السَّير في عامَّة الليل.

وكَـمْ مُشْـكِـلاتٍ عُجِّمَتْ فأزالَهـا

بِحُـسْـنِ بَيانٍ لا حِجـاجٍ ولا مِرا

ولا خاصَـمَ الأقـرانَ يومَ جدالِـهِ

ولا دَقَّ كُمـاً قَطُّ يَوْمـاً على الثَّـرى

قَديرٌ على شَرْحِ الكِتـاب بسُـرْعَـةٍ

ويَشْـرَحُ في سطرَيْنِ إنْ شئتَ أَشْهُرا

تَصَـدَّى لِنَقْـلِ العِلْمِ منـهُ تَبـرُّعـاً

وكـانَ ثَوابُ اللهِ أَوْفـى وأَوْفَـرا

ومـا زالَ في دارِ الحـديثِ مُقـامُـهُ

فَسَـارَ إلى دَارِ المُقـامِ لِيَنْـظُرا / /٥٦/

(رواحِـيَّةٌ) كانـت مَحَـلَّ دُروسِـهِ

فراحَ إلى روحِ النَّعيمِ بِمـا قـرا[١]

فهٰـذا هُو الفَضْـلُ المُبينُ حَقيقـةً

وإِنْ كُنْـتُ في وَصْـفي له لمُقَصِّـرا

سَلامٌ على تِلْكَ المَقـابرِ مِن (نوى)

لقَـدْ جاوَرَتْ مِسْكـاً ونَـدّاً وعَنْبَـرا

ويا قَبْـرَهُ يَهْـنيكَ ما حُزْتَ مِنْ تُقَى

ومِـن وَرَعٍ مَرْضٍ وفِـقْهـاً مُحَبَّـرا

---

(١) غير مقروء في الأصل ولعلها كما أثبتناه.

سُقيتَ الحَيا ما دامَتِ الأَرْضُ مَسْجداً

وما تُلِيَتْ ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صابِرا﴾[1]

جَزاهُ إِلٰهِي في الجِنانِ مَساكِنا

ورِضْوانُهُ منهُ عليهِ لهُ قِرا

□□□□□

ورَثاهُ تِلميذُه الفقيه المقرىء أبو العباس أحمد الضَّرير الواسطي[2] الملقَّب بالجلال:

لقَدْ ذَهَبَ الحَبْرُ الجَليلُ الموفَّقُ

وعُدْنا حَيارى والدُّموعُ تَدَفَّقُ

على رَجُلٍ ما في البَرِيَّةِ مِثْلُهُ

فَيا عَجَباً مَنْ ذَا يُجارِي ويَلْحَقُ

بِزُهْدٍ وإِحْسانٍ وعِلْمٍ ورأْفَةٍ

وأَمْرٍ بمَعْروفٍ وبالحَقِّ يَنْطِقُ

ولَمْ تَرْدَعْنْهُ في الإِلٰه مَخافَةٌ

ولَمْ يَخْشَ مِنْ خَلْقٍ لَعَمْري ويَفْرَقُ

لِوَجْهِ إِلٰهِ العَرْشِ قَدْ كانَ فِعْلُهُ

[وقَدْ][3] كانَ ذا قَلْبٍ مِن اللهِ يُشْفِقُ

ولٰكِنَّهُ قَدْ أَتْعَبَ النَّاسَ بَعْدَهُ

بِمَا قَدْ رَأَوْا مِنْهُ فذاكَ مُحَقَّقُ

---

(١) من سورة (صٓ)، الآية ٤٤.

(٢) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (١ / ١٩٠).

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

فمَنْ لِعُلومِ الشَّرْعِ بعْدَكَ مُوضِحٌ
لِطالِبِهـا أنَّـى لَهـا مَنْ يُحَقِّقُ / /٥٧/
ومَنْ لامْرِىءٍ تَبْغي الفَتاوى تَخلُّصاً .
ويَجْمَعُ شَمْلاً فالصِّحابُ تَفَرَّقوا
ويا أَسَفى ضاعَتْ عُلومٌ كَثيرةٌ
لِفَقْدِكَ (مُحْيي الدين) إنِّي مُصَدِّقُ
فأسْأَلُ رَبَّ العَرْشِ يُؤويكَ جَنَّةً
تُخَلَّدُ فيها بالنَّعيمِ وتُرْزَقُ

□□□□□

ورثاهُ بعضُ الإخوانِ أيْضاً[1]:

شُؤونَ دَمْعيَ لَيْس الصَّبْرُ مِن شاني
سُحِّي[2] أسىً لاتَشُحِّي[3] بالدَّم القاني
يا صاحِ لَنْ تَنْصَحَ العَيْنانِ رَبَّهما
إنْ لَمْ يَقْضِ مِنْهُما في الحُزْنِ عَيْنانِ
مَن ذا يُقارِنُني في الحُزْنِ بعدَكَ (مُحْـ
ـيي الدين) فالسُّقْمُ أَصْماني وأَضْناني
والحُزْنُ ماتِحُ[4] تأْموري[5] ومانِحُهُ
إنْسَانُ عَيْنَيَّ والأحْواضُ أجْفاني

---

(١) انظر «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٦) للسخاوي.

(٢) (سحَّ): صبَّ صباً كثيراً متتابعاً. (٣) (شحَّ): قلَّ وعَسُر.

(٤) متح الماء: استخرجه. (٥) التأمور: دم القلب.

أمـا كَفـاني بِتَبْـريحِ الفِـراقِ ومـا
كابَـدْتُـهُ مِن صَبابـاتي وأَشْجـاني

حَتَّـى رُمـيتُ بِرُزْءٍ فَتَّ في كَبِـدي
وخـانَـنـي جَلَدي فيه وسُـلْوانـي

فَلي هُنـالِـكَ صَعْقَاتُ الكَليمِ لدَكْ
كِ الـطُّورِ أَعْني بهِ موسى بنَ عِمْرانِ

فلا لعـاً[1] لكَ يا ناعـي لعـلَّكَ لم
تَكُـنْ على ثقـةٍ مِنْـهُ وإيقـانِ

لَمْ تَدْرِ وَيْحَـكَ مَن تَنْعَى نَعَيْتَ لنـا
بَحْـراً حَوا غايَتَـيْ عِلْمٍ وإِحْسـانِ

نَعَـيْتَ بَدْرَ تَمـامٍ يُسْـتَضـاءُ به
لَمْ يَرْمِـهِ دَهْـرُهُ يَوْمـاً بِنُقْـصـانِ

لقَـدْ وُتِـرْتُ إِمـامـاً عالمـاً وَرِعـاً
أَعْـدَدْتـه للزَّمـانِ الجـائِرِ الجَاني /

/٥٨/

وارحمتـا للعلومِ بعـدَ مَصْـرَعِـهِ
فكَـمْ لهـا مِن كآبـاتٍ وأَحْـزانِ!

لَهْـفي عليهِ لقـدْ كانَـتْ خَلائِقُـهُ
مَجْبـولَـةً فيهِ مِن زُهْـدٍ وإِيمـانِ

إِنْ تَنْقَـطِعْ مِنْـهُ أَسْبـابُ الرَّجاءِ فَلِي
حُزْنٌ أُعـانـيهِ ما كَرَّ الـجَـديدانِ

---

(١) (لَعًا): كلمة تقال للعاثر مرَّة أو مرتين.

لَمْ أَدْعُ صَبْـري إلا صُدَّ مُنْهَـزِمـاً
والـدَّمْـعُ لم أَدْعُـهُ إلا ولَـبَّـانـي

سَقْـياً لِتُـرْبَـةِ قَبْـرٍ ضَمَّـهُ فَلَقَـد
ضَمَّ العِظامَ العظامَ القَدْرِ والشَّانِ

أَصْبَحْتُ مِن بعدِهِ كالطَّيْرِ يلْتَمِسُ النـ
ـهوضَ أَنَّى وقَدْ هِيضَ[1] الجَناحانِ

يا لا ئِمي إنَّ قَلْبي عنكَ في شُغُلٍ
دَعِ المـلامَ فمـا للصَّبِّ[2] قَلْبانِ

فَقَدْ سَقَتْنِي كُؤوسُ الحُـزْنِ فادِحَـةً
للنَّـارِ قادِحَـةً في قَلْبِـيَ العـانِي

إنَّ الإمـامَ الـذي في التُّرْبِ خُطَّ لهُ
لَحْـدٌ وإنْ عَجَّ عنْ أَهْـلٍ وأَوْطـاني

مِنْ قَبْـلِهِ ما رأَيْنـا العِلْمَ مُنْـدَرِجـاً
والـزُّهْـدَ والمَجْـدَ في أَثْنـاءِ أَكْفـانِ

أَحيا الشَّـرائِـعَ والأحْكـامَ حيثُ لهُ
بِشِـرْعَـةِ المُصْـطَفى عِلْمٌ بِتِبْيانِ

نَفْسِي تَطيرُ شَعـاعـاً مِنْ تَذَكُّـرِهِ
والسُّقْمُ مُنْتَشِـرٌ في طَيِّ جُثْمـاني

---

(١) (هاض الجناح): انكسر.

(٢) (الصَّبّ): المشتاق الرقيق، والمحبّ.

آهــاً لهـا لوعـةً في القَلْبِ مُصْعِـدَةً
تنَـفُّسُ الـرُّوحُ عنْ لَفْـحـاتِ نِيرانِ
كَمْ يَخْـفِقُ القَلْبُ مِنِّي حينَ أذْكُـرُهُ
فلَسْتُ أنْسى أخــاً ما كانَ يَنْســاني
سَقْــياً ورَعْــياً لِقَبْــرٍ هِيْلَ فيهِ على
غُصْــنٍ نَضـيرٍ بمــاءِ العِلْمِ رَيَّانِ / /٥٩/
يَرْتـاحُ قَلْبي لَقَبْـرٍ في (نـوى) فلَقَـدْ
عِيْلَتْ إلـيهِ صَبــابــاتي وأشْجــاني
سُبْـحــانَ مَنْ بِنَـعيمِ الخُلْدِ نَعَّمَــهُ
وبــالأسَـى بَعْــدَهُ والبَثِّ أشْقــاني
الـمــوْتُ أرْوَحُ مِن رَوْحِ الـحَياةِ ولا
أقــولُ إنَّــهُــمــا مِنْ بَعْــدُ سِيَّانِ
خَطْبٌ تَرَفَّـعَ عَنْ شَقِّ الـجُيوبِ لهُ
فَقَــدْ شَقَـقْتُ حَياتِي دُونَ قُمْصــانِ
خَطْبٌ أفــاضَ فلا أهْــلاً بِمَقْـدَمِـهِ
عَلَيَّ جِلْبــابَ حُزْنٍ مِنْــهُ غَشَّــاني
الــحــمــدُ للهِ هٰذا مِن مَقــادِرِهِ
فكُــلُّ حَيٍّ عليهــا هالِــكٌ فانــي
لَوْ رَدَّ عنــهُ الــرَّدَى باسٌ لَبَــادَرَهُ
أُسْــدٌ تُبــادِرُ مِن شيبٍ وشُــبَّــانِ

لٰكِـــنَّـــهُ الـمَــوْتُ غَلَّابٌ بِكَـــرَّتِـــه
لِكُـــلِّ أَغْلَبَ[1] مِن إِنْسٍ ومِنْ جانِ
يا مَنْ بِهِ يُقْتَـــدى في كُلِّ مُشْكِـلَةٍ
ومـــا لَهُ في عُلُوِّ الـشـــأْنِ مِن ثانـي
مَلأتَ قَلْبِـــيَ حُزْنـــاً لا تُقـــادُ لَه
مِن بَعْـــدِ فَقْـدِكَ والتَّسْهيدُ يَغْشـاني
قَدْ ساوَرَتْـــنـــيَ أَفْـــكـــارٌ مُبَـــرِّحَـــةٌ
حَتَّى لَقَـدْ هَدَّمَتْ صَبْـرِي وجُثْماني
والـــعَـــيْنُ باكِـــيَةٌ بالـــدَّمْـــعِ جارِيَةٌ
وعَـــنْـــكَ يا سَيِّدِي قدْ عَزَّ سُلْوانـــي
أَفْضَى أَخُـــونـــا لِمـــا أَفْضى النَّبِيُّ لَهُ
وصـــاحِـــبـــاهُ وصِـــنْـــواهُ الـشَّـهِيدانِ
فأَسْـــأَلُ الـــلهَ رَبِّـــي أَنْ يُبَـــشِّـــرَهُ
بِرَحْـــمَـــةٍ أَبَـــداً مِنْـــهُ ورِضْـــوانِ
مِنِّـي السَّـــلامُ عليهِ كُلَّمـــا سَجَعَتْ
قُمْـرِيَّةٌ[2] هَتَفَتْ مِن فَوْقِ أَغْصـانِ / /٦٠/

□□□□□

ورَثاهُ بعضُ المحبِّينَ أيضاً[3]:

---

(١) الأغلب: غليظ العنق.

(٢) ضرب من الحمام المطوَّق، حسن الصَّوت.

(٣) انظر «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٦) للسخاوي.

وجَـدَتْ عليكَ [شَريعَةُ][1] الإِسلامِ
أَسَـفـاً يُلازِمُـهـا مَدى الأيَّامِ
واسْتَـوْدَعَتْ منـكَ الـرَّعيَّةُ في الثَّرَى
كَهْـفَ الأرامِـلِ كافِـلَ الأيْتـامِ
ولَقَـدْ حَكَمْتَ فكـانَ حُكْمُـكَ قائماً
فينـا بأمْـرِ اللهِ خيرَ قِيامِ
تالـلهِ ما أَخَـذَتْـكَ لَوْمَـةُ لائِـمٍ
في الـلهِ حالَ الـنَّقْضِ والإبْـرامِ
أَعـطاكَ رَبُّـكَ في كِلا الـدَّارَيْنِ مِن
قَسْـمِ الـسَّعَـادَةِ أَوْفَـرَ الأقْسـامِ
ولَقَـدْ حَمـاكَ مِن النَّقـائِصِ كُلِّهـا
إِذْ كُنْـتَ عنْ شَرْعِ الـنبيِّ تُحَـامِي
وسـلامَـةُ الـدُّنْيا دَليلُ سَلامَـةِ الـ
أُخْـرَى مِن الـتَّبِـعـاتِ والآثـامِ
عَجَـبي لِقَـبْـرِكَ كَيفَ لَمْ يَنْهَـرْ لهُ
لَحْـدٌ وفـيهِ بَحْـرُ عِلْمٍ طامِـي[2]
لَكَ رُتْـبَـةٌ كَمْ رامَـهـا كُفْـؤٌ لهـا
فَتَـمَـنَّـعَـتْ وغَـلَـتْ على المُسْتـامِ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) (طم البحر): أغرق وغطى.

ما بالُ دَمْعِيَ بعْدَ فَقْدِكَ خانَني

حتَّى المَدامِعُ ما وفَتْ بذِمامي[1]

أيْنَ الوفاءُ وما العيونُ قَريحَةٌ

لمَّا فُقِدْتَ ولا الجُفونُ دَوامي

أَسَفي عليكَ ولو وجَدْتُ وسيلَةً

تُدْني حِمَاميَ ما كَرِهْتُ حِمامي

أَمَّا المَدارِسُ فاسْتَمَرَّ ظَلامُها

إذْ غابَ عَنْها منكَ بَدْرُ تمامِ

وكَذا المَسائِلُ عادَ حُسْنُ وُضوحِها

في غايَةِ الإشكالِ والإبهامِ / /٦١/

ولَقَدْ رَدَدْتَ على الأجانِبِ حَقَّهُم

وأَخَذْتَ حَقّاً مِن ذَوي الأرْحامِ

حُكْمٌ تَنَزَّهَ أَنْ يُخالِطَهُ الهوى

إنَّ الهَوى إلْبٌ على الحُكَّامِ

ما كانَ ما أَعْطَيْتَهُ وسَلَبْتَهُ

إلا كَطَيْفٍ زائِرٍ بِمَنامِ

حَذَراً ذَوي الأرْحامِ أَنْ يَعْتاقَكُم

عَنْ رُشْدِكُم حُلُمٌ مِن الأحْلامِ

وأَرى حَقيقَةَ عَيْشِهِ كَمَجازِها

ما أَشْبَهَ الإيجادِ بالإعدامِ!

---

(١) (الذِّمام): الحق والحرمة.

مَوْلايَ (مُحْيي الدينِ) كَم أَوْلَيْتَ مِن

نِعَـمٍ تَعُـمُّ الـعـالَـمينَ جُسـامِ

بالـرُّغْـمِ مِنَّـا أَنْ يَكـونَ مُحَجَّبـاً

في التُّـرْبِ تحْتَ صفـائِـحٍ ورُغـامِ

حَسْـبُ الـمَـنـايا أَنَّـهُـنَّ فَجَـعْنَنـا

في شَيْخِنـا ودِعـامَـةِ الإِسْـلام

قدْ رُجَّـتِ الأَرْضُ الفضـاءُ لِفَقْـدِهِ

وتَـزَعْـزَعَـتْ بِرواسـيَ الأَعْـلامِ

لو أَنَّـهُ يُفْـدَى لقَـلَّ لهُ الـفِـدا

بالـنَّـاسِ والأَمْـوالِ والأَنْـعـامِ

إِنْ كانَ قدْ عَلِقَتْـهُ أَشْـراكُ الـرَّدَى

مِن بَعْـدِ عِلْمٍ نافِـذِ الأَحْـكـامِ

فلَهُ بأَرْبـابِ الـخِـلافَـةِ أُسْـوَةٌ

وأَئِـمَّـةِ الإِسْـلامِ والـحُـكَّـامِ

أَيْنَ القُـرونُ السَّالِفـونَ و(مـالِـكٌ)

و(سَريّ) و(الشِّبْلِيُّ) و(البِسطامي)

أَينَ المُعَمَّـرُ أَلفَ عامٍ صاحِبُ الـ

ـفُـلْكِ الـمُـداب بفُلْكِـهِ العَـوَّامِ

حَتَّـى نَجـا ومِـن الـمَـنِيَّةِ مَا نَجـا

مِنْ بَعْـدِ طولِ العُمْـرِ والأَعْـوامِ /

/٦٢/

أيْنَ الـمُعَمَّــرُ عُمْــرَ سَبْعَــةِ أَنْسُــرٍ

أيْنَ (الـخَـليلُ) مُكَـسِّــرُ الأصْنـامِ

أيْنَ (الـكَليمُ) المُسْتَجـابُ دُعــاؤهُ

بالشّــامِ حينَ دَعــا على (بَلْعـامِ)

أيْنَ الـنبيُّ (مُحَمَّــدُ) الهــادي إلى

سُبُـلِ الهُـدَى وحُلولِ دارِ مُقـامِ (١)

لا يُبْعِــدَنْــكَ اللهُ يا شَيْخَ الــوَرَى

وسَقَـى ضَرِيْحَــكَ كُلَّ غَيْثٍ هامِي

يا خَيْرَ مَن فُجِــعَ الأنــامُ بفَــقْــدِهِ

بعْــدَ الـنبيِّ وبَعْــدَ كُلِّ إمــامِ (١)

حاشــاكَ تُصْبِـحُ ضِمْنَ لَحْـدٍ ضَيِّقٍ

مِنْ بَعْــدِ وُسْــعِ مَدارِسٍ لِقــيامِ

إنْ كانَ عاجَلَكَ القَضــاءُ وصُــرِّمَتْ

مِنْ عُمْــرِكَ الأعَــوامُ بالأيّامِ

فلَقَـدْ تَرَكْتَ العَيْنَ بَعْـدَكَ ثَـرَّةً (٢)

تَبْـكِي لِفَـقْــدِكَ والـقُـلوبُ دَوامـي

حَيَّتْ ثَراكَ سَحَــائِــبٌ هَطّالَــةٌ

مَصْــحُــوبَــةٌ بِتَـحِــيَّةٍ وسَــلامِ (١)

---

(١) جُعِلَت الكسرة ياءً في الأصل.

(٢) كلمة ساقطة غير موجودة، ولا يستقيم وزن البيت إلا بها.

وإذا الــحَــياءُ أَتَــتْــكَ مِنْــهُ تَحِـيَّةٌ
في كُلِّ شَهْــرٍ مَرَّةً أَوْ عامِ
فَعَــلَيْكَ مِنِّــي كُلَّ يَوْمٍ رَحْــمَــةٌ
أَدْعــو بهــا وتَــحِـيَّتِي وسَــلامـي

وقالَ المهذبُ عَمرو بن عليّ الزَّرْعِي[1] يَرْثِيهِ:

أيُّ عُذْرٍ لِمُــقْــلَةٍ غَيْرِ عَبْــرى
بَعْـدَ (يَحْيى) ومُهْجَـةٍ غَيْـرِ حَـرَّى
غاصَ بَحْــرُ العُلومِ بَعْــدَ عُبابِ
ثُمَّ أَضْحَى بعــدَ العُـذوبَةِ بَحْرا[2]
أَيْنَ عِلْمُ (يَحْيَى) إذا ماتَ (يَحْيى)
وحَــديثٌ على المَنــابِــرِ يُقْـرا /

/٦٣/

وعَهِـدْتُ الـدِّيارَ [يُبْكَى][3] عليهـا
حينَ تَضْـحَـى مِن الأَحِبَّــةِ قَفْــرا
ولَــدارُ الــحَــديثِ تَبْــكي عليهِ
حِيْنَ أَضْحَتْ مِن البَـلاغَـةِ صِفْـرا
عُطِّلَتْ بَعْــدَهُ الــمَــدارِسُ طُرّاً
مَنْ جَوادٍ في حَلْبَـةِ الـدَّرْسِ أَحْرا

(١) انظر «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٥) للسخاوي.

(٢) في هامش الأصل: «يعني مُرّاً»!!

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

يُفْحِمُ الخَصْمَ في الجِدالِ بِبَحْثٍ
يَذَرُ اللَّوْذَعِيَّ[1] بالغَيِّ مُغْرى
لا يَشُوبُ الجِدالَ منهُ بلفْظٍ
غيرِ فقهٍ وليسَ يَنْطِقُ هُجْرا[2]
فَقَضى نَحْبَهُ وعاشَ حَميدا
رَبَّ فَضْلٍ مِن كُلِّ عَيْبٍ مُبَرَّا
زاهِداً في نَعيمِ دُنْياهُ حَتَّى
يَتقاضاهُ مِن نَعيمِ الأخْرى
تَرَكَ الطَّيِّباتِ في هٰذهِ الدُّنْـ
ـيا ولَذَّاتِها لِيُحْرِزَ أَجْرا
وغَدا قانِعاً بأَيْسَرِ قُوتٍ
وهُو عِنْدَ الأنامِ أَعْظَمُ قَدْرا
وعَصَى النَّفْسَ في طِلابِ هَواها
وأَطاعَ الإلٰهَ سِرّاً وجَهْرا
يَنْصُرُ الحَقَّ في المَحافِلِ إذ
لا يَسْتَطيعُ الأنامُ للحَقِّ نَصْرا
فَبِحَقٍّ تَبْكي العُيونُ عَلَيْهِ
بِدِماءٍ وتَنْثُرُ الدَّمْعَ نَثْرا

---

(١) في هامش الأصل: «اللوذعي: الفصيح الذَّكي».

(٢) (الهُجْر): الكلام السيِّء القبيح.

فَلَقَــدْ أَوْحَشَ الـمَـجـالِسَ مِنْـهُ
صَدْرُهَــا الحَبْــرُ حِيْنَ آنَسَ قَبْــرا
كُنْــتَ للعِــلْمِ يا (أبــا زَكَــرِيّا)
وعاءً ولِلنَّوائِبِ [الحادثات][1] ذُخْرا
عالِــمــاً عامِــلاً وكَـمْ رَبِّ عِلْمٍ
يَعِظُ النَّـاسَ وهُو بالوَعْظِ أَحْرى /
/٦٤/
كُنْتَ للنَّـاسِ في المُلِمَّـاتِ ذُخْرا
أَعْــظَمَ اللهُ فيكَ للنَّــاسِ أَجْــرا
وسَـقَـتْ قَبْـرَكَ السَّحــائِبُ مِمَّــا
وَسَقَتْ مِن بِحارِ ذي العَرْشِ قَطْرا
لِتَفــوحَ الــرِّياضُ حَوْلَــكَ طِيْبــا
مِثْــلَ ما فاحَ طِيْبُ ذِكْــرِكَ عِطْرا



ورثاه الحُسين بن صدقة الموصلي[2] ـ عفا الله عنه ـ:

خَطْبٌ أَلَــمَّ وهَــتْ لَهُ الأَصْــلادُ[3]
وتَـفَــطَّرَتْ بِهُـجــومِـهِ الأَطْــوادُ

---

(١) كلمة ساقطة من الأصل، ولا يستقيم وزن البيت إلا بها.

(٢) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (٢ / ٥٦).

(٣) (الأصلاد): جمع صلد: الصلب الأملس الشديد، والصخرة العريضة الملساء.

وهَمَتْ عُيونُ أُوْلي النُّهَى بمَدامعٍ
مُنْهَلَّةٍ وتَصَدَّعَتْ أَكْبادُ

هٰذا أَوانُ المَوْتِ فِيما بَيْنَنا
مُتَخَيِّرٌ فكأنَّهُ نَقَّادُ

ذَهَبَ الإمامُ العالِمُ الحَبْرُ الذي
كانَتْ تُحَصِّلُ نَفْعَهُ العُبَّادُ

تَبْكِيكَ يا (يَحْيى) الفَتاوى دَائِماً
والسُّنَّةُ البَيْضاءُ والإسنادُ

يا أيُّها النَّاعِي إلَيْنا سَيِّداً
فيهِ جِدالٌ باهِرٌ وجِلادُ

مَنْ للمَسائِلِ بعْدَهُ إنْ أَشْكَلَتْ
وبِمَنْ سِواهُ يَقْتَدي الزُّهَّادُ

ما زالَ بالمَعْروفِ فِيْنا آمِراً
ولَنا بِنورِ عُلومِهِ إرْشادُ

يا (مُحْيِيَ الدِّينِ) الحَنيفِ سقا ثرىً
واراكَ مِن كَرَمِ الإلٰهِ عِهَادُ[1]

وأَباحَكَ الحُسْنَى وحُسْنَ جِوارِهِ
مَعَ أَهْلِهِ وزِيادَةً تُزْدَادُ

□□□□□

(١) العِهاد: المطر.

/٦٥/ ورثاه بعضُ المحبِّين أَيضاً[١] / :

حبيب نعـاك فـقَلْبُـهُ مـقْـرُوحُ
وبَـكَـى عَلَيْكَ فَدَمْـعُـهُ مَسْـفُـوحُ

وغَـدَا يُعَـفِّـرُ خَدَّهُ بِمَـدَامِـعٍ
تَجْـرِيْ عَلَيْكَ دَمـاً وأَنْتَ طَرِيْحُ

أَتُـرَاكَ يا قَمَـراً تَحَجَّبُ بالثَّـرَى
وجَـمـالُـهُ تَحْـتَ التُّـرابِ يَلُوحُ

شاهَـدْتُ بَعْـدَكَ حَالَ مَن فارَقْتَـهُ
أَنْـتَ الـحَـياةُ لهُ وأَنْـتَ الـرُّوحُ

مُتَـوَجِّـعَ الأَحْـشـاءِ بَرَّحَ حُزْنَـهُ
[أَسَفٌ][٢] يُؤَجِّـجُ وَقْـدَهُ التَّبْـريحُ

أَمْـسَـى لَهُ قَلْبٌ كَليمٌ نارُهُ
يَصْـلَى الـخَـليلُ بِهـا وأَنْتَ ذَبِيْحُ

ولَقَـدْ رَأَيْتُـكَ فَوْقَ أَعْـوادِ الـرَّدَى
وأَمـامَـكَ الـتَّـهْـلِيْلُ والـتَّسْـبِيْحُ

والنَّـاسُ كالـطُّوفـانِ وهِيَ سَفِيْنَـةٌ
تَجْـرِي بِأَدْمُعِنـا وشَخْصُـكَ نُوحُ

---

(١) انظر «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٦).

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

والكَـوْنُ يَنْـدِبُ ما أَصـابَكَ سَهْمُهُ

والـجَـوُّ يَبْـكِـي والغَمـامُ يَنُـوحُ

وعَـلَيْكَ قَدْ رَقَّ الـصَّبَـا فَنسيمُـهُ

قَلِقٌ بقَـبْـرِكَ يَغْـتَـدِي ويَرُوحُ

مُتَـصَـعِّـدُ الأنْـفـاسِ إلا أَنَّـهُ

بِجَـمِيْلِ وَصْفِـكَ بالعَبِيْرِ يَفُـوحُ

فالآنَ مَثْـواكَ الـقُـلوبُ وإِنْ يَكُـنْ

أَخْـفـاكَ عَنْ نَظَرِ الـعُيونِ ضَريحُ

حاشـاكَ مِن بَعْـدِ الـوَقارِ بأَنْ تُرَى

مَيْتَـاً وأَنْـتَ مُعَـفَّـرٌ مَطْروحُ

لا تُعْـرِضَنْ عَنَّـا بوَجْهِـكَ مُغْضَبـاً

إِنَّ الـوِدادَ كَمَـا عَهِـدْتَ صَحِيْحُ

لَمْ يَبْـقَ خِلٌّ نَاظِـرٌ أَوْ سامِـعٌ

إلا عَلَيْكَ فُؤادُهُ مَجْـرُوحُ / /٦٦/

ويَوَدُّ لَوْ جُعِـلَتْ وِقـاءَكَ نَفْـسُـهُ

ودَوامُ مَجْـدِكَ بِالـبَـقـاءِ صَرِيحُ

ثُمَّ انْـثَـنَـى أَسِفَـاً يُرَدِّدُ شَجْـوَهُ

ودُمُـوعُـهُ فَوْقَ الخُـدودِ تَسُـوْحُ

كَيْفَ التَّصَبُّـرُ وهُـو فِيْكَ مَلامَـةٌ

وبِمـا التَّسَلِّي وهُـو عَنْـكَ قَبِيْحُ

أَمْ كَيْفَ [أَكْتُمُ](1) فيكَ فَرْطَ تَوَجُّعِي
وأَخُـو الجَـوَى(2) بِدُمـوعِهِ مَفْضُوحُ

لَوْ لَمْ تَكُـنْ جَارَ الحِمَى ما شَاقَني
بَرْقٌ يُضـيءُ بِسَـفْـحِـهِ ويَلُوحُ

كَلاَّ ولـولا طِيْبُ ذِكْـرِكَ ما حَلا
ذِكْـرٌ بِسَـمْعِي رَنْـدُهُ(3) والشِّيْحُ(4)

فلأَبْـكِيَنَّـكَ بالـدِّمـاءِ إذا قَضَى
دَمْـعِي عَلَيْكَ صَبَـابَـةً وأَنـوحُ

ولَـوِ ارْعَـوَيْتُ(5) شَرَحْتُ رُزْئِي إِنَّما
عِنْدِي [لُمُخْتَصَرِ](6) الخُطُوبِ شُرُوحُ

فَعَـلَيْكَ رِضْـوانُ الإلَـهِ مُؤَبَّـدا
يُهْـدَى إِلَـيْكَ وَرَوْحُـهُ والـرُّوحُ

□□□□□

---

(1) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(2) (الجوى): شدة المرض من وجد وحب واشتياق.

(3) (الرَّنـد): شجـر طيب الرَّائحة، ينبت في سواحل الشام، والغور، والجبال الساحلية، وهو من الفصيلة الغارية.

(4) (الشيح): نبات صحراوي وسهلي، من الفصيلة المركبة، رائحته طيبة قوية، وهو كثير الأنواع، ترعاه الماشية.

(5) (ارعويت): كففت.

(6) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

ورَثاهُ أيضاً بعضُ الإخوانِ[1]:

سَيْفُ الحِمَامِ على البَرِيَّةِ مُنْتَضَى
صَبْراً وتَسْلِيمَاً بِمَا حَكَمَ القَضَا
وأَحَقُّ مَا يَبْدَا اللَّبِيْبُ بِنَفْسِهِ
إِنْ كانَ مِمَّا يَدَّعِي طَلَبُ الرِّضَا
وأَعَزُّ مَنْ يُبْكَى عليهِ تَأَسُّفَاً
مُحْيِي الشَّرائِعِ نورُهُ مَلأَ الفَضَا
الزَّاهِدُ الوَرِعُ التَّقِيُّ ومَنْ بهِ
عَزَّ العَزا كالمُصْطَفى والمُرْتَضى
ما زَالَ يَقْضِي عُمْرَهُ بلَطافَةٍ
مِنْ خُلْقِهِ مُتَفَضِّلاً حَتَّى قَضَى / /٦٧/
أَذويهِ لا تَتَجَلَّدُوا لِمُلِمَّةٍ
لَوْ نَالَتِ الصَّخْرَ الأَصَمَّ تَرَضْرَضَا
لَوْ كانَ (مُحْيِي الدِّينِ) (يَحْيَى) يُفْتَدَى
لَفَدَيْتُهُ بِحُشاشَتِي خَوْفَ القَضَا
فعَلَيْكَ (مُحْيِي الدِّينِ) أَوْلَى مَا جَرى
دَمْعٌ يَفِيْضُ وفي الحَشَا جَمْرُ الغَضَا
فَلِمَنْ أُعَزِّي والعَزاءُ مُمَنَّعُ
مِنِّي بِخَطْبٍ قَدْ أَمَضَّ وأَمْرَضَا

(١) انظر: «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٦) للسخاوي.

لِلْعــالِـمينَ الـعــامِلينَ ومَنْ بِهِمْ

أَرْجُو النَّجاةَ[1] مِن التَّرَدِّي في لَظَا

لَكِنَّني أَرْجُــو بـ(يَحْيَى) مِنْهُمُ[1]

غُفْــرانَ رَبِّي مِنْ ذُنُــوبِي ما مَضَى

فاسْمَــعْ فَرِيْدَ العَصْـرِ أَكْـرَمَ سامعٍ

قَوْلاً يُريكَ الـحَـقَّ أَبْـلَجَ أَبْـيَضـا

قَدْ كانَ أَقْــرَضَــكَ الإلٰــهُ عُلومَـهُ

في الدِّينِ فاسْتَوْفى الذي قَدْ أَقْرَضا

إنْ كانَ (يَحْـيَى) قَدْ حَواهُ لَحْــدُهُ

فَكَذا الرَّسولُ وبَعْلُ(فاطِمَةَ) الرِّضى

لَكِــنَّ ذٰلــكَ سُنَّــةٌ مَحْكُــومَــةٌ

بَيْنَ الأنــامِ وذاكَ أُسْـوَةُ مَنْ مَضى

فَلْيَهْنِـكَ البُشْـرى بِصَبْـرِكَ والـذي

تَرْجُــوهُ بالصَّبْـرِ الجَميلِ مُعَـوَّضـا

يا سَيِّدي إنَّ الـرَّزِيَّةَ لَمْ تَزَلْ

بينَ الأنـامِ على تَصـارِيفِ القَضَا

---

(١) إن في هذا اللفظ من التجاوز الـظاهـر البيِّن. والنجــاة لا تكـون إلا بـالأعمال الصـالحة. وفي بـاقي الأبيات اتجـاوزات كثيـرة نـرجـو أن لا يمـر بهـا القارىء إلا متعظاً معتبراً، وغفر الله للكثير من علمائنا كم تجاوزوا عن مثل ذلـك! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لٰكِـنَّ مِثْـلَ عَزائِنـا في شَيْخِنـا
(يَحْيى) التَّقِيِّ الزَّاهِدِ الندبِ الرِّضى
هَلْ عَنْهُ مِن عِوَضٍ يَقـومُ مَقـامَهُ
هَيْهَـاتَ أَنْ يُلْقَـى لهُ مُتَعَـوِّضَـا
وجَمـاعَـةَ الإِخـوانِ يَدْعـو خُفْيَةً
وتَضَـرُّعـاً وتَـذَلُّـلاً وتَعَـرُّضا /

/٦٨/

والـرَّبُّ مُطَّلِعٌ وقَـدْ سَمِـعَ النِّـدا
وأَفـاضَ نُوراً ساطِعـاً مَلأ الـرُّبـا
فَسَـقَـى ثَرَى جَدَثٍ حَواهُ عارِضٌ
ما مَرَّ بالأَرَضِـينَ إِلا رَوَّضـا
وسَـمـا عَلَيْهِ بارِقٌ مِن رَحْـمَـةٍ
لَمْ تَخْـبُ نارٌ بالإِضـا إِلا أَضـا
أَسَفِي عَلى مُحْيِي العُلومِ ونـورِها
ما زالَ صَدْراً في العُلُوِّ مُعَـرَّضـا
فلئنْ[1] قَضى وعَفَتْ مَراقِيْ المَجْـدِ مِن
آثـارِه فالـذِّكْـرُ مِنْـهُ ما انْقَضـا
مِنْ نَشْـرِهِ عَبِـقَ الـوُجـودُ وإِنَّـهُ
ذُخْـرٌ لِكُـلِّ مُؤَمِّـلٍ يَرْجُـو الـرِّضى

ورَثاهُ الفاضِلُ أبو محمد عبدالله الأندلسي ـ رحمه الله تعالى[2] ـ.

يا دَهْـرُ أَقْـصِـرْ فمـا أَبْـقَـيْتَ مِنْ ثارِ
كَمْ ذا تُجَـرِّعُ أَرْزاءً بتَـكْـرَارِ

(١) في الأصل: «فلان»!!

(٢) انظر: «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٥).

غَيَّبْتَ عَنْ دِيْنِنـا مُحْيي مَعـالِمِـهِ
فَأنْـشُـرِ زينَتُـهُ مِن بَعْـدِ إظْـهـارِ

يا فَجْعَـةً نَكَـأَتْ قَرْحَ الجوانحِ واسْـ
ـتَدْمَتْ عُيونُ الوَرَى [مِن] (١) خَطْبِها الطَّارِي

تَبْكِي وهَـلْ يَنْفَـعُ الثّكْلى تَعَـدُّدُهـا
أَوْ هَلْ يَرُدُّ فَقـيداً دَمْعُهـا الجَـاري

مَن لِلحَـديثِ ومَنْ للفِقْـهِ بعـدَكَ يا
مَنْ كانَ يَدْحَضُ مُنْكَـوراً بإنْـكـارِ

مَن لِلْمَعـارِفِ مَنْ للعُـرْفِ يُظْهِـرُهُ
بِحُسْنِ نُصْـحٍ وتَسْلِيكٍ وإعْـذارِ

مَنْ للزَّهـادَةِ والنَّهْـجِ القَـويمِ ومَن
للصَّـوْمِ والنُّسْـكِ في حِلْمٍ وإيْثـارِ

أَرْمَضْتَ عينَ عُلومٍ كُنْتَ مُصْلِحَهـا
فاليَوْمُ مَرْهـاؤهـا (٢) تَبْكِي بإكْبـارِ /

/٦٩/

لـله درّك كَمْ أحـييـتَ مِـنْ رَمَـقٍ
بِحُسْـنِ فَتْـوَى وتَـفْـسيرٍ وأَخْـبارِ

وكَمْ عَذَلْتَ أَخـا جَهْـلٍ لمَعْـذَلَـةٍ
ورُضْتَ أَشْـوَسَ (٣) هَذَّاراً (٤) بإنْـذارِ

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل. (٣) (الأشْوَس): المتكَبِّر.
(٢) المَرْهَاءُ: التي فقدت الكُحْل. (٤) (الهذار): كثير سقط الكلام.

فاليَوْمَ أَضْحى بَدِيُّ الفَضْـلِ مُنْتَـدِباً
ومُعْلِمُ النَّفْـعِ يَشْكـو فَرْطَ إِضْـرارِ
ولِـلدُّروسِ دُروسٌ غَيْرُ مُرْتَسَـمٍ
وإِنْسُـهـا مِن تَلافي أُنْسِـهـا عارِ
ما لي أَرى المَوْتَ يَهْوى نَقْلَ صَفْوَتِنا
عنَّـا ويُلْحِـقَ أَخْـبـاراً بِأَخْـبـارِ
كأَنَّ بَيْنَـهُـمُ مِيعـادَ مُجْـتَـمَـعٍ
أَوِ اسْـتَـقَـلُّوا قِلَىً في هٰذهِ الـدَّارِ
كأَنَّـهُـم رَكْـبُ سَبْقٍ أُعْبِـطوا نَفَـلاً
فأُعْجِلوا عَنْ وَداعِ الأَهْـلِ والجَـارِ
فَيالَهـا حَسْـرَةً تَهْمِي الـدُّمـوعُ لَهـا
يَمْـضِـي الـخِـيارُ ويَبْقى عِبْءُ أَوْزَارِ
أَعـارَنـا الـدَّهْـرُ مِنْهُم مَنْعَـةً زَمَنـاً
ثُمَّ اسْـتَـرَدَّ ولَـمْ نَـظْفَـرْ بأَوْطَـارِ
يا نَفْسُ نوحِيْ فَمـا لِلْمَـوْتِ باقِيَةٌ
لا بُدَّ حاديكِ يَوْمـاً خَلْفَـهُـم سارِ
ولَيْسَ يُجْـدِيكِ إِلا ما ادَّخَـرْتِ فبـا
دِرِي قَبْـلَ إِرْقـالٍ[1] وإِحْـضـارِ[2]
فإِنْ تُعَـزَّ يَعِـزَّ الصَّبْـرُ عَنْـكَ وقَـدْ
يَلْقَـى الـمُصـابُ تَشَفِّيهِ بِتَـذْكَـارِ

---

(١) (الإرقال): الإسراع في الشيء، والجدّ فيه.   (٢) عجُز البيت مختل.

لَقَـدْ فقَـدْنـاكَ فَقْـدَ القَلْبِ مُهْجَتَـهُ
والـعَـيْنِ رُؤيَتَهـا مِن بَعْـدِ إبْصـارِ

وحَجَّبَ التُّرْبُ تِربَ الفَضْلِ واشْتَمَلَ الضـ
ـضريحُ مِنْـكَ على كَنْـزٍ وأنْـوارِ

فالله يُخْـلِفُـنـا خَيْراً ويأْجُـرُنـا
إلَـيْكَ مَرْجِـعُـنـا يا خَيْرَ غفَّـارِ /

/٧٠/

وفي الـنـبـيِّ لَنـا وَعْظٌ وصُـحْبَتِـهِ
صَلَّى عَلَيْهِـمْ إلـهٌ خالِـقٌ بَارِي

□□□□□

ورثاه الفاضل الأديب أبو محمد سليمان بن عليّ ؛ عُرف بالعفيف التِّلِمْساني[1]:

نَعَمْ بَعْدَ (يَحْيَى) مَعْهَدُ الفَضْلِ دارِسُ
فمـا أَنْصَفَتْ إنْ لَمْ تَنُحْـهُ المَدارِسُ

فيا صَبْـرُ مُتْ عندي ويا حُزْنُ فَلْتَعِشْ
فإنَّ (النَّـواوِي) قَدْ حَوَتْـهُ النَّواوِسُ[2]

---

(١) وهو المدفون في صالحية دمشق، وكان خليعاً متهتكاً ومن أصحاب وحدة الوجود.
في الأصل: «أبو محمد سلمان...»، وفي هامشه: «سليمان، صح»، وهو المثبت في مصادر ترجمته، انظر منها: «البداية والنهاية» (١٣ / ٣٢٦)، و«شذرات الذهب» (٥ / ٤١٢)، و«فوات الوفيات» (٢ / ٧٢).

(٢) (النواوس): المقابر. وهي من القبور المصنوعة من الأحجار التي كان يـدْفُنُ فيها الأقدمون موتاهم.

بَكَتْـهُ مسـاعيهِ الـتي بَذَّت الأُلى

سَعَوْا للعُلا في رَكْضِهِمْ[١] وهُو جالِسُ

ونـاحَـتْ عليهِ وُرْقُ أَوْراقِـهِ ومـا

لَهَا مِنْ سِوى الأقلامِ قَصْبُ مُوايِسُ[٢]

وأُقْسِـمُ ما نَفْسٌ بَكَتْـهُ نَفِيْسَـةٌ

إذا لَمْ تُساعِدْها الـدُّموعُ النَّفائِسُ

تَلَهَّبَ قَلْبُ البَـرْقِ والـرَّعْدُ صارِخٌ

أَسىً ودُمـوعُ الغـادِياتِ بَواجِسُ[٣]

وظَـلَّ وبـاتَ اللؤلُؤ الـرَّطْبُ حاسِـداً

مَدامِـعَ فيهِ دُرُّهـا مُتَـجـانِسُ

ومَثْـوَى الثُّـرَيَّا فيهِ قَدْ حَسَـدَ الثَّـرَى

فَمـاذا عَسَى فيهِ تَقـولُ المَجـالِسُ

لَقَدْ كانَ يُحْيي الليلَ (يَحْيَى) مُسَهَّدُ الـ

جُفونِ وجَفْنُ النَّجْمِ في الأُفْقِ ناعِسُ

ويَطْوي[٤] على الدَّاءِ الدَّفينِ من الطَّوى[٥]

أَضَـالِعَ ما فيها سِوَى الذِّكْرَ هاجِسُ

---

(١) في «المنهاج السوي»: «أرضهم»!

(٢) في «المنهاج السوي»: «تصبو نوايسُ».

(٣) (بجس الماء): انفجر، وهي هنا كناية عن كثرة البكاء.

(٤) أي: يخفى ولا يظهر.

(٥) أي: الجوع.

وَيُرْضِي جَليسَ الخَيْرِ مُمْتِــعُ بَحْثِـهِ
فَيَنْقادُ للحَقِّ المُماري[1] المُمارِسُ[2]
فإِنْ تَضْحَـكِ الأخْـرى سُروراً بِمِثْلِهِ
فَوَجْـهُــكِ يا دُنْيا مِن الفَقْــدِ عابِسُ
وكُنْتِ بِهِ مِثْـلَ العَـروسِ فَأَصْبَحَتْ
لَدَيْهِ مِن الحُـوْرِ الحِسـانِ عَرائِسُ / /٧١/
فللهِ غُصْــنٌ بَعْــدَمــا تَمَّ زَهْــرُهُ[3]
وأَيْنَــعَ أَضْـحَى رَطْبُــهُ وهُــو يابِسُ
وبَــدْرُ تَمــامٍ والـبُـدورُ مَتَـى تَغِبْ
تُرَجَّ وهــذا مِنْــهُ قَلْبِــيَ آيِسُ
فأُقْسِمُ ما النُّعْمَى بِهــا القَلْبُ ناعِمٌ
عليهِ ولا الـبُؤسَى بهــا القلبُ بائِسُ
[وهَيْهـاتَ لو أنِّي صديقٌ ومـاتَ لَم
أَعِشْ بَعْدَهُ لمَّا حَوَتْهُ الرَّوامِسُ[4]][5]
[فَيَا دَهْــرُ هَلْ كانَتْ مَنــاياهُ أَكْؤساً
مُلِئَتْ بهـا سُكْـراً فرأْسُكَ ناكِسُ][5]

(١) أي : المجادل والمناظر.

(٢) أي : المساوم واللَّجوج.

(٣) في الأصل : «اعتمَّ زهوه»، والتصويب من «المنهاج السَّوي».

(٤) أي : القبور.

(٥) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

ويا كُلَّ يَوْمٍ بَعْـدَهُ صارَ ليلَةً
أَمَا تَنْجَلِي بالصُّبْحِ مِنْكَ الحَنادِسُ[1]

لقـدْ أَجْفَلَتْ[2] غُرُّ المسـائِلِ بَعْدَهُ
وعَهْـدِي بِهـا مِن قَبْـلُ وهِيَ أَوانِسُ

تُطارِدُ مِنْـهُـنَّ الـشَّـرودَ كَأَنَّـهـا
مَهـاً تَدَّرِيْهـا[3] بالقِسِيِّ[4] الفَـوارِسُ

ولـو أنَّـهُ فِينـا لعُـدْنـا وكُنَّسُ الـ
ـجَواري[5] لَدَيْنا لا الـظِّباءُ الكَوَانِسُ

لَهُ في رَسـولِ اللهِ والآلِ أُسْـوَةٌ
وأَصْحـابُـهُ عنهُمْ تَقَـرّى الفَرادِسُ[6]

أَبَـوْا أَنْ يَؤوبـوا نَحْـوَ دُنْـيا دَنِـيَّةٍ
مُلابِسُهـا يُغْـرَى بِهـا وهُـو لابِسُ

وكـانَـتْ لَيادِـيهِ كأَيَّامِـهِ سَنَـىً
فأَيَّامُـنـا مِثْـلُ الـلَّيالـي دوامِسُ[7]

---

(١) (الحنادس): الليالي شديدة الظلمة.

(٢) شردت ونفرتْ ومضتْ بعيداً.

(٣) أي: تتقيها. (٤) (القِسِيّ): الأقواس.

(٥) هي النجوم؛ لأنها تكنس كالظِّباء، تغيب وتستتر، تبدو ليلاً وتختفي نهاراً. والكُنَاس: هو بيت الظباء.

(٦) في «المنهاج السوي»: «تقوى العوادسُ»!

(٧) (الدوامس): الليالي شديدة السواد.

سَقى عَهْـدَهُ عَهْـدٌ فإنَّـا عِصابَةٌ
مَدامِعُهـا تَسْقي الذي الحُزْنُ غارِسُ
وكَـيْفَ نُبَـكِّـيهِ ونَـعْـلَمُ أَنَّـهُ
عَلى ما إلَـيهِ صارَ كانَ يُنـافِسُ[1]

ورثاه تلميذه الفقيه الأديب الأمين سلطان إمام الرّواحية[2]:

بَكَـتِ الـعُلومُ لِفَقْـدِ مَن أَحْياهـا
مِنْ بَعْـدِ طولِ خُمـولِها وخَفَـاها
ذَهَبَتْ لمـذْهَبِـهِ المـذاهِبُ بعْـدَما
جَلَّى مآخِـذَهـا وشَدَّ عُرَاها /٧٢/
وغَـدَتْ مُوَدِّعَـةً لهُ توديعَ مَن
[قَـدْ][3] أَقسَمَتْ أن لا يُنالَ حِباها
أَفَلَتْ[4] شُمـوسُ سُعودِنا مِن بَعْدِهِ
والعَيْنُ فارَقَهـا الكَـرَى[5] وقَـلاهـا
يا لَلرِّجـالِ رَزِيَّةً[6] عَمَّـتْ فَلا
جَبْـرٌ لهـا مَن ذا يُطيقُ دَواهـا

---

(١) انظر «المنهاج السوي» (٩١ ـ ٩٢).

(٢) انظر «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٥) للسخاوي.

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٤) أي: غابت.

(٥) (الكرى): النعاس، وبداية النَّوم.   (٦) في الأصل: «رزاية»!

قدْ أَظْلَمَ الأفُقُ المُنيرُ لِفَقْدِ مَن
حازَ الفَضائِلَ كُلَّها وحَواها
أَضْحَى على الأقْطارِ مِنْهُ وَحْشَةٌ
حَتَّى تَشابَهُ صُبْحُها بِمَساها
للهِ أَيَّةُ حَسْرَةٍ أُبْنا[1] بِها
إِذْ فارَقَتْ تِلْكَ النُّفوسُ شِفاها
السَّيِّدُ القَوَّامُ والحَبْرُ الذي
أَعْيَتْ مَناقِبُهُ لِمَنْ جاراها
والنَّاسِكُ القَوَّامُ ذاكَ[2] المُقْتَدي
بأئِمَّةٍ في العِلْمِ طابَ ثَناها
يا مُحْيِياً للدِّينِ بعْدَ إماتَةٍ
ومؤيِّداً لشَريعَةٍ أَسْماها
يا آمِراً بالعُرْفِ يُرْضِي رَبَّهُ
بُوِّئْتَ مِن دَارِ النَّعيمِ عُلاها
يَبْكِيكَ ذا الليلُ البَهيمُ فطالَ ما
قَدْ قُمْتَ فيهِ مُسَبِّحاً أَوَّاها
وكذاكَ صَوْمُكَ في الهَواجِرِ دائِباً
سِيَّانِ عندَكَ حَرُّها وشِتَاها

---

(١) أي: رجعنا.

(٢) في الأصل: «والحبر المقتدي»، وما أثبت به يستقيم البيت.

يا زاهِــداً نِلْتَ المَعــالي والـرِّضـا

يا عارِفــاً عَيْبَ الــدُّنــا وفَنــاهــا

أَعْــرَضْتَ عنهــا إذ أَتَتْـكَ مُطيعَـةً

ورَغِبْتَ في أُخْــرى يَدُومُ بَقــاهــا

خَطَبَـتْــكَ حُورٌ في جِنــانٍ زُيِّنَـتْ

لِقُـدومِ نَفْسٍ قَدْ زَكـا مَسْعـاها /

/٧٣/

أَلِجَنَّـةِ الفِـرْدَوْسِ بُشْـرَى بالَّـذي

قَدْ حَلَّهــا طُوبَــى لهُ سُكْنــاهــا

فالـسُّـنَّــةُ الـغَــرَّاءُ تَبْـكِي فَقْــدَهُ

إِذْ مِنْ أَغــاليطِ الــرُّواةِ حَمــاهــا

وكَـذاكَ مَذْهَبُ ابنِ إِدْريسَ الـذي

فاقَ الأئــمَّــةَ سُؤدَداً فَعَــلاهــا

فالـيَوْمَ بُنْـيانُ القَــواعِــدِ قَدْ هَوى

مِنْ بَعْــدِ تَشْـييدٍ وحُسْنِ بِنــاهــا

مَنْ للمســائِـلِ كاشِفـاً عَنْ سِرِّهـا

إِذْ أَعْـضَـلَتْ وتَعَسَّــرَتْ فَتْــواهــا

قدْ كُنْــتَ توضِحُهــا بلَفْظٍ موجَــزٍ

فَيَطيبُ مِنْـكَ جُدَّادُهـا[1] وجَنَـاهـا

---

(١) الجُدَّاد: صغار الشجر. قال ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة» (١ / ٤٠٩): «وهو عندي كذا، على معنى التشبيه بجُدَّاد الخيمة، وهي الخيوط».

وإذا تَحِلُّ بِنا النَّوازِلُ مَنْ لَنا
في رَفْعِها عَنَّا وحَلِّ عُراها
أَمْ مَنْ تُرَضِّيهِ لدَفْعِ كَريهَةٍ
يَوْماً إذا ما عَمَّنا بَلْواها
قَدْ كُنْتَ (مُحيي الدينِ) حِصْناً مانعاً
عَنَّا فَوا أَسَفا عليكَ وآها
فَلَقَدْ غدَوْتَ مُكَرَّماً في صُحْبَةٍ
كانَتْ نُفوسُهُمُ لَدَيْكَ سَفاها
فالآنَ شُتِّتَ شَمْلُهُم وتَفَرَّقوا
حَيْرَى سُكارَى لَيْسَ مِنْ صَهْباها[1]
فلَوْ آنَّ نَفْساً تُفْتَدى لَفَدَتْكَ مِن
كَأْسِ الحِمامِ نُفوسُنا بِدِماها
لٰكِنَّ كاساتِ المَنونِ دَوائِر
لَمْ يَعْدُها مَنْ لِلْحُصونِ بَناها
قَدْ أَكْثَرَتْ فيكَ الرُّثاةُ وما أَرى
تُجْدي سِوَى تَذْكارِها وغِناها
رَوَّى الإلٰهُ تُرابَ تُرْبَتِكَ التي
بكَ قدْ عَلَتْ شَرَفاً وطابَ شَذاها / /٧٤/
وأَتَتْكَ مِن رَبِّ العِبادِ تَحِيَّةٌ
حَتَّى المَعادِ صَباحُها ومَساها

(١) الصهباء: الخمر.

ورثاهُ بعض المحبِّين ـ رحمه الله تعالى[1] ـ:

سَلْ رَبْـعَ[2] دَارٍ قَدْ خَلَتْ إنْ أَخْبَرا
عَنْ أَهْلِهـا وبـأَهْلِها ما قَدْ جَرا

رَحَلوا فَلِمْ لا وَدَّعـوا أَتـرى بهم
يا دارُ غَلَّسَ رَكْـبُـهُـم أَمْ هَجَّـرا

أَمْ في دُجُـنَّـة لَيْلِهِـم كَيْ لا يرا
هُمْ حاسِـدٌ ومُكـاشِحٌ بِهِمُ سَرَى

يا دارُ ما صَنَـعَ الـزَّمـانُ فحَـدِّثي
عنهُمْ بصِـدْقٍ لا حَديثٍ مُفْتَـرى

ففهِمْتُ مِنهـا حيثُ لَمْ تَنْـطِقْ إذا
نَزَلَ الـقَـضـاءُ فأَيُّمـا عينٍ ترَى

لا تَسْـأَلَنِّي واسـألِ الأقْـدارَ هَلْ
مِنْـهُـنَّ يُحْـمَـى مَزْدَرًى أَو مُدَّرى

سَلْ أَيْنَ (سـابـورٍ) و(شابورٍ) وكَمْ
(كِسْـرى) تَخَوَّنَهُ الزَّمانُ و(قَيْصَرا)

ما أَضْعَفَ الإنسـانَ بَلْ عَجبٌ لهُ
يَخْـتـارُ أَنْ يَبْـقَـى ولَـيْسَ مُخَـيَّرا

ولَقَـدْ أَتـانـا عَنْ فَريدِ زَمـانِـه
خَبَـرٌ فأَرَّقَ للجُـفـونِ وأَسْـهَـرا

(١) انظر «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٦) للسخاوي.

(٢) (الرَّبْع): المكان الذي يُنزل فيه، أو الحي.

جافى الجُنُوبَ عَنِ المَضاجِعِ ذِكْرُهُ
ونَفى الـرُّقـادَ عَنِ العُيونِ ونَفَّـرا
يا لَيْتَ قَبْـلَ سَمـاعِـهِ أَسْمـاعُنـا
صُمَّـتْ وأَعْـيُنُـنـا لذلـكَ لا تَرَى
يا مُخْبِراً[1] عن هُلْكِ (مُحْيي الدينِ) ما
تَخْشَـى وتَسْتَحيي بهِ أَنْ تَجْهَـرا
وشَقِيْقَـةٍ أَفْـزَعْتَهـا لَمَّـا أَتى النـ
ـاعي بهِ إِذْ قمتُ أَمْشي القَهْقَرى / /٧٥/
وأَعَضُّ مِنْ وَجْـدٍ عليهِ أَنـامِـلي
وأَهـيمُ مِنْـهُ تأَسُّـفـاً وتَـحَـسُّـرا
قالَتْ أَوَيْحَـكَ ما دهـاكَ وما الذي
لكَ قَدْ أَصـابَ وما الذي لَكَ قَدْ عَرا
فأَجَبْتُهـا ثَكِلَتْـكِ أُمُّـكِ تَسْأَلي
عَمَّـا جَرا لي هَلْ قَليلٌ ما جَرى
هٰذا دِعـامَـةُ دِيْنِـنـا بِلْ كَسْـرُهُ
إِنَّ الـرَّزِيَّةَ فيهِ أُمُّ حَبَـوْكَـرَى[2]
لا تَحْسَـبيهِ مِنَ الهِضـابِ فإِنَّـهُ
ـ لَمِنَ الجِبالِ ـ هو المَنيعاتُ الذُّرى

---

(١) في الأصل: «مُخْبِرٌ»!

(٢) أمُّ حَبَوْكَرى: الداهية.

عَلاَّمَــةٌ ولَئِــنْ يَكُــنْ علمــاؤنــا

جُمّـافكُـلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا(*)

(يَحْيَى) ومـا أَدْراكَ ما (يَحْيَى) إِذا

عُدَّتْ مآثِــرُهُ الــتي لَنْ تُحْـصَــرا

للهِ قَبْــرٌ عَنْ مَيامِــنِ جاسِــمٍ(١)

وارَوْا بهِ جُثْمــانَ أَشْـعَـثَ أَغْبَــرا

أَتُرَى الذي واراهُ في ذاكَ [العَرا](٢)

أَدْرى لِمَــنْ وارى بهِ أَمْ ما دَرَى

قَبَروا الفَضـائِلَ كُلَّها في لَحْـدِهِ

والفَضْــلُ ما مِنْ حَقِّــهِ أَنْ يُقْبَــرا

ومُــغَــسِّــلٍ ماذا أَرادَ بغُــسْــلِهِ

إِذْ كانَ مِن دَنَسِ الــذُّنـوبِ مُطَهَّرا

هٰذا الثَّنــاءُ عليكَ (يَحْيى) دائمـاً

مِنّــا فَطَيَّبَــهُ الإِلٰــهُ وكَــثَّــرا

ولَئِنْ تَمُتْ أَحْيَيْتَ مَجْداً لَمْ يَخَفْ

بِتَــغَــيُّرِ الأَيّامِ أَنْ يَتَــغَــيَّرا

ولِئِــنْ تَكُــنْ وُدِّعْـتَ غَيْرَ مُذَمَّمٍ

وحَصَلْتَ فيمـا بَيْنَ أَطْبـاقِ الثَّـرَى

(*) هو مثل يُضرب لمن استولى على أعلى شيء وأحسنه.

(١) - ـسم: بلدة في حوران. (٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

لَكَ أُسْوَةٌ بالمُصْطَفى المُعْطَى بيَوْ

مِ العَرْضِ هذاكَ اللِّوا والكَوْثَرا / /٧٦/

ولَقَدْ عَلِمْتَ بأَنَّ تلْكَ سَجِيَّةٌ

مِن عادِلٍ ساوى[1] بِها بينَ الوَرَى

ساوى[1] بها بينَ الحَقيرِ وبيْنَ مَن

بالمَجْدِ والعِزِّ ارْتَدى وتَأَمَّرا

ولَحِقْتَ فَضْلاً مَن تَقَدَّمَ حَيْثُ [مِن][2]

أَعْمارِهِمْ قَدْ كانَ عُمْرُكَ أَقْصَرا

لَمْ يُثْمِرِ العِلْمُ الشَّريفُ لعالِمٍ

فِيما رأَيْنا مِثْلَ ما لَكَ أَثْمَرا

وقَّرْتَهُ بالزُّهْدِ ثُمَّتَ بالتُّقَى

فَنَرَى كَما وَقَّرْتَهُ لكَ وقَّرا

وسَهِرْتَ إذ نِمْنَ العُيونُ وإنَّهُ

عِنْدَ الصَّباحِ لِيَحْمَدَ القَوْمُ السُّرَى

ولِتِلْكَ مَوْهِبَةٌ خُصِصْتَ بها ولو

كانَتْ بتَشْميرٍ لَكُلٌّ شَمَّرا

ولَقَدْ تَرَكْتَ الأَهْلَ والأَصْحابَ في

مَوْتٍ لِفَقْدِكَ لَوْ تُشاهِدُ أَحْمَرا

أَجْفانُهُم يا وَيْحَهُم قَدْ حالَفَتْ

طُولَ السُّهادِ[3] وحَرَّمَتْ طيبَ الكَرى

---

(١) في الأصل: «واسى»!!

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٣) (السهاد): السهر والأرق.

ولَئِـــنْ عليْكَ تَفَـتَّـتَـتْ أَكْبـــادُنـــا

وتَـقَــطَّعَتْ مِن شأْنِنـــا أَنْ نُعْــذَرا

أَسَقى الغَمامُ (نوى) وعَمَّم أَرْضَها

حَتَّى ضَريحُكَ لَمْ يَزَلْ رَطْبَ الثَّرى

سُحُبٌ تَروحُ وتَغْتَــدي مَشْحُــونَـةً

ماءً ورَيْحـــانـــاً ومِـــسْـكـــاً أَذْفَــرا



ورثاهُ بعضُ المدرِّسين بالبادرائيَّة[1] بدمشق ـ رحمه الله تعالى ـ:

سَقَى قَبْرَ يَحْيَى في (نوى) كُلُّ مُسْبِلٍ[2]

مِن الغَيْثِ عَرَّاضُ[3] البَوارِقِ هَتَّانُ[4]

ولا زالَ قَبْــرٌ حَلَّ فيهِ يَحِــلُّهُ

/٧٧/ مِن الـلـهِ رِضْــوانٌ ورَوْحٌ ورَيْحــانُ /

حَوَى كاشفـاً والنَّـاسُ في غَفَـلاتِهِم

فَحازَ الهُدَى (يَحْيَى) و(يَحْيَى) لَهُ شانُ

---

(١) البـادرائية: مدرسـة كانت داخـل باب الفراديس والسلامة، شمالي جيرون، وشرقي الناصرية الجوانية، وكانت قبل ذلك تُعرف بدار أسامة، وتعرف الآن في الشام بـ(حمام سامة). أنشأها العلامة الشيخ نجم الدين أبو محمد عبدالله بن أبي الـوفاء محمد بن الحسن بن عبدالله بن عثمان الباذرائي.

انظر: «الدارس في «تاريخ المدارس» (١ / ٢٠٥). و«منادمة الأطلال» (١٢٩).

(٢) (المسبل): المطر الهاطل.

(٣) (العارض): من يأتي الماء مبكراً.

(٤) (هتنت السماء): هطل مطرها وتتابع.

إذا سَخَنَتْ عَيْني بخِــلٍّ[1] فقَــدْتُــهُ

فلا بانَ[2] خُلاَّني الثِّقـاتُ بَلى بَانـوا

وقَـدْ كانَ لي حزنٌ يُكَـدِّرُ[3] عِيْشَتي

فهــا أنــا ذا لي مِنْ فِراقِيَ أَحْــزانُ

لَقَدْ أَنْجَبَتْ فيكَ ابنَةُ القَوْمِ إِذْ أَتَتْ

بِمِثْلِكَ واسْتَعْلَتْ على الأرْضِ حَوْرانُ



ورثاه بعض المحبِّين في الله تعالى ـ رحمه الله تعالى[4] ـ:

بَكا العِلْمُ حيناً بعدَ حِينٍ على (يَحْيَى)

وآلَـى[5] يَمينــاً بعـــدَهُ لَمْ يَكُنْ يَحْيا

وأُزْلِفَتِ الجَنَّــاتُ والحـورُ زُخْـرِفَتْ

سُروراً بمَـنْ أَنْـكَـى لنُـقْلتِــهِ العُلْيا

رُزِئْــنــا بمَـــنْ فيهِ فوائِــدُ جَمَّــةٌ

تَقِيٌّ نَقِيٌّ راغِبُ الــزُّهْـدِ في الـدُّنْيا

---

(١) أي: صديق.

(٢) (بان): بعُدَ وافترق.

(٣) (كَدَّر فلاناً): غمَّه، ونغَّص عليه عيشه.

(٤) انظر «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٦) للسخاوي.

(٥) أي: أقسم.

عَليمٌ بأَخْبـارِ الـنـبـيِّ وعـالِـمٌ
بها وسَديدُ القَوْلِ في مُشْكِلِ الفُتْيا

لهُ دَرَجـاتُ العِلْمِ والـزُّهْـدِ والتُّقى
وتَصْنيفُ مَن حازَ العُلومَ وما [أَعْيا][1]

أَضـاءَتْ مِن «المِنْهـاجِ» مِنَّا مَناهجُ
وراحَتْ بهِ عينُ الـرِّيا والـرَّدى عَمْيا

وبَـثَّ لنـا مِنْ نَشْـرِهِ آيَ «رَوْضَـةٍ»
على زَهْـرِهـا مِن زُهْـدِهِ دائمـاً بُقْيا

سقى الـوابِـلُ الـوَسْمِيُّ[2] أَرضَ نَوى نَوا[3]
كَمـا حَلَّ فيهـا صادِقُ الرَّأْيِ والرُّؤْيَا

وحَـيَّا الـحَيا ذاكَ الضَّـريحَ ومَنْ بهِ
وسُقْياً لأَرْضٍ حَلَّ في رَبْعِهـا سُقْيا

□□□□□

/٧٨/ ورثاهُ بعضُ المحبِّين في الله تعالى ـ رحمه الله تعالى[4] ـ / .

بانَـتْ مَسَـرَّاتُنـا مُذْ بانَ إخـوانُ
فأَيْنَ مُعْـتَـبِـرٌ فالـدَّهْـرُ حَيْرانُ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) (الوسمي): أول المطر.

(٣) في الأصل: «نوءاً»، غير أن الناظم سهل الهمزة.

(٤) انظر: «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٦)، وفيه ما يفيد أن اسمه غير معروف، ويستفاد من بيت رقم (٣٢) أن اسم ناظمها عثمان.

قَدْ فارَقَتْ مِن نواحي الأرْضِ ساداتُها

وغُـيِّرَتْ بعْـدَهُـم للدَّهْـرِ أَزْمـانُ

قَدْ نُقِصتْ مِثْـلَ ما قَدْ قال نَنْقُصُهـا

أَطْـرافَهـا[1] فافتَكِـرْ ما قالَ دَيَّانُ

أَيْنَ الـذينَ هُمُ كانـوا ذَوي حِكَمٍ؟

قَدْ بانَ مِن قوْلِـهِـم للدِّينِ تِبْـيَانُ

أَيْنَ الـذينَ أَقـامـوا الـدِّينَ واجْتَهَدوا

ولَـمْ يَكُنْ دأْبُهُم غيرَ الـذي دانـوا

بانُـوا جَميعـاً ولا أَرْجُـو رُجـوعَهُمُ

فَدَمْعَتي أَصْبَحَتْ حَمـراءَ مُذْ بانـوا

يا (محييَ الـدين) مُذْ فارَقْتَنـا عَجِلاً

قَدْ هُدِّمَـتْ لِمَشيدِ الـدِّينِ أَرْكـانُ

---

(١) يشير إلى قوله تعالى:

﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتي الأَرْضَ نَنْقُصها مِن أَطْرافِها**﴾ [الرعد: ٤١] وإلى قوله تعالى: ﴿**أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نأْتي الأرْضَ نَنْقُصُها مِن أَطْرافِها**﴾ [الأنبياء: ٤٤].

قال ابن عباس ـ فيما رُوي عنه عند ابن جرير في «التفسير» (١٣ / ١١٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢ / ٣٥٠)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١ / ٤٣)؛ بسند ضعيف جداً، فيه طلحة بن عمرو؛ قال فيه أحمد: متروك ـ في نقص الأرض:

«موت العلماء والفقهاء».

وكذا قال مجاهد، وصوَّب ابن كثير غيره. انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢ / ٥٣٩)، و «الدر المنثور» (٤ / ٦٨)، و «تفسير الطبري» (١٣ / ١١٧).

أَرْكــانُ بُنيانِــهِ عَنـدَ النَّـوى عُدِمَتْ
فَكَـيْفَ يَبْـقــى ولا أَرْكــانَ بُنْـيانُ
قَدْ كُنْـتَ في هٰذه الــدُّنْيا على سِيَرٍ
لَمْ يَسْتَـطِعْ مِثْلَهـا في الـدَّهْرِ إِنْسانُ
زَهِـدْتَ فيهـا ولَمْ تُخْـدَعْ بِزُخْـرُفِها
ودامَ منـكَ على الأَصْحـابِ إِحْسانُ
النَّــاسُ في راحَــةِ الــدُّنْيا ولَـذَّتِهـا
وأَنْتَ عنــدَ جِهــادِ النَّفْسِ تَعْبــانُ
وهُمْ على دَعَــةٍ في طيب مَرْقَـدِهِم
وأَنْتَ في حَلِّ عِلْمِ الـدِّينِ سَهْـرانُ
وأَيْنَ ما كُنْــتَ قد حازَتْ ملائِـكَـةٌ
حَوْلَ المَكــانِ ولَمْ يَقْـرَبْـكَ شَيْطانُ
وكُنْتَ بَحْــراً مُحيطاً للحَــديثِ لَنـا
يفــيضُ مِن مَوْجِــهِ دُرٌّ ومُــرْجَــانُ
وكُنْتَ في المذْهَبِ المَنْصورِ مُجْتَهِداً
وعَــنْــكَ يَنْـقُـلُهُ شِيْبٌ وشُبَّــانُ / /٧٩/
لو كانَ يَلْقــاكَ مِمَّنْ قَدْ مَضى أَحَـدٌ
مِن الـصَّحــابَــةِ أَو مِمَّـنْ لهُ شانُ
لكــانَ (طَلْحَـةُ) فيمـا قُلْتَ مُرْتَضِياً
وكـانَ يُثْنِي عَلَيْكَ الحَبْـرُ (سَلْمـانُ)

وكـانَ مَهْمـا رآكَ (الشـافِعِي) فَرِحـاً

وكـــانَ يُنْصِفُـكَ البَحَّـاثُ (نُعْمـانُ)

قَدْكُنْتَ كاسْمِـكَ (مُحْيي الـدين) مُجْتَهِداً

ومِنْ دُعــائِــكَ نالَ النَّصْـرَ فُرْســانُ

سَلَكْتَ بينَ الـوَرى سُبْلَ النَّجاةِ وقَدْ

أَقَــرَّ فيكَ لِســانَ الــوَحْــيِ قُرآنُ

بأَنَّ جاهَــكَ عنــدَ اللهِ مُرْتَــفِــعٌ

وأَنَّ حَظَّكَ مِن ذي العَـرْشِ غُفْرانُ

يَوْماً تَكونُ عُصاةُ النَّاسِ قدْ جُمِعَتْ

والنَّــارُ ذاتُ لَظىً والــرَّبُّ غَضْبـانُ

يَفِـرُّ كُلُّ امـرىءٍ مِنْ هَوْلِ مَصْـرَعِه

مِنْ ابْــنِــهِ وأَخــيهِ وهُـــو حَيْرانُ

قَدْ فُتِّــحَـــتْ لِلْوَرَى أَبــوابُ هاوِيَةً

ونــارُهــا انْتَشَــرَتْ والجِسْمُ عُرْيانُ

فعِــنْــدَ ذاكَ بِلا رَيْبٍ عَلى عَجَــلٍ

بالــبِــشْــرِ مِن رَبِّنــا يأْتيكَ رِضْــوانُ

وقَـدْ تَرى جَنَّةَ الفِرْدَوْسِ قدْ فُتِحَتْ

وعَـــمَّ مِن طِيْبِــهــا رَوْحٌ وَرَيْحــانُ

تَدُومُ فيهـا بأَفــراحٍ على أَبَــدٍ

ومِــنْــكَ في فَرَحٍ حُورٌ ووِلْــدانُ

مَتَى ذَكَرْنَاكَ قَدْ فاضَتْ مَدامِعُنا
حَتَّى جَرَتْ مِن دُموعِ العَيْنِ غُدْرانُ
يَنُوحُ كُلُّ امرِىءٍ مِنْ فَرْطِ لَوْعَتِهِ
حَتَّى لَقَدْ قَرِحَتْ بالدَّمْعِ أَجْفانُ
مَنْ لا يَنُوحُ إِذا باتَتْ أَحِبَّتُهُ
أَوْ لا يَسيلُ على خَدَّيْهِ عِقْيانُ /

/٨٠/

النَّاسُ طُراً على ذِكْراكَ [في][1] حُرَقٍ
وليسَ يَعْرِضُ في ذِكْراكَ نِسْيانُ
قَدْ سالَ بَحْرُ دِماءٍ مِن لواحِظِهِم
مُذْ قامَ مُكْتَئِباً يَرْثيك (عُثْمانُ)
عَساكَ تَشْفَعُ فيهِ حَيْثُ قامَ غَداً
لِيَنْمَحِي ذَنْبُهُ فاللهُ رَحْمانُ
فإِنَّهُ مُذْنِبٌ عاصٍ ومُعْتَرِفٌ
وقَدْ مَلا صُحْفَهُ سُوءٌ وعِصْيانُ
يا نَفْسُ لا تُخْدَعي باللَّهْوِ واتَّعِظي
فإِنَّ رِبْحَكِ عندَ اللَّهْوِ خُسْرانُ
كَمْ مِن أُناسٍ مِن الأخْيارِ قَدْ عُدِموا
كَأَنَّهُمْ ساعةً في الدَّهْرِ ما كانوا
لا تَطْمَعي في البقا يا نَفْسُ بعْدَهُمُ
فإِنَّ كُلَّ الوَرَى في الدَّهْرِ ضِيفانُ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

فَصْلٌ

لما توفِّيَ ـ رحمه الله تعالى ـ ودُفِنَ ؛ أرادَ أهلُهُ وأقاربهُ وجيرانُه أن يبنوا على ضريحه قُبَّةً، وأجمعوا على ذٰلك ؛ إذ جَاء ـ رحمه الله ـ في النَّوم إلى أكبر امرأةٍ من قرائبه ـ أظنُّها عمَّتَه ـ، وقال لها:

«قولي لأخي والجماعة لا يفعلوا هٰذا الذي قد عَزَموا عليه من البنيان ؛ فإنَّه كُلَّما بنوا شيئاً ؛ يُهْدَمُ عليهم».

فانتَبَهَتْ منزعجةً، فقصَّتْ عليهم الرُّؤيا، فامتنعوا من البنيان، وحوَّطوا على قبره بحجارةٍ تَمنعُ الدَّوابَّ وغيرها[1].

وقال لي جماعة من أقاربه وأصحابه بـ (نوى) : إنهم سألوه يوماً أن لا ينساهم في عَرَصات القيامة، فقال لهم:

«إنْ كانَ ثَمَّ جاهٌ، واللهِ لا دَخَلْتُ الجنَّةَ وأحدٌ / ممَّن أعرفه /٨١/ ورائي، ولا أدخُلُها إلا بعدَهم».

---

(١) نقله عن المصنف: الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٨٠)، والسيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٨٠)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٦).

لكن للأسف الشديد! لم يبق الأمر على الحال الذي ذكره ابن العطار، حيث تمَّ بناء القبَّة على قبر الشيخ الإمام النووي ـ رحمه الله ـ، وكان ذٰلك على خلاف الشرع، ومخالفة لما كان يدعو إليه الشيخ النووي من الابتعاد عن البدع، وقد قام ببناء القبة الأميرُ قانصوه الساعدي في أواخر القرن العاشر الهجري.

انظر: «ترجمة الإمام النووي» (ص ٧٦) الحاشية، و«الإمام النووي وأثره في الفقه الإسلامي» (ص ٨١)، و«الإمام النووي» (ص ١٩٥ ـ ١٩٦)، للدَّقر.

فرحمه الله، ورضي عنه، لقد جَمَعَتْ هٰذه الحكايةُ من الأدب مع الله ـ عزَّ وجل ـ، ومن الكرم ما لا يخفى على متأمِّل فطن[1].



(١) نقله عن المصنِّف: الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ورقة ٥٨٠)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٣٤)، و«المنهاج السوي» (لوحة ٣١ / أ)، ووقعت عبارة الإمام النووي في مطبوعه (ص ٨٠) مصحفة تصحيفاً شنيعاً، إذ جاءت فيه هٰكذا:

«. . . لأدْخُلَنَّ الجنة وآخذ مَن أعرفه ورائي، ولا أدخلها إلا بعدهم»!!

وهذا من التألي على الله سبحانه وتعالى، وليس فيها الأدب الذي أشار إليه المصنِّف مع الله عز وجل، فالشفاعة لا تكون إلا بإذنه سبحانه وتعالى، وليس لأحدٍ من الخلق على الله حق أو جاه يرجى إلا بما يأذن به ربُّنا ـ سبحانه ـ ويرضى.

فصلٌ

كنتُ يوماً بين يديهِ لتصحيح درس عليه في «مختصر علوم الحديث» الأصغر له، فلما فرغتُ منهُ؛ قال لي:

«رأيتُ الليلةَ في المنامِ كأنِّي كنتُ سابحاً في بحرٍ، وكأني خرجتُ منه إلى شاطئهِ، وإذا أنا بشخص قد غرق فيه، وقد تعلَّق بخشبة على وجهه لحظةً، ثم غرق».

قلتُ: يا سَيِّدي! علمتَ الشخصَ مَن هُو؟

قالَ: «نعم».

قلتُ: مَن هُو؟

قالَ: «ابن النَّجّار».

قلتُ: فما أَوَّلْتَه؟

قالَ: «يظهَرُ قليلاً، ثم يَخفى خَفاءً لا ظُهورَ بعدَه، مع نفاقِ قلبهِ».

وكان مِن قصَّةِ المذكور أنَّه سعى في إحداث أمورٍ على المسلمين باطلة، فقام الشيخُ ـ قدَّس الله روحه ـ مع جماعة من علماء المسلمين، فأزالوها بإذن الله تعالى، ونصرَ الله الحقَّ وأهلَه، فغَضِبَ لذلك؛ لكراهيتِه مصلحة المسلمين، ونصيحَةِ الدين، وبعثَ إلى الشيخِ يهَدِّدُهُ، ويقول:

«أنتَ الذي تحزِّبُ العلماءَ عَلى هذا».

فكتَبَ إليه الشيخ ـ قدَّسَ الله روحَهُ ـ كتاباً هذا صورتُه:

بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيم .

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين .

مِن يحيى النووي .

/٨٢/ اعلم أيُّها المقصِّر في التأهُّب / لمعادِه، التاركُ مصلحَةَ نفسه في تهيئةِ جهازِه له وزادِه، أنِّي كنتُ لا أعلمُ كراهَتَك لنُصْرَةِ الدين، ونصيحةِ السلطان والمسلمين؛ حملاً منِّي لك على ما هو شأنُ المؤمنين؛ مِن إحسانِ الظنِّ بجميع الموحِّدين، وربما كنتُ أسمعُ في بعض الأحيانِ مَن يذْكُرُكَ بغِشِّ المسلمين، فأُنْكِرُ عليه بلساني وبقلبي؛ لأنها غيبةٌ لا أعلم صحَّتها، ولم أزَلْ على هٰذا الحال إلى هٰذه الأيام .

فجرى ما جرى من قول قائل للسُّلطان ـ وفَّقه الله لكريمِ الخيرات ـ: إنَّ هٰذه البساتينَ يَحِلُّ انتزاعُها مِن أهلِها عندَ بعضِ العلماء، وهٰذا من الافتراء الصريح، والكذب القبيح، فوجب عليَّ وعلى جميعِ مَن عَلِمَ هٰذا من العلماء أَن يُبَيِّنَ بطلانَ هٰذه المقالة، ودَحْضَ هٰذه الشناعة، وأنَّها خلافُ إجماع المسلمين، وأنَّه لا يقولُ بها أحدٌ من أئمَّةِ الدين، وأن يُنْهوا[1] ذٰلك إلى سلطان المسلمين، فإنَّه يجبُ على الناس نصيحته؛ لقول النبيِّ ﷺ في الحديث الصحيح :

«الدِّينُ النصيحة؛ للهِ، ولكتابه، ولرسوله، وأئمَّة المسلمين، وعامَّتهم»[2] .

---

(١) أي : يرفعوا .

(٢) مضى تخريجُه .

وإمـام المسلمين في هٰذا العصـر هو السلطان ـ وفَّقـه الله تعـالى لطاعته، وتولَّاه بكرامته ـ.

وقد شاع بين الخواصِّ والعوام، أنَّ السلطانَ كثيرُ الاعتناءِ بالشَّرْعِ ، ومحـافظٌ على العملِ به، وأنَّه بَنَى المدرسة لطوائف / العلماء، ورتَّب /٨٣/ القضـاة من المـذاهب الأربعـة، وأمـر بالجلوس في دار العدل؛ لإقامة الشرع، وغير ذٰلك؛ مما هو معروف من اعتناء السُّلطان ـ أعزَّ الله أنصارَهُ ـ بالشرع، وأنَّه إذا طلبَ طالبٌ منهُ العملَ بالشرعِ ؛ أمر بذٰلك، ولم يخالفه.

فلمـا افتـرى هٰذا القـائـلُ في أمرِ البساتين ما افتراه، ودلَّس على السلطان، وأظهر أن انتزاعها جائزٌ عند بعض العلماء، وغشَّ السلطان في ذٰلك، وبلغ ذٰلك علماءَ البلد؛ وجب عليهم نصيحةُ السلطان، وتبيينُ الأمرِ له على وجهـه، وأنَّ هٰذا خلافُ إجمـاع المسلمين، فإنَّـه يجب عليهم نصيحةُ الدين، والسلطانِ، وعامَّةِ المسلمينَ.

فوفَّقهم الله تعالى للاتفاقِ على كَتْبِ كتاب يتضمَّن ما ذكرتُه، على جهـةِ النَّصيحـة؛ للدين، والسلطان، والمسلمين، ولم يذكروا فيه أحداً بعينِه، بل قالوا: مَن زعم جوازَ انتزاعِها؛ فقد كذب.

وكتب علماءُ المذاهب الأربعة خطوطَهم بذٰلك؛ لما يجبِ عليهم من النَّصيحـةِ المـذكورة، واتَّفقوا على تبليغها وليَّ الأمرِ ـ أدامَ الله نِعَمَهُ عليه ـ لِيَنْصحوه، ويُبَيِّنوا حكمَ الشرع.

ثم بلَّغني جماعاتٌ متكاثِراتٌ في أوقاتٍ مختلفاتٍ ـ حصل لي العلم بقـولهم ـ أنك كرهت سعيَهم في / ذٰلك، وسارَعَتْ في ذمِّ فاعل ذٰلك، /٨٤/

وأسندتَ معظم ذٰلك كله إليَّ، ويا حبذا ذٰلك من صنيع.

وبلَّغني عنك هٰؤلاء الجماعات أنَّك قلت: قولو ليحيى: هو الذي سعى في هٰذا، فينكفّ عنه، وإلا أخذتُ منهُ دارَ الحديث.

وبلَّغني عنك هٰؤلاء الجماعاتُ أنَّك حلفتَ مراتٍ بالطلاق الثلاث أنَّك ما تكلَّمتَ في انتزاع هٰذه البساتين، وأنَّك تشتهي إطلاقَها!

فيا ظالم نفسه! أما تستحي من هٰذا الكلام المتناقض، وكيف يصح الجمع بين شهوتك إطلاقها[1] وأنَّك لم تتكلم فيها، وبين[2] كراهتك السَّعيَ في إطلاقها ونصيحة السلطان والمسلمين؟

ويا ظالم نفسه! هل تعرَّض لك أحدٌ بمكروه، أو تكلَّم فيك بعينِك؟ وإنما قال العلماءُ: مَن قالَ هٰذا للسلطان فقد كذَبَ، ودلَّس عليه، وغشَّه، ولم ينصحه. فإنَّ السلطان ما يفعلُ هٰذا إلا لاعتقادِهِ أنَّه حلالٌ عند بعض العلماء، فبيَّنوا أنَّه حرامٌ عند جميعهم. وأنت [قد][3] قُلْتَ: إنَّك لم تتكلمْ فيها. وحلفتَ على هٰذا بالطَّلاقِ الثلاث، فأيُّ ضررٍ عليك في إبطال قولٍ كاذبٍ على الشرع، غاشٍّ مدلس على السلطان، وقد قلت: إنَّه غيرُك؟! /٨٥/ وكيف تكره السَّعْيَ على شيءٍ قد أجمعَ الناسُ / على استحسانِه؟! بل هو واجب على مَن قدر عليه.

---

(١) في الأصل: «سهوتك وإطلاقها»!!

(٢) في الأصل: «فأين»، وفي الهامش: «صوابه: وبين».

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وأنـا ـ بحمد الله ـ من القادرين عليه بالطريق الذي سلكتُ، وأما نجاحُه؛ فهو إلى الله تعالى؛ مقلِّب القلوب والأبصار.

ثم إني أتعجَّب غايةَ العجب من اتِّخاذكَ إيَّاي خَصماً، ويا حَبَّذا ذلك من اتِّخاذ، فإنِّي ـ بحمد الله تعالى ـ أُحِبُّ في الله تعالى، وأُبْغِضُ فيه، فأُحِبُّ مَن أَطاعهُ، وأُبغِضُ مَن خالفه، وإذا أخبرتَ عن نفسِكَ بكراهتِك السَّعْيَ في مصلحة المسلمين، ونصيحة السلطان؛ فقد دخلتَ في جملة المخـالفين، وصـرتَ ممَّن نُبْغِضُـهُ في الله ربِّ العالمين، فإنَّ ذلك من الإيمان؛ كما جاءت به الآثار الصحيحة، المنقولة بأسانيد الأئمة الأخيار[1].

ارْضَ لِمَـنْ غَابَ عَنْـكَ غِيْبَـتَـهُ
فَذاكَ ذَنْـبٌ عِقـابُـهُ فِيهِ

ويا ظالم نفسـه! أنا خاصمتُك، أو كالَمْتُك، أو ذكرتُك، أو بيني وبينك مخاصمة، أو مُنازَعة، أو معاملةٌ في شيءٍ؟! فما بالك تكره فعل خيرٍ يَسَّرني الله الكريمُ له؟! ﴿**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُم إلا أَنْ يُؤْمِنوا باللهِ العَزيزِ الحَميدِ**﴾[2].

---

(١) يشير الإمام النووي إلى حديث:

«مَن أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان».

أخرجه أبو داود في «السنن» (رقم ٤٦٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم ٧٦١٣ و٧٧٣٧ و٧٧٣٨)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣ / ٥٤)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ١٧٨ و١٧٩)؛ بإسنادٍ حسنٍ.

(٢) البروج: ٨.

بل أنتَ لسوءِ نَظَرِكَ لنفسك تتأذى على نفسكَ، وتُشْهِدُ الشهودَ بكراهة هٰذه النصيحة، التي هي مصرِّحة بأنَّك أنت الذي / تكلّمتَ /٨٦/ في هٰذه البساتين، وأنَّ الطلاقَ واقعٌ عليكَ، وما أبعدَ أن تكون شبيهاً بمن قال الله تعالى فيهم: ﴿**ولَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحنِ القَوْلِ واللهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُم**﴾[1].

ويا عدوَّ نفسِهِ! أتُراني أكرَهُ مُعاداةَ مَن سَلَكَ طريقَتِكَ هٰذه، بل ـ واللهِ ـ أُحِبُّها، وأوثِرها، وأفعَلُها بحَمْدِ الله تعالى، فإنَّ الحُبَّ في اللهِ، والبُغْضَ فيهِ، واجبٌ عليَّ وعليكَ، وعلى جَميعِ المكَلَّفينَ، ولستُ أَدْري أيَّ غرضٍ لك في حِرْصِكَ في الإنكارِ على السَّاعين في إعظام حُرُماتِ الدِّين، ونصيحة السلطان والمسلمين.

فيا ظالِمَ نفسه! انْتَهِ عن هٰذا، وارْجِعْ عن طَريقةِ المباهتينِ المعاندين.

وأعْجَبُ مِن هٰذا تَكْريرُكَ الإرسالَ إليَّ ـ بزعمك الفاسد ـ كالمتوعِّد: إنْ لم يَنْكَفَّ أخذتُ منهُ دارَ الحديث.

فيا ظالِمَ نفسِهِ! وجاهِلَ الخيرِ وتاركه! أطَّلَعْتَ على قلبي أنِّي متهافِت عليها، أو علمتَ أني منحَصِرٌ فيها، أو تحقَّقْتَ أني معتمِدٌ عليها، مستَنِدٌ إليها، أو عَرَفْتَ أنِّي أعتقدُ انحصارَ رزقي فيها. أوما علمتَ ـ لو أنصفتَ ـ كيف كان ابتداءُ أمرها، أوما كنتَ حاضراً مشاهِداً أخذي لها؟!

ولو فُرِضَ تهافُتي عليها؛ أكنْتُ أُوْثِرُها على مصلحةٍ عامةٍ

(١) محمد: ٣٠.

للمسلمين، مشتملةٍ على نصيحة الله، وكتابه، ورسوله ﷺ، والسُّلطان، وعامة المسلمين / ؟! هٰذا ما لم أفْعَلْهُ ولا أفعله [إن شاء الله تعالى. /٨٧/

وكيف تتـوهم](١) أنِّي أترك نصيحةَ الله ورسوله وسلطان المسلمين وعامَّتِهم؛ مخافة مِن خيالاتك؟! إن هٰذه لغباوة منك عظيمة.

[ويا عجباً منك](٢)! كيفَ تقول هٰذا؟! أنتَ ربُّ العالمين؟! بيدك خزائنُ السَّمـاوات والأرض، وعليكَ رزقي ورزق الخلائق أجمعين؟! أم أنت سلطان الوقت؛ تحكم في الرَّعيَّة بما تُريد؟!

فلو كنتَ عاقلاً؛ ما تهَجَّمْتَ على التَّفَوُّهِ بهٰذا الذي لا ينبغي أن يقولَه إلا ربُّ العالمين، أو سلطان الوقت؛ مع أن سلطان [الوقت](٣) منزَّهٌ عن قولِك الباطلِ، مرتفعُ المَحَلِّ عن فعْلِ ما ذكرتَ.

يا ظالِمُ! فإنْ كنتَ تقـولُ هٰذا استقلالاً منك؛ فقد افتأتَّ(٤) عليهِ، واجْتَرَأْتَ على أمر عظيم، ونسبتَه إلى الظلم عدواناً، وإنْ كنتَ تقوله عنه؛ فقد كذبتَ عليه، فإنَّه ـ بحمد الله ـ حَسَنُ الاعتقاد في الشَّرْع، وذٰلك من نِعَمِ الله تعالى عليه، والسلْطان ـ بحمد الله وفضله ـ أكثرُ اعتقاداً في الشَّرْع مِن غيره، ومعظم حُرُماته، وليس هو ممن يقابلُ ناصِحَهُ بهذيانات الجاهلين،

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

(٤) في الأصل: «افتت»!!

وتُرَّهات المخالفين، بل يقبلُ نصائِحَهُم؛ كما أمره الله تعالى.

واعلم أيُّها الظالمُ نفسه! أنِّي ـ والله الذي لا إله إلا هو ـ لا أترُكُ شيئاً أقْـدِرُ عليه من السعي في منـاصحـةِ الـدين والسُّلطانِ والمسلمين في /٨٨/ هٰذه القضيَّة، وإنْ رغمتْ أنوفُ الكارهين، وإنْ كَرِهَ ذٰلك أعداءُ المسلمين، وفِرَقَ حزبُ المخذِّلين، وسترى ما أتكلَّم به ـ إن شاء الله تعالى ـ عند هٰذا السلطان ـ وفَّقه الله تعالى لطاعته، وتولَّاه بكرامته[1] ـ في هٰذه القضيةِ؛ غيرةً علِى الشـرعِ، وإعـظامـاً لحُـرمات الله تعالى، وإقامةً للدِّين، ونصيحةً للسلطان وعامة المسلمين.

ويا ظالم نفسـه! أجْلِبْ بخَيْلِكَ ورَجِلِكَ إنْ قدَرْتَ! واسْتَعِنْ بأهل المشرقينِ وما بين الخافقَيْن، فإني ـ بحمد الله ـ فيَّ كِفايَةٌ تامَّةٌ، وأرجو من فضلِ الله تعالى أنَّك لا تَقْوى لمنابذةِ أقلِّ الناس مرتبةً، وأنا ـ بحمد الله تعالى ـ مِمَّن يَوَدُّ القتلَ في طاعةِ الله تعالى.

أتَقْـوى يا ضعيفَ الحيلِ لمنابذتي؟! أبلَغَكَ يا هٰذا أنِّي لا أؤمِنُ بالقدر؟! أوبلغكَ أنِّي أعتقِدُ أنَّ الآجالَ تَنْقُصُ، وأنَّ الأرْزاقَ تَتَغَيَّرُ تتغيرُ[2]؟! أما تفكِّرُ في نفسك في قبيحِ ما أتَيْتَهُ من الفعالِ، وسوء ما نَطَقْتَ بهِ من المقالِ؟!

---

(١) في الأصل: «بكرمته»!!

(٢) انظر ـ لزاماً ـ: «إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان» للشيخ مرعي الحنبلي، نشر دار عمار، و«تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدَّلائل» للشوكاني، نشر دار ابن حزم؛ كلاهما بتحقيقنا.

أيا ظالـمَ نفســه! مَن طلب رضـى اللهِ تعــالى تردُّه خيالاتُــك، وتمويهاتُك، [وأباطيلُكَ][1]، وتُرَّهاتُك؟

وبعد هٰذا كله، أنا أرجو من فضل الله تعالىٰ أنَّ الله يوفق السلطان ـ أدام الله نِعَمَهُ عليه ـ لإطلاقِ هٰذه البساتين، وأن يفعَلَ فيها ما تقرُّ به أعيُنُ المؤمنين، ويُرْغِمُ أنفَ المخالِفينَ، فإن الله / تعالى قال: /٨٩/

﴿والعاقِبَةُ للمُتَّقينَ﴾[2].

والسُّلْطانُ ـ بحمدِ الله تعالى ـ يفعل الخيراتِ، فما يترُكُ هٰذه القضيَّةَ تفوتُه.

واعلَمْ أنك عندي ـ بحمد الله تعالى ـ أقلُّ ممَّن أهتم بشأنك، أو ألتفتُ إلى خيالاتِـك وبـطلانِك، ولكنِّي أردتُ أن أعرِّفَكَ بعضَ أمري؛ لتدخلَ نفسكَ في منابذةِ المسلمين بأسرِهم، ومنابذةِ سلطانِهم ـ وفَّقه الله تعالى ـ على بصيرةٍ منك، وترتفع عنك جهالةُ بعضِ الأمر؛ ليكون دخولُك بعد ذٰلك معاندةً لا عذرَ لك فيها.

ويا ظالِمَ نفسهِ! أتتوهَّمُ أنَّه يَخْفى عليَّ وعلى مَن سلَكَ طريقَ نصائحِ المسلمينَ وولاةِ الأمرِ وحُماةِ الدينِ أنَّا لا نعتَقِدُ صِدْقَ قولِ اللهِ تعالى:

﴿والعاقِبَةُ للمُتَّقينَ﴾[3].

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) الأعراف: ١٢٨.

(٣) الأعراف: ١٢٨.

وقولِهِ تعالى :

﴿ولا يَحِيْقُ المَكْرُ السَّيِّىءُ إلا بأَهْلِهِ﴾(١).

وقوله تعالى :

﴿والَّذينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾(٢).

وقوله تعالى :

﴿إنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدامَكُم﴾(٨).

وقوله تعالى :

﴿وكَانَ حَقّاً عَلَيْنا نَصْرُ المؤمِنينَ﴾(٤).

وقول النبيِّ ﷺ في الحديث الصحيح :

«لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم خذلان من خذلهم»(٥).

---

(١) فاطر: ٤٣.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) محمد: ٧.

(٤) الروم: ٤٧.

(٥) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١٣ / ٢٩٣) (رقم ٧٣١١)، ومسلم في «الصحيح» (٣ / ١٥٢٣)، وغيرهما؛ بنحوه من حديث المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ.

والحديث وارد عن جمع من الصحابة، بلغ عددهم ستة عشر نفساً من الصحابة، وعُدَّ من الأحاديث المتواترة؛ كما قال شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ٦)، وانظر «نظم المتناثر» (ص ٩٣).

والمراد بهٰذه الطائفة أهل العلم؛ كذا قال أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ وغيره من أولي النهى والفهم[1].

وقوله ﷺ:

«والله في عونِ العبدِ ما كانَ العبدُ / في عونِ أخيهِ»[2]. /٩٠/

هٰذا فيمَنْ كانَ في عونِ واحدٍ مِن النَّاس، فكيفَ الظَّنُّ بمَنْ هُو في عَوْنِ المسلمين أجمعينَ؛ مع إعظامِ حُرُماتِ الشَّرْعِ، ونصيحة السلطان، وموالاته، وبذل النَّفس في ذٰلك؟!

واعْلَمْ أنِّي واللهِ لا أتعرَّضُ لك بمكروهٍ سوى أنِّي أُبْغِضُكَ لله تعالى، وما امتناعي عن التعرُّض لك بمكروهٍ عن عجزٍ، بل أخافُ الله ربَّ العالَمين من إيذاءِ مَن هُو مِن جملةِ الموحِّدين.

وقد أخبرني مَن أثِقُ بخبرِهِ وصلاحِهِ، وكراماته وفَلاحِه؛ أنَّك إنْ لم تُبادِرْ بالتَّوْبَةِ؛ حلَّ بك عقوبةٌ عاجلةٌ، تكونُ بها آيةً لِمَن بعدكَ، لا يأْثَمُ بها أحدٌ مِن النَّاسِ، بل هو عدلٌ مِن الله تعالى، يوقِعُهُ بكَ؛ عبرةً لِمَنْ بعدَكَ، فإنْ كنتَ ناظراً لنفسِكَ؛ فبادِرْ بالرُّجوعِ عن سوءِ فعالِك، وتَدارَكْ ما أسْلَفْتَهُ مِن قبيحِ مقالِك، قبلَ أنْ يَحِلَّ بكَ ما لا تُقالُ فيهِ عَثَرَتُك، ولا تغترَّ بسلامَتِك وثروتِك ووصلتِك، وأفْكِر في قول القائل:

---

(١) وكذا قال عبدالله بن المبارك، وعلي بن المديني، والبخاري، وأحمد بن سنان، وغيرهم.

راجع «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٦ ـ ٢٧) للخطيب البغدادي.

(٢) مضى تخريجه ص ١١٠.

قَدْ نادَتِ الـدُّنْـيا عَلى نَفْسِهـا
لَوْ كانَ في العـالَمِ مَنْ يَسْمَعُ
كَمْ واثِقٍ بالـعُـمْرِ وارَيْتَهُ
وجـامِعٍ بَدَّدْتُ ما يَجْمَعُ

والسَّلام على مَن اتَّبع الهدى، والحمد لله رب العالمين[1].



(١) انظر: «ترجمة الإمام النووي» (ص ٣٦ و٥٠ ـ ٥٥) للسخاوي، و«الإمام النووي» (ص ١٤٩ ـ ١٥٨) لعبد الغني الدَّقْر، و«الإمام النووي وأثره في الفقه الإسلام» (ص ٦٦ ـ ٧١).

فصلٌ

ذكـر لي صاحِبُنـا الشيخُ أبو العبَّاس أحمد ابن الشيخ أبي عبدالله محمـد بن / الحسن بن سالم الشافعي[1] جعَلَ الله في بقيَّتِه البركة غير /٩١/ مرَّة قال:

«ذكر لي الشيخُ الصالحُ الصدوقُ المُعَمَّرُ أبو القاسم بن عُمَيْر المِزِّي ـ وكـان من الأخيارِ ـ أنَّـه رأى فيما يرى النَّائِم بالمِزَّةِ راياتٍ كثيرةً؛ قال: وسمعتُ نوبةً تُضْرَبُ، فتعجَّبْتُ من ذٰلك، فقلتُ: ما هٰذا؟ فقيلَ لي: الليلة قُطِّبَ[2] يحيى النَّواوي. فاستيقظتُ من منامي، ولم أكن أعرف الشيخ، ولا سمعتُ به قبلَ ذٰلك».

فدخل المدينة ـ يعني دمشق ـ في حاجة؛ قال:

«فذكرتُ ذٰلك لشخصٍ، فقال: هو شيخُ دار الحديث الأشرفيَّة، وهو الآن جالسٌ فيها لميعادِها، فاستدلَلْتُ عليها، ودخَلْتُها، فوجدْتُه جالساً فيها، وحولَه جماعةٌ، فوقَعَ بصرُهُ عليَّ، فنهض إلى جهتي، وترك الجماعة، ومشى إلى طرف إيوانِها، ولم يترُكْني أُكَلِّمُه، وقال:

---

(١) انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» (١ / ٢٤٣).

(٢) (قُطِّب): أي جُعِل قطباً! ومن معان القطب: سيد القوم الذي يدور عليه أمرهم، وهي لفظة صوفية! تدلُّ على وظيفة عليا لأكبر أولياء الوقت عندهم!! انظر في حقيقتها وخرافات الصوفية حولها: «هٰذه هي الصوفية» (١٢٥)، و«الصوفية نشأتها وتطورها» (ص ٧٠).

«اكْتُمْ ما معك، ولا تُحَدِّثْ بهِ أحداً».

ثم رجع إلى موضعه، ولم يَزِدْ على ذٰلك، ولم أكُنْ رأيتُه قبلَها، ولم أجْتَمِعْ بهِ بعدها»[1].

آخره. والحمد لله وحده، وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ووقع الفراغ من هٰذه الترجمة يوم الخميس سابع ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وسبع مئة على يد الفقير إلى الله تعالى داود بن إبراهيم بن داود العطار، عفا الله عنه، وعن والديه، وعن جميع المسلمين /٩٢/.



---

(١) نقله عن المصنِّف: السيوطي في «المنهاج السوي» (ص ٤٩ ـ ٥٠)، والسخاوي في «ترجمة الإمام النووي» (ص ٣٣).

وعلى كل حال فإن هذا الخبر عن الإمام النووي مما لا يصح عقلاً ولا نقلاً، والنووي لا يعلم الغيب.

تَتِمَّة

في تحذير الإمام النووي مِن البدع

تحذير الإمام النووي من البدع

إن الشيخ محيي الدين الذي أكرمه الله ـ تبارك وتعالى ـ بالعيش مع كلام أفضل خلق الله محمد ﷺ، وقضى أغلب أوقاته في سماع الحديث الشريف من أفواه كبار الحُفَّاظ في الشام؛ متعرِّفاً بذٰلك على دقائق سنَّة رسول الله ﷺ، وكان حريصاً على الالتزام الكامل بكل ما يتعلمه من الكتاب والسنة، فجمع في ذٰلك بين العلم والعمل.

ومن خلال حياته في القرن السابع الهجري رأى بعض الناس يقومون بتصرفات على خلاف سنَّة أبي القاسم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وجاؤوا بأشياء لا أصل لها في دين الله ـ عزَّ وجل ـ، وقد قام الشيخ محيي الدين بدوره، فنبَّه الناس لخطر ذٰلك، وحذَّرهم منهم، ومن الاغترار بأصحابها، وداعياً لهم للتمسك الكامل بالكتاب والسنَّة، ونبذ ما عدا ذٰلك.

وفيما يلي أمثلة حيَّة على ذٰلك:

سُئِل الشيخ محيي الدين: هل هٰذا الحديث الذي يقوله عوامٌّ أهل الشام أن النبي ﷺ قال:

«مَن زارني وزار أبي إبراهيم في سنة واحدة؛ ضَمِنْتُ له على الله الجنَّة»(١).

ويقولون:

«مَن حَجَّ؛ فليُقَدِّسْ حجَّته في سنته».

يعنون: يزور بيت المقدس في سنة الحج.

هل لهٰذين أصل أم لا؟

وقد أجاب على ذٰلك الشيخ محيي الدين بقوله:

«الحديث المذكور باطل وموضوع، ولا أصل لواحد من هٰذين الأمرين المذكورين، لكن زيارة الخليل ﷺ وبيت المقدس فضيلة لا تختص بالحاج، ولو تركهما الحاج؛ لم يؤثر ذٰلك في صحة حجِّه»(٢).

ويقول الشيخ محيي الدين عن ذٰلك أيضاً(٣):

«وهٰذا باطل؛ ليس هو مروياً عن النبي ﷺ، ولا يُعْرَف في كتاب صحيح ولا ضعيف، بل وضعه بعض الفجرة».

وقد حذَّر ـ رحمه الله تعالى ـ من رواية الحديث الموضوع

---

(١) «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (ص ١١٧)، «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١ / ٦١).

(٢) «فتاوى الإمام النووي» (ص ٢٦٦ و٢٦٧).

وزيارة الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ لا يجوز أن تشد إليها الرحال، وإن ثبت أنه قبره جازت زيارته من غير شد رحل، ولكن الصلاة فيما يسمى (مغارة الأنبياء) أو فوق تلك المقبرة مما لا يجوز شرعاً، فضلاً عن التبرك بها.

(٣) «المجموع» (٨ / ٢٧٧).

والضعيف، وعدم بيان حاله، وأن مَن يفعل ذٰلك؛ فهو داخل في قوله ﷺ:

«إنَّ كذباً عليَّ ليس كَكَذِبٍ على أحدٍ، فمَن كذب عليَّ متعمداً؛ فَلْيَتَبَوَّأ مقعده من النار»[1].

وبيَّن ـ رحمه الله ـ أنْ لا فرقَ في ذٰلك بين ما كان في الأحكام، وما لا حكم فيه؛ كالترغيب، والترهيب، والمواعظ، وغير ذٰلك، فقال:

«لا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الأحكام وما لا حكم فيه؛ كالترغيب، والترهيب، والمواعظ، وغير ذٰلك، فكلُّه حرام، من أكبر الكبائر، وأقبح القبائح، بإجماع المسلمين الذين يُعتدُّ بهم في الإجماع؛ خلافاً للكَرَّامية، الطَّائفة المبتدعة في زعمهم الباطل أنه يجوز وضع الحديث في التَّرغيب والترهيب، وتابعهم على هٰذا كثيرون من الجهلة الذين ينسبون أنفسهم إلى الزُّهد، أو ينسبهم جهلةٌ مثلُهم.

وشُبْهَةُ زعمهم الباطل أنه جاء في رواية:

«من كذبَ عليَّ متعمداً؛ ليضلَّ به؛ فليتبوأْ مقعَدَهُ مِن النار»[2].

وزعمَ بعضُهم أن هٰذا كذب له عليه الصلاة والسلام لاكذب عليه.

وهٰذا الذي انتحلوه وفعلوه واستدلوا به غاية الجهل، ونهاية الغفلة، وأدلّ الدلائل على بُعدهم من معرفة شيء من قواعد الشرع، وقد جمعوا فيه جملاً من الأغاليط اللائقة بعقولهم السخيفة، وأذهانهم البعيدة الفاسدة،

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣ / ١٦٠) (رقم ١٢٩١)، ومسلم في مقدمة «الصحيح» (١ / ١٠) (رقم ٣)؛ من حديث المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) وهو منكر بهٰذه الزيادة، انظر: «السلسلة الضعيفة» (رقم١٠١١).

فخالفوا قول الله عز وجل:

﴿ولا تَقْفُ ما لَيْسَ لكَ بهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أُولٰئك كانَ عنهُ مَسْؤولاً﴾[1].

وخالفوا صريحَ هٰذه الأحاديث المتواترة، والأحاديث الصريحة المشهورة في إعظامِ شهادةِ الزُّورِ.

وخالَفوا إجماعَ أهلِ الحلِّ والعَقْد، غير ذٰلك من الدلائل القطعيات في تحريم الكذب على آحاد الناس، فكيف بمَن قوْلُه شرعٌ، وكلامُه وحيٌ؟!

وإذا نُظِر في قولهم؛ وُجِد كذباً على الله تعالى، قال الله تعالى:

﴿ومَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى . إنْ هُو إلا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2].

ومِن أعجب الأشياء قولُهم: هٰذا كذب له! وهٰذا جهلٌ منهم بلسانِ العرب وخطاب الشرع، فإن كل ذٰلك عندهم كذب عليه.

وأما الحديث الذي تعلَّقوا به؛ فأجاب العلماء عنه بأجوبة:

أحسنُها وأخصرُها: أن قولَه: «ليضلَّ الناس»؛ زيادة باطلة، اتفق الحفاظ على إبطالها، وأنها لا تُعرف صحيحة بحال.

الثاني: جواب أبي جعفر الطحاوي، أنها لو صحت؛ لكانت للتأكيدِ؛ كقول الله تعالى:

---

(١) الإسراء: ٢.

(٢) النجم: ٤.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى على اللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ﴾[1].

الثالث: أن اللام في «ليضلَّ» ليست لام التعليل، بل هي لام الصيرورة والعاقبة، معناه: أن عاقبة كذبه ومصيره إلى الإضلال به؛ كقوله تعالى:

﴿فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكونَ لهُمْ عَدُوّاً وحَزَناً﴾[2].

ونظائره في القرآن وكلام العرب أكثر من أن يحصر، وعلى هٰذا يكون معناه: فقد يصير أمر كذبه إضلالاً

وعلى الجملة: مذهبهم أركُّ من أن يُعتنى بإيراده، وأبعد من أن يُهْتَمَّ بإبعاده، وأفسد من أن يُحتاجَ إلى إفساده، والله أعلم.

الرابعة: يحرُم رواية الحديث الموضوع على عرف كونه موضوعاً، أو غلب على ظنه وضعه، فمَن روى حديثاً ـ علم أو ظن وضعه ـ، ولم يبيِّن حالَ روايته وضعَهُ؛ فهو داخل في هٰذا الوعيد، مندرِجٌ في جملة الكاذبين على رسول الله ﷺ.

ويدلُّ عليه أيضاً الحديث السابق:

«مَن حدث عني بحديث يُرى أنه كذب؛ فهو أحد الكاذبَيْن»[3].

---

(١) الأنعام: ١٤٤.

(٢) القصص: ٨.

(٣) أخرجه مسلم في مقدمة «صحيحه» (١ / ٩)، والترمذي في «الجامع» (رقم ٢٦٦٤)، وابن ماجه في «السنن» (رقم ٣٨).

ولهٰذا قال العلماء: ينبغي لمن أراد رواية حديث، أو ذِكْرَه، أن ينظر، فإن كان صحيحاً أو حسناً؛ قال: قال رسول الله ﷺ كذا، أو فعله، أو نحو ذٰلك من صيغ الجزم. وإن كان ضعيفاً؛ فلا يقل: قال، أو فعل، أو أمر، أو نهى، وشبه ذٰلك من صيغ الجزم، بل يقول: رُوِيَ عنه كذا، أو جاء عنه كذا، أو يُرْوَى، أو يُذْكَر، أو يُحْكَى، أو يُقال، أو بلغَنا، وما أشبهه، والله سبحانه أعلم»(١).

وسُئِلَ الشيخ محيي الدين عن الذي يفعله بعض المصلين بالناس في صلاة التراويح، وهو قراءة سورة (الأنعام) في الركعة الأخيرة من صلاة التراويح في الليلة السابعة من شهر رمضان أو غير السابعة؛ هل هو سنَّة أو بدعة؟ فقد قال قائل بأنَّها نزلت جملة واحدة، فهل هٰذا ثابت في الصحيح أم لا، وهل فيه دليل لما يفعلونه، فإن كانت بدعة؛ فما سبب كراهتها؟

وقد أجاب الشيخ على ذٰلك بقوله:

«هٰذا الفعلُ المذكورُ ليس سنَّة، بل هو بدعة مكروهة، ولكراهتها أسباب:

منها: إبهام كونِها سُنَّة.

ومنها: تطويل الركعة الثانية على الأولى، وإنَّما السُّنَّة تطويل الأولى.

ومنها: التطويل على المأمومين، وإنما السُّنَّة التخفيف.

ومنها: هٰذه القراءة، وهَذْرَمَتها.

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١ / ٧٠ - ٧١).

ومنها: المبالغة في تخفيف الركعات قبلها.

وغير ذٰلك من الأسباب.

ولم يثبت نزول (الأنعام) دفعة واحدة، ولا دلالة فيه لو ثبت لهٰذا الفعل، فينبغي لكل مصلٍّ اجتناب هٰذا الفعل، وينبغي إشاعة إنكار هٰذا، فقد ثبتت الأحاديث الصحيحة في النهي عن محدثات الأمور، وأنَّ كلَّ بدعة ضلالة، ولم يُنْقَل هٰذا الفعل عن أحد من السلف، وحاشاهم»[1].

وسئل عن القراءة التي يقرؤها بعض الجهلة على الجنائز بدمشق؛ بالتمطيط الفاحش، والتغنِّي الزائد، وإدخال حروف زائدة في كلمات، ونحو ذٰلك مما هو مشاهد منهم؛ هل هو مذموم أم لا؟

وقد أجاب على ذٰلك بقوله:

«هٰذا منكر ظاهر، ومذموم فاحش، وهو حرام بإجماع العلماء، وقد نقل الإجماع فيه الماوردي، وغير واحد، وعلى ولي الأمر ـ وفَّقه الله تعالى ـ زجرهم عنه، وتعزيرهم، واستتابتهم، ويجب إنكاره على كل مكلَّف تمكَّن من إنكاره»[2].

وقال في «الأذكار»:

«وأما ما يفعله الجهلةُ من القراءة على الجَنازة بدمشق وغيرها؛ من القراءةِ بالتَّمطيطِ، وإخراجِ الكلامِ عن مواضعِهِ؛ فحرامٌ بإجماعِ

---

(١) «فتاوى الإمام النووي» (ص ٤٧ و٤٨).

(٢) «فتاوى الإمام النووي» (ص ٤٦ و٤٧).

العلماءِ»[1].

وحذَّر الإمام النووي من الاجتماع للتَّعْزِية بقوله:

«وأما الجلوسُ للتعزية؛ فنصَّ الشافعيُّ، والمصنِّف ـ أي الشيرازي صاحب «المهذب» ـ، وسائرُ الأصحاب؛ على كراهته، ونقله الشيخ أبو حامد في «التعليق»، وآخرون عن نصِّ الشافعيِّ[2]؛ قالوا: يعني بالجلوس لها: أن يجتمع أهل الميت في بيتٍ، فيقصدهم مَن أراد التعزية».

قال:

«قالوا: بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائِجِهم، فمن صادفَهُم؛ عزَّاهُم، ولا فرقَ بين الرجال والنساء في كراهةِ الجلوس لها»[3].

وسُئِلَ ـ رحمه الله تعالى ـ عن صلاة الرغائب المعروفة في أول ليلة جمعة من شهر رجب؛ هل هي سنَّة وفضيلة أم بدعة؟

وقد أجاب على ذٰلك بقوله:

«هي بدعة قبيحة، منكرة أشد الإنكار، مشتملة على منكرات، فيتعيَّن تركها، والإعراض عنها، وإنكارها على فاعلها، وعلى ولي الأمر ـ وفَّقه الله تعالى ـ منع الناس من فعلها؛ فإنَّه راع، وكل راع مسؤول عن رعيته، وقد صنَّف العلماء كتباً في إنكارها، وذمِّها، وتسفيه فاعلها، ولا يُغْتَرَّ

---

(١) «الأذكار» (ص ٢٠٣).

(٢) انظر «الأم» (١ / ٢٤٨).

(٣) انظر: «المجموع» (٥ / ٣٠٦)، و«الأذكار» (ص ١٣٦).

بكثـرة الفـاعلين لهـا في كثير من البلدان، ولا بكونها مذكورة في «قوت القلوب»، و«إحياء علوم الدين»، ونحوهما؛ فإنها بدعة باطلة»[1].

ويقول بعد ذٰلك[2]:

«وقد أمر الله تعالى عند التنازع بالرجوع إلى كتابه، فقال تعالى:

﴿فإنْ تَنَازَعْتُم في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسولِ إنْ كُنْتُم تُؤْمِنونَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾[3].

ولم يأمر باتِّباع الجاهلين، ولا بالاغترار بغلطات المخطئين».

وقال في «شرح صحيح مسلم» (٨ / ٢٠) عند حديث النهيِ عن تخصيصِ ليلة الجمعة بصلاةٍ ويومِها بصيامٍ:

«وفي هٰذا الحـديث: النهيُ الصـريح عن تخصيص ليلة الجمعة بصلاةٍ من بين الليالي، ويومها بصومٍ، وهٰذا متفق على كراهيته.

واحتـجَّ به العلماء على كراهة هٰذه الصلاة المبتَدَعة، التي تسمَّى (الرغائب)، قاتَلَ الله واضعَها ومختَرِعَها، فإنها بدعة منكرة، من البدع التي هي ضلالة وجهالة، وفيها منكراتٌ ظاهرةٌ، وقد صنَّف جماعةٌ من الأئمَّة مصنَّفـاتٍ نفيسةً في تقبيحها، وتضليل مصليها ومبتدعها، ودلائل قبحها

---

(١) «فتـاوى الإمـام النـووي» (ص ٥٩)، و«المجموع» (٤ / ٥٦)، و«الأسرار المرفوعة» لعلي القاري (ص ٣٩٦).

(٢) «فتاوى الإمام النووي» (ص ٦٠).

(٣) النساء: ٥٩.

وبطلانها وتضلُّل فاعلها أكثر من أن تُحْصَر، والله أعلم».

وقال في «شرح المهذب» (٤ / ٥٦):

«ولا يُغْتَرَّ ببعض من اشتبهَ عليه حكمها من الأئمة، فصنَّف ورقاتٍ في استحبابها؛ فإنه غالط في ذٰلك. وقد صنَّف الشيخ الإمام أبو محمد عبدالرحمٰن بن إسماعيل المقدسي[1] كتاباً نفيساً في إبطالهما، فأحسن فيه وأجاد، رحمه الله».

وسُئِلَ عن مقبرة مسبلة للمسلمين، بنى إنسان فيها مسجداً، وجعل فيها محراباً؛ هل يجوز ذٰلك؟ وهل يجب هدمه؟

وقد أجاب على ذٰلك بقوله:

«لا يجوز ذٰلك، ويجب هدمه»[2].

وسُئِلَ عن السجود الذي يفعله بعض الناس بين يدي المشايخ ونحوهم؛ ما حكمه؟

وقد أجاب على ذٰلك بقوله:

«هو حرامٌ شديد التحريم»[3].

---

(١) المعروف بـ (أبي شامة المقدسي)، المتوفى سنة (٦٦٥ هـ)، وكتابه المشار إليه هو: «الإنصاف لما وقع في صلاة الرغائب من الاختلاف»، أودعه برمته في كتابه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»، وقد انتهيتُ من تحقيقه، وهو قيد الطبع الآن في الرياض، عن دار الراية للنشر والتوزيع.

(٢) «فتاوى الإمام النووي» (ص ٦٧ و٦٨).

(٣) «فتاوى الإمام النووي» (ص ٧٦)، و «روضة الطالبين» (١ / ٣٢٦).

وحول بعض بدع الناس في المدينة المنورة يقول الشيخ محيي الدين[1]:

«من جهالات العامَّة وبدعهم: تقرُّبهم بأكل التمر الصيحاني في الروضة الكريمة، وقطفهم شعورهم، ورميها في القنديل الكبير، وهٰذا من المنكرات المستشنعة، والبدع المستقبحة».

وحول قيام بعض الناس بأشياء منكرة عند قبر المصطفى ﷺ يقول الشيخ محيي الدين[2]:

«لا يجوز أنْ يُطافَ بقبره ﷺ، ويُكْرَهُ مسحه باليد، وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه؛ كما يبعد منه لو حضر في حياته ﷺ، هٰذا هو الصواب الذي قاله العلماء، وأطبقوا عليه، ولا يغترَّ بمخالفة كثير من العوام، وفعلهم ذٰلك، فإنَّ الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة، وأقوال العلماء، ولا يُلْتَفَت إلى محدَثات العوام، وغيرهم، وجهالاتهم».

ويقول بعد ذٰلك[3]:

«ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة؛ فهو من جهالته وغفلته؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع، وكيف ينبغي الفضل في مخالفة الصواب؟!».

---

(١) «المجموع» (٨ / ٣٧٦).

(٢) «المجموع» (٨ / ٢٧٥).

(٣) «المجموع» (٨ / ٣٧٥).

وحول قيام كثير من الحجاج بالوقوف على جبل الرحمة في عرفات، وتفضيل ذٰلك على غيره من أرض عرفات؛ يقول الشيخ محيي الدين[1]:

«وأمَّا ما اشْتُهِرَ عند العوامِّ من الاعتناء بالوقوف على جبل الرحمة الذي هو بوسط عرفات، وترجيحهم له على غيره من أرض عرفات، حتى ربَّما توهَّم من جهلتهم أنَّه لا يصحُّ الوقوف إلا فيه؛ فخطأ ظاهر، ومخالف للسنَّة، ولم يذكر أحدٌ مِمَّن يُعْتَمَدُ في صعود هٰذا الجبل فضيلة يختص بها، بل له حكم سائر أرض عرفات؛ غير موقف رسول الله ﷺ؛ إلَّا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، فإنَّه قال:

«يُسْتَحَبُّ الوقوف عليه».

وكذا قال الماوردي في «الحاوي»:

«يُستَحَبُّ قصد هٰذا الجبل الذي يقال له: جبل الدعاء».

وقال:

«وهو موقف الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ».

وذكر البندنيجي نحوه.

وهٰـذا الـذي قالـوه لا أصـل له، ولم يرد في حديث صحيح ولا ضعيف، فالصـواب الاعتنـاء بمـوقف رسـول الله ﷺ، وهو الذي خصَّه العلمـاء بالـذكر، وحثُّوا عليه، وفضَّلوه، وحديثه في «صحيح مسلم»[2]؛

---

(١) «المجموع» (٨ / ١١٢ و١١٣).

(٢) انـظر «صحيح مسلم» (٢ / ٨٩٠)، ومن رواية جابر بن عبدالله ـ رضي الله =

هٰكذا نصَّ عليه الشافعي، وجميع أصحابنا، وغيرهم من العلماء».

وحول صلاة الناس ركعتين إذا فرغوا من السعي يقول:

«قال الشيخ أبو محمد الجُوَيْني: رأيتُ الناسَ إذا فرغوا من السعي؛ صلَّوا ركعتين على المروة. قال: وذٰلك حسن، وزيادة طاعة، ولكن لم يثبت ذٰلك عن رسول الله ﷺ.

هٰذا كلام أبي محمد!!

وقال أبو عمرو بن الصلاح: ينبغي أن يُكرَهَ ذٰلك؛ لأنه ابتداء شعار، وقد قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: ليس في السعي صلاة.

وهٰذا الذي قاله أبو عمرو أظهر، والله أعلم»[1].

وحول بعض الأشياء التي ابْتُدِعَت في يوم الجمعة يقول[2]:

«يُكْرَهُ في الخطبة أمور ابتدعها الجهلة:

منها: التفاتُهم في الخطبة الثانية، والدق على درج المنبر في صعوده، والدعاء إذا انتهى إلى صعوده قبل أن يجلس، وربَّما توهَّموا أنها ساعة الإجابة، وهٰذا جهل؛ فإنَّ ساعة الإجابة إنما هي بعد جلوسه.

= عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«نحرت ها هنا ومنى كلها منحر، فانحروا في رحالكم، ووقفت ها هنا، وعرفة كلها موقف، ووقف ها هنا وجمع كلها موقف».

(١) «المجموع» (٨ / ٧٦).

(٢) «روضة الطالبين» (٢ / ٣٢ و٣٣).

ومنها: المجازفة في أوصاف السلاطين في الدعاء لهم.

ومنها: مبالغتهم في الإسراع في الخطبة الثانية».

وحذَّر ـ رحمه الله ـ من اعتقاد الجاهلية من كراهة التزوُّج والدُّخول في شهر شوال، فقال معلِّقاً على قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ:

«تزوَّجني رسول الله ﷺ في شوَّال، وبنى بي في شوَّال، فأيُّ نساء رسولِ الله ﷺ كان أحظى عندَهُ منِّي؟! وكانت تستحبُّ أن تُدْخِلَ نساءَها في شوَّال»[1]:

«فيه استحباب التزويج والتزوُّج والدُّخول في شوَّال، وقد نصَّ أصحابُنا على استحبابه، واستدلُّوا بهٰذا الحديث، وقصدت عائشة بهٰذا الكلام ردَّ ما كانت الجاهلية عليه، وما يتخيَّله بعضُ العوامِّ اليوم؛ من كراهة التزوُّج والتزويج والدُّخول في شوَّال، وهٰذا باطل لا أصل له، وهو من آثار الجاهلية، كانوا يتطيَّرون لما في اسم شوَّال من الإشالة والرفع»[2].

وحذَّر كثيراً من كثيرٍ من آراء الفِرَقِ والطَّوائف المبتدعة؛ مثل: القدريَّة[3]، والمعتزلة[4]، والخوارج، والروافض.

فحذَّر من أكاذيب الروافض على عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ بقوله:

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٩ / ٢٠٩ ـ مع شرح النووي).

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٩ / ٢٠٩).

(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١ / ١٥٤ و١٥٦).

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١ / ١٠٩ ـ ١١٠ و٢١١).

«. . . أشار بذلك إلى ما أدخلته الروافض والشيعة في علم عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ وحديثه، وتقوَّلوه عليه من الأباطيل، وأضافوهُ إليه من الروايات والأقاويل المفتعلة والمختلقة، وخلطوه بالحقِّ، فلم يتميَّز ما هو صحيح عنه مما اختلقوه»[1].

وحذَّر من قولهم بالرّجعة، فقال:

«الرجعة: ما تقولهُ الرَّافضة وتعتقده بزعمها الباطل: أنَّ علياً ـ رضي الله عنه ـ في السحاب، فلا نخرج ـ يعني مع مَن يَخرج من ولده ـ حتى ينادى من السماء: أنِ اخرجوا معه. وهٰذا نوعٌ من أباطيلهم، وعظيم من جهالاتهم، اللائقة بأذهانهم السخيفة، وعقولهم الواهية»[2].

وأكتفي بهٰذا القدر من الأمثلة الواضحة حول موقف الشيخ محيي الدين النووي من البدع وأصحابها، ووجدنا ميزانه في ذٰلك أنَّ ما وافق السنَّة هو الحق الذي لا بدَّ من اتباعه والسير على وفقه، وما خالف السنَّة من أشياء محدثة مبتدعة لا بدَّ من تجنُّبِها والابتعاد عنها ابتعاداً كُلِّياً.

وقد لاحظنا فيما مضى أنَّه إذا سُئِلَ عن شيء ووجد فيه مخالفة لهدي رسول الله ﷺ؛ نَبَّهَ إلى ذٰلك، وحذَّر تحذيراً شديداً من الاغترار بفعل مَن يخالف هَدْيَ المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وذٰلك أنَّه لا قيمة لأيِّ فعلٍ إذا كان على خلاف الكتاب والسنَّة.

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١ / ٨٣).

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١ / ١٠١)، وانظر أيضاً في موقفه من الروافض (١ / ٩٩ و٢١٠).

وكان كثيراً ما يتعرَّض في مصنَّفاته لبعض البدع ومحدَثات الأمور؛ ببيان خطرها، والدعوة لأجل تجنُّبها، والابتعاد عنها.

وقد أكرم الله ـ تبارك وتعالى ـ الشيخ محيي الدين بأن يكون محيياً لدين الله، وذلك بأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، وإحيائه للسنَّة، وقمعه للبدعة.



الفهارس*

- فهرس الآيات الكريمة .
- فهرس الأحاديث الشريفة .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الأماكن .
- فهرس كتب الإمام النووي .
- فهرس الكتب الأخرى .
- المصادر والمراجع .
- الموضوعات والمحتويات .

---

* اقتصرت في هٰذه الفهارس على الموجود في نصّ كتاب ابن العطار دون ما أوردته في المقدمة أو التتمة التي ألحقتُها في آخر الكتاب، وذكرتُ في فهرس الآيات والأحاديث الموجود في الحواشي والتعليقات، وكذا في فهرس كتب الإمام النووي، واقتصرت فيه على الثبت الـذي حاولت من خلاله أن أكون قد استوعبت فيه أسماء مصنفاته أو قاربت، والله الموفق، لا ربَّ سواه.

فهرس الآيات الكريمة

الآية	الصفحة
أفلا يرون أنا نأتي الأرض	١٩٣
إنا وجدناه صابراً	١٥٥
إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف	١٠٣
إن الله مع الذين اتقوا	١٠٤
إن تنصروا الله ينصركم	١١٣ و٢٠٨
إنما هٰذه الحياة الدنيا متاع	١٠٧
أولم يروا أنا نأتي الأرض	١٩٣
فلا تزكوا أنفسكم	٣٧
لئن شكرتم لأزيدنّكم	١١٢
ليس على الضعفاء ولا على المرضى	١٠٥
واخفض جناحك للمؤمنين	١١٠
وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب	١٠٤ و١٠٨
وأفوض أمري إلى الله	١٠٧
وتعاونوا على البر والتقوى	١٠٩
وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين	١٠٨



فهرس الأحاديث الشريفة

□□□□□

فهرس الأعلام

(الألف)

(الباء)

(التاء)

(الحاء)

(الخاء)

(الدال)

(الراء)

(الزاي)

(السين)

(الشين)

(الضاد)

(الطاء)

(الظاء)

(العين)

(الغين)

(الفاء)

(القاف)

(الكاف)

(الميم)

(النون)

(الياء)



فهرس الأماكن



فهرس كتب الإمام النووي

(وفيها ما هو منسوب إليه خطأ وما هو مشهور بأكثر من عنوان)

(الراء)

(السين)

(الشين)

(العين)

(الطاء)

(الغين)

(الفاء)

(القاف)

(الميم)

(النون)



فهرس الكتب الواردة في النص غير كتب النووي

(العين)

(القاف)

(الكاف)

(اللام)

(الميم)

(الواو)



المصادر والمراجع

- **الآجري**: محمد بن الحسين بن عبد الله (ت ٣٦٠هـ).

١ - «**الشريعة**»: مطبعة السنة المحمدية، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م.

- **الإبراهيم**: محمد عقلة (معاصر).

٢ - «**أبو إسحاق الشيرازي وأثره في الفقه الإسلامي**»: رسالة دكتوراه، مضروبة على الآلة الكاتبة.

- **الإسفرائيني**: أبو عوانة (ت ٣١٠هـ).

٣ - «**المسند**»: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، دون تاريخ.

- **الإسنوي**: جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٧٢هـ).

٤ - «**طبقات الشافعية**»: تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد، سنة ١٣٩٠هـ.

- **الأصبهاني**: أحمد بن عبد الله أبو نُعيم (ت ٤٣٠هـ).

٥ - «**حلية الأولياء**»: دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، الطبعة الثانية.

- **الألباني**: محمد ناصر الدين (معاصر).

٦ - «**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**»: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٧ ـ «**سلسلة الأحاديث الصحيحة**»: المكتب الإسلامي، بيروت.
٨ ـ «**سلسلة الأحاديث الضعيفة**»: المكتب الإسلامي، بيروت.
ـ **البخاري**: محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ).
٩ ـ «**الأدب المفرد**»: دار البشائر الإسلامية، خرج أحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، صنع فهارسه رمزي دمشقيَّة، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
١٠ ـ «**التاريخ الصغير**»: دار الوعي، حلب، ودار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، تحقيق: محمود إبراهيم زايد.
١١ ـ «**التاريخ الكبير**»: مصورة الطبعة الهندية، بيروت، تحقيق: عبدالرحمٰن المعلِّمي اليماني.
١٢ ـ «**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المشتهر بـ (الصحيح)**»: المكتبة السلفية، مصر.
ـ **البغدادي**: أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ).
١٣ ـ «**تاريخ بغداد**»: دار الكتاب العربي، بيروت.
١٤ ـ «**الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**»: مكتبة المعارف، الرياض، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، تحقيق: د. محمود الطحان.
١٥ ـ «**شرف أصحاب الحديث**»: دار إحياء السنة النبوية، كلية الإلٰهيات، جامعة أنقرة، تحقيق: الدكتور محمد سعيد خطيب أوغلي.
١٦ ـ «**الفقيه والمتفقه**»: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
ـ **البغدادي**: إسماعيل باشا بن محمد الأمين.
١٧ ـ «**إيضاح المكنون**»: دار الفكر، سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
١٨ ـ «**هدية العارفين**»: دار الفكر، سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
ـ **البغوي**: الحسين بن مسعود الفرَّاء (ت ٥١٦هـ).

١٩ ـ «**شرح السنة**»: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٢٠ ـ «**معالم التنزيل**»: دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.
ـ **البيهقي**: أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ).
٢١ ـ «**الأسماء والصفات**»: دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
٢٢ ـ «**الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**»: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، علق عليه: أحمد عصام كاتب.
٢٣ ـ «**السنن الكبرى**»: دار الفكر، بيروت، وهي مصورة عن طبعة حيدر آباد.
٢٤ ـ «**المدخل إلى السنن الكبرى**»: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد ضياء الرحمٰن الأعظمي، دون تاريخ.
ـ **التّجيبي**: القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠هـ).
٢٥ ـ «**برنامج التجيبي**»: الدار العربية للكتاب، ليبيا، سنة ١٩٨١م، تحقيق: عبدالحفيظ منصور.
ـ **الترمذي**: أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ).
٢٦ ـ «**جامع الترمذي**»: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، تحقيق وشرح: أحمد شاكر.
ـ **ابن تغري بردي**: أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ).
٢٧ ـ «**الدليل الشافي على المنهل الصافي**»: نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، سنة ١٩٨٣م، تحقيق: فهيم محمد شلتوت.
٢٨ ـ «**النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة**»: المؤسسة المصرية العامّة، القاهرة، سنة ١٩٢٩ ـ ١٩٧٢م.
ـ **ابن الجارود**: أبو محمد عبد الله بن علي (ت ٣٠٧هـ).

٢٩ ـ «**المنتقى من السُّنن المسندة عن رسول الله ﷺ**»: دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

— **الجبوري**: عبدالله (معاصر).

٣٠ ـ «**فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد**»: الطبعة الأولى، نشر وزارة الأوقاف، بغداد، سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م.

— **ابن جرير**: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).

٣١ ـ «**جامع البيان في تفسير القرآن**»: دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

— **ابن الجعد**: علي بن الجعد (ت ٢٣٠هـ).

٣٢ ـ «**مسند علي بن الجعد**»: مكتبة الفلاح، الكويت، تحقيق: الدكتور عبدالمهدي بن عبدالهادي.

— **الحاكم**: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ).

٣٣ ـ «**المستدرك**»: مصورة الطبعة الهندية، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.

— **ابن حبان**: محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ).

٣٤ ـ «**روضة العقلاء**»: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ومحمد عبدالرزاق حمزة، ومحمد حامد الفقي.

٣٥ ـ «**الصحيح**»: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، مع ترتيبه «الإحسان» للأمير علي بن بلبان (ت ٧٣٩هـ).

٣٦ ـ «**المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**»: دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٦هـ، تحقيق: محمود إبراهيم زايد.

— **ابن حجر العسقلاني**: أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ).

٣٧ ـ «**تهذيب التهذيب**»: طبعة مصورة عن مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، سنة ١٣٢٧هـ.

٣٨ ـ «**فتح الباري بشرح صحيح البخاري**»: طبعة مصورة عن المكتبة السلفية، مصر.
٣٩ ـ «**النكت الظِّراف**»: مطبوع بحاشية «تحفة الأشراف».
ـ **الحسيني**: أبو بكر بن هداية الله (ت ١٠١٤هـ).
٤٠ ـ «**طبقات الشافعية**»: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٩م، تحقيق: عادل نويهض.
ـ **حمدان**: محمود رجا مصطفى (معاصر).
٤١ ـ «**الإمام النووي وأثره في الفقه الإسلامي**»: رسالة دكتوراه، مقدمة لقسم الدراسات الإسلامية بجامعة البنجاب، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
ـ **الحموي**: ياقوت بن عبدالله.
٤٢ ـ «**معجم البلدان**»: دار صادر، بيروت، دون تاريخ.
ـ **الحميدي**: عبد الله بن الزّبير (ت ٢١٩هـ).
٤٣ ـ «**المسند**»: عالم الكتب، بيروت، مكتبة المثنى، القاهرة، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي.
ـ **ابن حنبل**: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).
٤٤ ـ «**المسند**»: دار الفكر، مصورة طبعة بولاق.
ـ **ابن خلكان**: أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ).
٤٥ ـ «**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**»: دار صادر، بيروت، تحقيق: الدكتور إحسان عباس.
ـ **خليفة**: حاجي.
٤٦ ـ «**كشف الظنون**»: دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
ـ **الدّارمي**: عبد الله بن عبد الرحمٰن (ت ٢٥٥هـ).
٤٧ ـ «**سنن الدارمي**»: دار الكتب العلمية، بيروت.
ـ **أبو داود**: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ).

٤٨ - «**سنن أبي داود**»: دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.

- **الدَّقْر**: عبد الغني (معاصر).

٤٩ - «**الإمام النووي شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقهاء والمحدِّثين**»: الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، دار القلم، دمشق.

- **الدَّورقي**: أحمد بن إبراهيم بن كثير (ت ٢٤٦هـ).

٥٠ - «**مسند سعد بن أبي وقاص**»: دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، تحقيق: عامر حسن صبري.

- **الذَّهبي**: أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ).

٥١ - «**تاريخ الإسلام**»: معهد إحياء المخطوطات العربية، مخطوط (رقم ٣٠٣٠).

٥٢ - «**تذكرة الحفاظ**»: دائرة المعارف العثمانية، الهند.

٥٣ - «**دول الإسلام**»: الهيئة المصرية العامة، سنة ١٩٧٤م، تحقيق: فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم.

٥٤ - «**سير أعلام النبلاء**»: مؤسسة الرسالة، تحقيق: جماعة من العلماء.

٥٥ - «**العبر في خبر مَن غبر**»: مطبعة حكومة الكويت، سنة ١٩٦٦م.

٥٦ - «**المعجم الكبير**»: مكتبة الصدِّيق، الطَّائف، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، تحقيق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة.

٥٧ - «**المعجم المختصّ بالمحدِّثين**»: مكتبة الصدِّيق، الطائف، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، تحقيق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة.

٥٨ - «**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**»: دار المعرفة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م، تحقيق: علي محمد البجاوي.

- **ابن رافع**: محمد بن رافع السّلامي (ت ٧٧٤هـ).

٥٩ - «**الوفيات**»: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٢هـ /

١٩٨٢م، تحقيق: صالح مهدي عبَّاس.

- **الرَّامهرمزي**: الحسن بن عبد الرحمٰن (ت ٣٦٠هـ).

٦٠ - «**المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**»: دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، تحقيق: الدكتور محمد عجاج الخطيب.

- **الزِّرِكْلِيّ**: خير الدين (معاصر).

٦١ - «**الأعلام**»: (قاموس تراجم)، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، سنة ١٩٨٤م.

- **ابن زنجويه**: حميد بن زنجويه (ت ٢٤١هـ).

٦٢ - «**الأموال**»: مركز الملك فيصل للبحوث؛ الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، تحقيق: د. شاكر ذيب فياض.

- **السبكي**: تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ).

٦٣ - «**طبقات الشافعية الكبرى**»: أ - دار المعرفة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

ب - مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، تحقيق: محمود الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو.

- **السخاوي**: محمد بن عبد الرحمٰن (ت ٩٠٢هـ).

٦٤ - «**ترجمة الإمام النووي**»: جمعية النشر والتأليف الأزهرية، بعناية محمود ربيع، سنة ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م.

- **سلامة**: خضر إبراهيم (معاصر).

٦٥ - «**فهرس مخطوطات المكتبة البديرية**»: إدارة الأوقاف العامة، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٦٦ - «**فهرس مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى**»: إدارة الأوقاف العامة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٠م / ١٤٠١هـ.

- **السيوطي**: جلال الدين عبد الرحمٰن (ت ٩١١هـ).

٦٧ ـ «**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**»: دار الفكر، بيروت.

٦٨ ـ «**طبقات الحفاظ**»: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

٦٩ ـ «**طبقات المفسرين**»: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

٧٠ ـ «**المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي**»: أ ـ مخطوط، نسخة مكتبة الإسكوريال، (رقم ١٧٤٩).

ب ـ دار ابن حزم، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، تحقيق: أحمد شفيق دمج.

ـ **الشافعي**: محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ).

٧١ ـ «**الأم**»: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

ـ **أبو الشيخ**: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان (ت ٣٦٩هـ).

٧٢ ـ «**طبقات المحدِّثين بأصبهان**»: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، تحقيق: عبدالغفور البلوشي.

ـ **الصَّنعاني**: عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ).

٧٣ ـ «**المصنَّف**»: المكتب الإسلامي، بيروت، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي.

ـ **الطبراني**: سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ).

٧٤ ـ «**المعجم الكبير**»: وزارة الأوقاف، بغداد، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي.

ـ **الطنطاوي**: علي (معاصر).

٧٥ ـ «**الإمام النووي**»: الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٠هـ، دار الفكر، دمشق.

ـ **عبد الرزاق**: سالم (معاصر).

٧٦ ـ «**فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل**»: الطبعة

الأولى، وزارة الأوقاف، بغداد، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

- **أبو عبد الله**: محمد بن القاضي عياض.

٧٧ ـ «**التعريف بالقاضي عياض**»: الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٢م، تحقيق: الدكتور محمد بن شريفة.

- **أبو عبيد**: القاسم بن سلاَّم (ت ٢٢٤هـ).

٧٨ ـ «**الأموال**»: مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٨هـ، تحقيق: محمد خليل هراس.

- **علي**: محمد كرد.

٧٩ ـ «**خطط الشام**»: طبعة المفيد، دمشق، سنة ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م.

- **ابن العماد**: عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ).

٨٠ ـ «**شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب**»: المكتب التجاري، بيروت، دون تاريخ.

- **العَمْري**: شحادة حميدي، (معاصر).

٨١ ـ «**الإمام النووي وجهوده في التفسير**»: رسالة ماجستير مقدمة لقسم أصول الدين في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

- **ابن قاضي شهبة**: أحمد بن محمد (ت ٨٥١هـ).

٨٢ ـ «**طبقات الشافعية**»: طبعة حيدر آباد، سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٤٠٠هـ، صححه وعلق عليه: عبدالعليم خان.

- **القطان**: إبراهيم ياسين (معاصر).

٨٣ ـ «**عثرات المنجد في الأدب والعلوم والأعلام**»: الطبعة الأولى، دار القرآن الكريم، الكويت، سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

- **ابن فارس**: أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ).

٨٤ ـ «**معجم مقاييس اللغة**»: دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م،

تحقيق: عبدالسلام هارون.

ـ **الفاسي**: محمد بن الطيب (ت ١١٧٥هـ).

٨٥ ـ «**شرح حزب الإمام النووي**»: دار الإمام مسلم، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، تحقيق: بسام الجابي.

ـ **ابن الفرات**: محمد بن عبدالرحيم.

٨٦ ـ «**تاريخ ابن الفرات**»: المطبعة الأميركانية، بيروت، سنة ١٩٤٢م، تحقيق: قسطنطين زريق.

ـ **الكتبي**: محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ).

٨٧ ـ «**عيوان التواريخ**»: وزراة الثقافة والإعلام، بغداد، تحقيق: نبيلة عبدالمنعم، وفيصل الساحر.

٨٨ ـ «**فوات الوفيات**»: دار صادر، بيروت، سنة ١٩٧٣م، تحقيق: الدكتور إحسان عباس.

ـ **كحالة**: عمر رضا (معاصر).

٨٩ ـ «**معجم المؤلفين**»: (تراجم مصنِّفي الكتب العربية)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ١٣٧٦هـ / ١٠٥٧م.

ـ **ابن كثير**: إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ).

٩٠ ـ «**البداية والنهاية**»: مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٢م.

٩١ ـ «**تفسير القرآن العظيم**»: دار المعرفة، بيروت.

ـ **ابن ماجه**: محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٦٥هـ).

٩٢ ـ «**سنن ابن ماجه**»: دار إحياء التراث العربي، سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي.

ـ **ابن المبارك**: عبدالله (ت ١٨١هـ).

٩٣ ـ «**الزهد**»: دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: حبيب الرحمٰن

الأعظمي .

ـ **المروزي**: محمد بن نصر (ت ٢٩٤هـ).

٩٤ ـ «**تعظيم قدر الصلاة**»: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ، تحقيق: عبدالرحمٰن الفريوائي.

ـ **المزّي**: يوسف بن عبدالرحمٰن (ت ٧٤٢هـ).

٩٥ ـ «**تحفة الأشراف**»: الدار القيمة، الهند، سنة ١٣٨٤هـ، تصحيح وتعليق: عبدالصمد شرف الدين.

ـ **مسلم**: مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ).

٩٦ ـ «**الجامع الصحيح**» **المشتهر بـ** «**صحيح مسلم**»: دار الفكر، بيروت، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.

ـ **مصطفى**: محمود (معاصر).

٩٧ ـ «**إعجام الأعلام**»: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

ـ **معلوف**: لويس (معاصر).

٩٨ ـ «**المنجد في الأدب والعلوم**»: المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٦م.

ـ **المنجد**: صلاح الدين (معاصر).

٩٩ ـ «**معجم المؤرخين الدمشقيين**»: دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

ـ **النسائي**: أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ).

١٠٠ ـ «**المجتبى**»: دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م.

ـ **النُّعيمي**: عبدالقادر بن محمد.

١٠١ ـ «**الدَّارس في تاريخ المدارس**»: مطبعة الترقي، دمشق، سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م.

- **النووي**: يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)[1].

- **الوادي آشي**: محمد بن جابر (ولد سنة ٦٧٣هـ).

١٠٢ - «**برنامج الوادي آشي**»: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٢م، تحقيق: محمد محفوظ.

- **اليافعي**: عبد الله بن أسعد.

١٠٣ - «**مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**»: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، دون تاريخ.

- **اليونيني**: موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ).

١٠٤ - «**ذيل مرآة الزمان**»: الطبعة الأولى، حيدرآباد الدكن، سنة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

- **المجلات**:

١٠٥ - «**مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي**»: العدد الثالث، سنة ١٤٠٠هـ.

١٠٦ - «**مجلة البحوث الإسلامية**»: العدد ١٣٩٥ - ١٣٩٦هـ.

١٠٧ - «**مجلة المورد العراقية**»: المجلد الأول، عدد (١ - ٢)، (ص ١٧١).



(١) رجعت إلى جميع كتبه المطبوعة، وحاولتُ الوقوف على جميع طبعات كل كتاب، وبينتُ ذٰلك في هامش كتاب ابن العطار هٰذا (ص ٧٥ - ٩٥).

فهرس الموضوعات والمحتويات

الصفحة الموضوع

مقدمة التحقيق

تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي محيي الدين

الفهارس

سيصل عن دار الصميعي للمحقق
قريباً إن شاء الله

١ ـ الإشارات إلى أسماء الرسائل المودعة في بطون المجلات والمجلدات (تأليف).

٢ ـ الإمام مسلم بن الحجاج ومنهجه في الصحيح (تأليف).

٣ ـ قصص لا تثبت - الجزء الثاني (تأليف).

٤ ـ كتب حذّر العلماء منها (تأليف).

٥ ـ بلوغ المنى في حكم الاستمنى/للشوكاني (تحقيق).

٦ ـ الأمالي الخمسة السلماسية/للحافظ السِّلفي (تحقيق).